جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم علم الاجتماع

المعوقات الاجتماعية للتفكير العقلاني لدى طلبة جامعة دمشق

(دراسـة ميدانيـة)

" بحث أعد لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع"

إعداد **إشراف**

الطالب عبد العزيز عبد الله محمد **الأستاذ الدكتور أديب زيد عقيل**

2015

Damascus University

Faculty of Arts and Humanities

Department of Sociology

Social Constraints of Rational Thinking among Damascus University Students: Field Study

A research prepared for a master's degree in sociology""

Prepared by: Abdulaziz Mohammad

Under the supervision of: Prof. Adib Aqeel

Damascus 2015

«سيأتي يومٌ حيث لا تشرق الشمس فيه إلاّ على الإنسان الحرِّ الذي لا يعرف سيِّداً آخر سوى العقل.»

كوندورسيه

الإهداء

إلى المجتمعات التي تعاني التَّخلف والجمود.

إلى المجتمعات التي تعاني من القبلية والطَّائفية والعرقية.

إلى المجتمعات التي تعتقد بالغيبيات والسِّحر والشَّعوذة.

إلى المجتمعات التي تعاني من إنكار الآخر.

إلى المجتمعات التي تعاني من الاستبداد السِّياسي.

أهديها للإنسانية....

كلمة شكر

كل المحبة والتَّقدير للأستاذ الدكتور أديب عقيل على كلِّ ما قدَّمه.

أتقدَّم بجزيل الشُّكر إلى جميع الأساتذة في قسم علم الاجتمَّاع لِمَا قدَّموه لي من معرفة.

وأتوجَّه بامتناني العميق لكلِّ من قدَّم لي المساعدة لإتمَّام هذا البحث من الطَّلبة والأصدقاء.

شكراً جزيلاً لكم جميعاً

فهرس المحتويات		
	كلمة شكر	
	إهداء	
	فهرس الموضوعات	
	فهرس الجداول	
	فهرس الأشكال	
	ملخَّص البحث	
	المقدِّمة	١
	الباب الأوَّل: الإطار النَّظري	٥
	الفصل الأوَّل: الإطار المنهجي للبحث	٦
	أولاً- مشكلة البحث وتساؤلاته.	٧
	ثانياً- أهمِّيَّة البحث.	٩
	ثالثاً- أهداف البحث.	١٠
	رابعاً- الدِّراسات السَّابقة.	١١
	خامساً- مفاهيم البحث.	١٨
	الفصل الثَّاني: التَّفكير العقلاني	٢٢
	أولاً- مفهوم التَّفكير العقلاني:	٢٣
	ثانياً – التَّحولات التَّاريخية للتَّفكير العقلاني:	٣١
	١- العقلانية في الفكر الفلسفي اليوناني.	٣١
	٢- العقلانية في العصور الوسطى.	٣٢
	٣- العقلانية في الفلسفة الحديثة.	٣٣
	٤- الثَّورة التَّجريبية المضادة للعقلانية.	٣٦

	٥- مسلَّمات المذهب العقلاني.	٣٦
	٦- مسلَّمات المذهب التَّجريبي.	٣٧
	٧- العقل والحس عند كانط.	٣٧
	٨- قانون التَّطور العقلي عند أوغست كونت.	٣٨
	٩- العقلانيَّة والتَّجريبية عند غاستونباشلار.	٣٩
	١٠- العقلانيَّة النَّقدية عند كارل بوبر.	٤٠
	ثالثاً: العقلانية العلمية:	٤٣
	١- نشأة العقلانيَّة العلميَّة.	٤٣
	٢- العلاقة الجدليَّة بين العقل والعلم.	٤٥
	٣- سمات التَّفكير العلمي.	٤٨
	٤- أثر العلم في المجتمع	٤٩
	"المعوقات الاجتماعية للتَّفكير العقلاني"	٥٧
	الفصل الثَّالث: العادات والتَّقاليد:	٥٨
	١- مفهوم العادات والتَّقاليد.	٥٩
	٢- العادات والتَّقاليد كعقبة في وجه العقلانيَّة العلميَّة.	٦٠
	٣- اتِّجاهات التُّراث والحداثة في عقلية الشباب.	٧٧
	أ- مفهوم الشَّباب.	٧٧
	ب- خصائص الشَّباب العقلية.	٧٧
	ت- اتِّجاهات الشَّباب نحو التُّراث والحداثة.	٧٨
	الفصل الرابع : الدِّين	٨٨
	١- مفهوم الدِّين.	٨٩
	٢- آراء المعتزلة وابن رشد حول قضية الدِّين والعقل.	٨٩
	٣- آراء علماء الاجتمَّاع حول قضية الدِّين والعقلانية العلمية.	٩١

	٤- العلاقة الصِّراعية بين الدِّين والعقلانية العلمية.	**٩٤**
	٥- أمثلة عن الظَّاهرة الدِّينية في المجتمع العربي.	**٩٩**
	٦- الأطروحات الفكرية لحلِّ أزمة التَّفكير الغيبي في المجتمع العربي.	**١٠٣**
	الفصل الخامس: غياب المجتمع المدني وضعف مبدأ المواطنة.	**١١١**
	أولاً:المجتمع المدني.	**١١٢**
	١- مفهوم المجتمع المدني.	**١١٢**
	٢- العقبات التي تقف أمام بناء المجتمع المدني.	**١١٢**
	٣- العلاقة الجدلية بين العقلانية العلمية والمجتمع المدني.	**١١٨**
	ثانياً: المواطنة.	**١٢١**
	١- مفهوم المواطنة.	**١٢١**
	٢- العقبات الاجتماعية التي تقف أمام ترسيخ مبدأ المواطنة.	**١٢٢**
	٣- العلاقة الجدلية بين مبدأ المواطنة والعقلانية العلمية.	**١٢٥**
	الباب الثَّاني: الإطار الميداني	**١٢٨**
	الفصل الأول: الإجراءات المنهجية المتعلقة بجمع وتحليل معطيات البحث:	**١٢٩**
	أولاً: منهج البحث.	**١٣٠**
	ثانياً:متغيرات البحث.	**١٣٠**
	ثالثا: فرضيات البحث.	**١٣٠**
	رابعاً: التَّعريفات الإجرائية.	**١٣١**
	خامساً: مجالات البحث.	**١٣٢**
	سادساً: مجتمع البحث الأصلي والخصائص الضَّابطة للعينة.	**١٣٣**
	سابعاً: تصميم الاستمَّارة.	**١٣٦**
	ثامناً: الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث الميداني.	**١٥١**

	الفصل الثاني: النَّتائج العامة للبحث.	**١٥٤**
	أولاً: الخصائص العامة لأفراد العيِّنة.	**١٥٥**
	ثانياً: التَّوزيعات التَّكرارية، والمتوسطات الحسابية، والوزن المئوي،، وآراء عيِّنة البحث لمتغيِّرات محاور البحث، وتوزيع المستويات الثَّلاثة لأبعاد المقياس.	**١٥٨**
	ثالثاً: اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (متغيرات الدِّراسة عند المقارنة مع الدَّرجة (٣)	**١٧٥**
	الفصل الثّالث: العلاقات بين متغيرات البحث(المجموعات المستقلَّة)	**١٨٢**
	أولاً: اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات البحث – الجنس)	**١٨٣**
	ثانياً: اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات البحث – مكان الإقامة)	**١٩١**
	ثالثاً: اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات البحث – الكلِّيَّة)	**٢٠١**
	الفصل الرابع: العلاقات بين متغيرات البحث (المتغيرات الأساسية)	**٢١١**
	أولاً: العلاقات بين متغيرات البحث.	**٢١٢**
	١- العلاقة بين التَّفكير الدِّيني والتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢١٢**
	٢- العلاقة بين الاعتقاد بالسِّحر والتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢١٥**
	٣- العلاقة بين العادات والتَّقاليد(الثَّأر- النّسب) والتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢١٧**

	٤- العلاقة بين النَّظرة لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢١٩**
	٥- العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢٢٠**
	٦- العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢٢٢**
	٧- العلاقة بين المعوقات الاجتماعية ككل والتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢٢٤**
	ثانياً: اختبار T-test للمجموعات المترابطة (متغير المعوقات الاجتماعية – متغير التَّفكير العقلاني)	**٢٢٥**
	ثالثاً: اختبار (Friedman) فريدمان لمعرفة الفروق بين المعوقات الاجتماعية للتَّفكير العقلاني العلمي.	**٢٢٦**
	رابعاً: ملخص نتائج البحث.	**٢٢٩**
	خامساً: المقترحات.	**٢٣٨**
	مصادر ومراجع البحث.	**٢٤٠**
	ملاحق البحث.	**٢٥٣**
	ملخص البحث باللغة الأنكليزية	**٢٧٠**

فهرس الجداول

الجدول (1): يبين خطوات توزع عينة البحث من الأجزاء المختارة من المجتمع الأصلي.	١٣٤
الجدول (2): توزيع أفراد العيِّنة حسب الكلِّيَّات وفق نسبتهم من مجموع طلاب جامعة دمشق.	١٣٥
الجدول (3): يبين حجم الخطأ المسموح بالنّسبة لحجم المجتمع الأصلي.	١٣٦
الجدول (4): يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور التَّفكير الدِّيني.	١٤٠
الجدول (5): يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور الاعتقاد بالسِّحر.	١٤١
الجدول (6): يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور العادات والتَّقاليد.	١٤٢
الجدول (7): يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة.	١٤٣
الجدول (8): يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور التَّمسُّك بالتُّراث.	١٤٤
الجدول (9): يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور درجة الوعي بالمواطنة	١٤٥
الجدول (10): يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور هذه العبارات.	١٤٦
الجدول (11): اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الأوَّل (التَّفكير الدِّيني) لعينة استطلاعية.	١٤٨
الجدول (12): اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الثَّاني (الاعتقاد بالسِّحر)	١٤٩

الجدول (13): اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الثَّاني (العادات والتَّقاليد)	١٤٩
الجدول (14): اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الرَّابع (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة)	١٤٩
الجدول (15): اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الخامس (التَّمسُّك بالتُّراث)	١٥٠
الجدول (16): اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور السَّادس (الوعي بمبدأ المواطنة)	١٥٠
الجدول (17): اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور السَّابع (التَّفكير العقلاني العلمي)	١٥١
الجدول (18):) يبين توزع عينة البحث حسب متغير الجنس.	١٥٥
الجدول (19): يبين توزع عينة البحث حسب متغير مكان الإقامة.	١٥٦
الجدول (20): يبين توزع عينة البحث حسب متغير الكلِّيَّة.	١٥٧
الجدول (21): يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الأوَّل (التَّفكير الدِّيني)، والوسط الحسابي، و الوزن المئوي لكل عبارة.	١٥٨
الجدول (22): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع)لآراء عينة البحث لبعد التَّفكير الدِّيني.	١٥٩
الجدول (23): يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الثَّاني (الاعتقاد بالسِّحر)، والوسط الحسابي، و الوزن المئوي لكلِّ عبارة.	١٦٠
الجدول (24): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد الاعتقاد بالسِّحر.	١٦١
الجدول (25): يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الثَّالث (درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب)، والوسط الحسابي، و الوزن المئوي لكلِّ عبارة.	١٦٢
الجدول (26): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب).	١٦٣

الجدول (27): يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الرَّابع (نظرة الطَّالب لمكانة المرأة الموروثة في المجتمع) والوسط الحسابي، و الوزن المئوي لكلِّ عبارة.	١٦٤
الجدول (28): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد نظرة الطَّالب لمكانة المرأة الموروثة في المجتمع.	١٦٥
الجدول (29): يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الخامس (درجة التَّمسُّك بالتُّراث) والوسط الحسابي، والوزن المئوي لكلِّ عبارة.	١٦٦
الجدول (30): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد درجة التَّمسُّك بالتُّراث.	١٦٧
الجدول (31): يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور السَّادس (درجة الوعي بمبدأ المواطنة) والوسط الحسابي، والوزن المئوي لكلِّ عبارة.	١٦٨
الجدول (32): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث (الوعي بمبدأ المواطنة).	١٦٩
الجدول (33): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث للمعوقات الاجتماعية ككل.	١٧٠
الجدول (34): يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور السَّابع (التَّفكير العقلاني العلمي) والوسط الحسابي، و الوزن المئوي لكلِّ عبارة .	١٧١
الجدول (35): يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد التَّفكير العقلاني العلمي.	١٧٣
الجدول (36): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (التَّفكير الدِّيني عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)	١٧٤
الجدول (37): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (الاعتقاد بالسِّحر عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)	١٧٥
الجدول (38): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (العادات والتَّقاليد عند المقارنة	١٧٦

مع الدَّرجة ٣)	
الجدول (39): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة مع الدَّرجة ٣)	١٧٧
الجدول (40): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (التُّراث عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)	١٧٨
الجدول (41): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (الوعي بمبدأ المواطنة عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)	١٧٩
الجدول (42): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (المعوقات الاجتماعية ككل عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)	١٨٠
الجدول (43): يبين اختبار T-test لمجموعةٍ واحدةٍ (التَّفكير العقلاني العلمي عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)	١٨٠
الجدول (44): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير الدِّيني – الجنس)	١٨٣
الجدول (45): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الاعتقاد بالسِّحر – الجنس)	١٨٤
الجدول (46): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (العادات والتَّقاليد – الجنس)	١٨٥
الجدول (47): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (النَّظرة الموروثة للمرأة– الجنس)	١٨٦
الجدول (48): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّمسُّك بالتُّراث – الجنس)	١٨٧
الجدول (49): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (درجة الوعي بمبدأ المواطنة – الجنس)	١٨٨
الجدول (50): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (المعوقات الاجتماعية	١٩٠

ككل – الجنس)	
الجدول (51): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير العقلاني العلمي – الجنس)	١٩١
الجدول (52): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير الدِّيني – مكان الإقامة)	١٩٢
الجدول (53): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الاعتقاد بالسِّحر – مكان الإقامة)	١٩٣
الجدول (54): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (العادات والتَّقاليد – مكان الإقامة)	١٩٥
الجدول (55): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة – مكان الإقامة)	١٩٦
الجدول (56): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّمسُّك بالتُّراث – مكان الإقامة)	١٩٧
الجدول (57): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الوعي بمبدأ المواطنة – مكان الإقامة)	١٩٨
الجدول (58): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (المعوقات الاجتماعية ككل – مكان الإقامة)	١٩٩
الجدول (59): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير العقلاني العلمي – مكان الإقامة)	٢٠٠
الجدول (60): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير الدِّيني – الكلِّيَّة)	٢٠١
الجدول (61):) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الاعتقاد بالسِّحر – الكلِّيَّة)	٢٠٣
الجدول (62): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (العادات والتَّقاليد –	٢٠٤

الكلِّيَّة)	
الجدول (63): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة – الكلِّيَّة)	٢٠٥
الجدول (64): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّمسُّك بالتُّراث – الكلِّيَّة)	٢٠٦
الجدول (65): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الوعي بمبدأ المواطنة – الكلِّيَّة)	٢٠٧
الجدول (66): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (المعوقات الاجتماعية ككل– الكلِّيَّة)	٢٠٨
الجدول (67): يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير العقلاني العلمي – الكلِّيَّة)	٢٠٩
الجدول (68): يبين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين التَّفكير الدِّيني والتَّفكير العقلاني العلمي.	٢١٢
الجدول (69):يبين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين الاعتقاد بالسِّحر والتَّفكير العقلاني العلمي.	٢١٥
الجدول (70): يبين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد والتَّفكير العقلاني العلمي.	٢١٨
الجدول (71): يبين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي.	٢٢٠
الجدول (72): يبين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين التُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي.	٢٢١
الجدول (73): يبين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي.	٢٢٢
الجدول (74): يبين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين المعوقات الاجتماعية ككل	٢٢٤

والتَّفكير العقلاني العلمي.	
الجدول (75): يبين الاختبار T-test للمجموعات المترابطة (متغير المعوقات الاجتماعية – متغير التَّفكير العقلاني العلمي)	**٢٢٥**
الجدول (76): يبين اختبار (Friedman) فريدمان لمعرفة الفروق بين أنواع المعوقات الاجتماعية.	**٢٢٦**

فهرس الأشكال	
عنوان الشَّكل	**رقم الصَّفحة**
شكل (١) يوضح توزع أفراد العينة حسب متغير الجنس	**١٥٥**
الشكل (٢) يوضح توزع أفراد العينة حسب متغير الإقامة	**١٥٦**
الشكل (٣): يوضح توزع أفراد العينة حسب متغير الكلية	**١٥٧**
الشكل (٤): يوضح الفروق بين المعوقات الاجتماعية المختلفة .	**٢٢٧**

ملخَّص البحث

العقلانية: هي ذلك التَّفكير والسُّلوك الواعي الذي يتَّفق مع أحكام المنطق والمعرفة التَّجريبية، والذي يتَّسم بأهدافه المتمَّاسكة والمتزنة التي يمكن تحقيقها من خلال الواسطة الموضوعية العلمية. ويهدف البحث الحالي التَّعرُّف إلى دور المعوقات الاجتماعية (الدِّين، العادات والتَّقاليد، التُّراث، النَّظرة الموروثة عن مكانة المرأة، مبدأ المواطنة) في إعاقة التَّفكير العقلاني العلمي وأيهما أكثر إعاقةً للتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. والتَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. وقد اعتمَّد البحث الحالي على المنهج الوصفي التَّحليلي، وجُمِعت البيانات من طلبة جامعة دمشق بوصفها المجتمع الأصلي بطريقةٍ مسحيةٍ عبر استخدام الأداة الاستبانة؛ حيث بلغ حجم العيِّنة(455) مفردة، واقتصرت على 1% من حجم المجتمع الأصلي حيث بلغ (45134)؛ حيث اعتبرت وحدة العيِّنة الطَّالب الجامعي (ذكر- أنثى) المسجل في إحدى كليات جامعة دمشق ضمن القبول العام أو الموازي 2015 - 2014، وموزعة على كلياتٍ تطبيقيةٍ ونظريةٍ (إنسانية)، وقد تمَّ اختيار عينة البحث وفق الطَّريقة العشوائية متعددة المراحل. كما وُضِع مقياسٌ للمعوقات الاجتماعية، وآخر لقياس التَّفكير العقلاني العلمي. وتمَّ التحقُّق من كفايته العلمية استناداً للمعايير الأساسية لأيِّ مقياسٍ علميٍّ. وبعد ذلك تمَّت المعالجة الإحصائية للبيانات باستخدام برنامج spss الإحصائي، وقد توصل البحث إلى نتائج من أهمها:

- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي والتَّفكير الدِّيني علاقة عكسية؛ أي: كلما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ نقصت درجة التَّفكير الدِّيني والعكس صحيح.
- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي والنَّظرة الموروثة عن مكانة المرأة علاقة عكسية؛ أي: كلما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ نقصت درجة النَّظرة الموروثة عن مكانة المرأة والعكس صحيح.

- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي ودرجة التَّمسُّك بالتُّراث علاقة عكسية؛ أي: كلما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ نقصت درجة التَّمسُّك بالتُّراث والعكس صحيح.
- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي ودرجة الوعي بمبدأ المواطنة علاقة طردية؛ أي: كلما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي زادت درجة الوعي بمبدأ المواطنة.
- أظهر البحث أنَّ أكثر المعوقات الاجتماعية التي تقف عائقاً في وجه التَّفكير العقلاني العلمي هي التَّفكير الدِّيني، وغياب المواطنة.

وتمَّ تطبيق النظريَّة العامة في العقلانية على نتائج البحث الميداني.

المقدِّمة

يُعَدُّ التفكير إحدى العمليَّات العقليَّة المعرفيَّة الكامنة وراء تطوُّر الحياة الإنسانيَّة، وسيطرة الإنسان على الطبيعة، ووراء الاكتشافات التي يتغلَّب بها الإنسان على ما يواجهه في الحياة من مصاعبَ ومشكلاتٍ. بل إنَّ معظم الإنجازات العلميَّة التي حقَّقتها البشريَّة مبنيَّةٌ على عمليَّة التفكير غير أنَّ ارتباطها بنظام العقل باعتباره مجموعة المفاهيم المعقدة والمتشابكة فيما بينها، والتي لا يمكن فهمها إلا من خلال شبكة العلاقات العامَّة التي تربط فيما بينها، و ذلك لا يعني اعتماد مفهومٍ بنائيٍّ جامدٍ للعقل يفصله عن شروطه الاجتماعيَّة والتاريخيَّة، وإنَّما النظر إلى تركيبة العقل البشريِّ كخلاصةٍ لتجربةٍ إنسانيَّةٍ وحضاريَّةٍ معيَّنةٍ؛ لذلك العقل هو من جهةٍ انعكاسٌ للشروط الاجتماعيَّة والتاريخيَّة التي أنتجتها والظروف التي بلورتها، كما أنَّه متَّصلٌ من جهةٍ ثانيةٍ بمبادئ التفكير العقليِّ المشتركة بين سائر الحضارات.

فالعقلانيَّة ليست تيَّاراً أو مذهباً بل هي نزعةٌ ومنهجٌ يتطوَّر حسب الظروف والزمان والمكان. وبذلك كلُّ مراحل التفكير التي مرَّ بها العقل البشريُّ كانت شكلاً من أشكال العقلانيَّة؛ أي: كان الإنسان يستخدم عقله ويتصوَّر الحياة والكون تصوُّراً منظَّماً متكاملاً، وقد تمَّ التوصُّل إلى مرحلة التفكير العقلانيِّ الوضعيِّ بعد معاناةٍ طويلةٍ من صراع الإنسان مع التفكير الغيبيِّ، وما أعقبه من ثوراتٍ اجتماعيَّةٍ وسياسيَّةٍ في أوروبا، وقيام الثورة العلميَّة التي استطاعت إسقاط كلِّ ما هو خارقٌ للطبيعيِّ أو الغيبيِّ، وبذلك تمَّ الالتحام بين العقلانيَّة والعلم فسُمِّيت العقلانيَّة العلميَّة، فالشكل الأرقى من التفكير البشريِّ هو التفكير العقلانيّ العلميّ الذي يقف حتَّى الآن أمام انتشاره عقباتٌ كبيرةٌ في المجتمع العربيِّ؛ كالدين، وجملة العادات والتقاليد المتجذِّرة في البنية الاجتماعيَّة، وضعف مبدأ المواطنة، وغياب المجتمع المدنيِّ، والنظرة الدونيَّة للمرأة والتي جعلت من المجتمع العربي في آخر المجتمعات العالميَّة، يرزح تحت السلطة الاجتماعيَّة الغيبيَّة من سحرٍ وخرافةٍ وجهلٍ. ولما كان كذلك كان من المهمِّ دراسة المعوِّقات الاجتماعيَّة للتفكير العقلانيِّ، وبحكم أنَّ الطلبة الجامعيِّين يُعَدُّون من الشريحة المثقفة في المجتمع الذين يقومون بنقل الأفكار إلى الشرائح الأخرى من المجتمع، ويقع على عاتقهم بناء المستقبل، وتقدُّم الوطن؛ فقد تمَّ التوجُّه إليهم.

ويهدف البحث الحاليُّ إلى معرفة المعوّقات الاجتماعيَّة للتفكير العقلانيِّ لدى طلبة جامعة دمشق، والتعرُّف إلى درجة التفكير الدينيِّ والسحريِّ، ودرجة التمسُّك بالعادات والتقاليد والتراث لدى الطلبة، والتعرُّف إلى درجة التفكير العقلانيِّ العلميِّ، وقد اعتمد البحث الحاليُّ على المنهج الوصفيِّ التحليليِّ، وجُمِعَت البيانات من طلبة جامعة دمشق بوصفها المجتمع الأصليّ الذي بلغ حجمه بعد اتِّباع الخطوات المنهجيَّة للعيِّنة متعدِّدة المراحل (45134) طالباً وطالبةً بطريقةٍ مسحيَّةٍ عبر استخدام الأداة الاستبانة؛ حيث بلغ حجم العيِّنة(455) مفردةً، واقتصرت على 1% من حجم المجتمع الأصليِّ؛ حيث اعتبرت وحدة العيِّنة الطالب الجامعيّ (ذكر- أنثى)المسجِّل في إحدى كلِّيَّات جامعة دمشق، ضمن القبول العام أو الموازي 2015 - 2014، وموزَّعةً على كلِّيَّاتٍ تطبيقيَّةٍ ونظريَّةٍ، وقد تمَّ اختيار عيِّنة البحث وفق الطريقة العشوائيَّة متعدِّدة المراحل. كما وُضِع مقياسٌ للمعوّقات الاجتماعيَّة، وآخر لقياس التفكير العقلانيِّ العلميِّ. وتمَّ التحقُّق من كفايته العلميَّة استناداً للمعايير الأساسيَّة لأيِّ مقياسٍ علميٍّ. وبعد ذلك تمَّت المعالجة الإحصائيَّة للبيانات باستخدام برنامج spss الإحصائيِّ، وتمَّ تطبيق النظريَّة العامَّة في العقلانيَّة على نتائج البحث الميدانيِّ، وقد اختُتِم البحث بوضع مجموعةٍ من المقترحات التي من الممكن الاستفادة منها في تجاوز العقليَّة المتخلِّفة.

وكانت الخطَّة لإنجاز هذا العمل كما يلي:

مقدِّمة: تتضمَّن تعريفاً بموضوع الرسالة، والعناصر النظريَّة، والعملية المتعلِّقة به، كما تتضمَّن قراءةً وتحليلاً للخطَّة المعتمدة.

ثمَّ قُسِّمت الرسالة إلى بابين؛ الباب الأول: البحث النظريّ، والباب الثاني: البحث الميدانيّ.

وتمَّ تقسيم الباب النظريّ إلى خمسة فصولٍ:

الفصل الأوَّل: عنوانه، الإطار المنهجي للبحث، ويتضمَّن ما يلي: مشكلة البحث وتساؤلاته، أهمِّيَّة البحث، أهداف البحث، الدراسات السابقة، مفاهيم البحث.

الفصل الثاني بعنوان: التفكير العقلاني، ويتضمَّن مفهوم التفكير العقلانيّ، والتحوُّلات التاريخيَّة للتفكير العقلانيّ، والعقلانيَّة العلميَّة.

أمَّا الفصل الثالث والرابع والخامس فيتناول المعوّقات الاجتماعيَّة للتفكير العقلانيّ:

الفصل الثالث بعنوان: العادات والتقاليد، ويتضمَّن مفهوم العادات والتقاليد، العادات والتقاليد كعقبةٍ في وجه التفكير العقلانيّ العلميّ، اتِّجاهات التراث والحداثة في عقليَّة الشباب.

الفصل الرابع بعنوان: الدين، ويتضمَّن مفهوم الدين، وآراء المعتزلة وابن رشد حول قضيَّة الدين والعقل، وعلاقة الصراع بين الدين والتفكير العقلانيّ العلميّ، وأمثلةً عن الظاهرة الدينيَّة في المجتمع العربيّ، والأطروحات الفكريَّة لحلِّ أزمة التفكير الغيبيّ في المجتمع العربيّ.

الفصل الخامس بعنوان: غياب المجتمع المدنيّ، وضعف مبدأ المواطنة، ويتضمَّن مفهوم المجتمع المدنيّ، والعقبات التي تقف أمام بناء المجتمع المدنيّ، والعلاقة الجدليَّة بين التفكير العقلانيّ العلميّ والمجتمع المدنيّ، ومفهوم المواطنة، والعقبات التي تقف أمام ترسيخ مبدأ المواطنة، والعلاقة الجدليَّة بين مبدأ المواطنة والتفكير العقلانيّ العلميّ.

الباب الثاني: البحث الميداني:

الفصل الأوَّل بعنوان: الإجراءات المنهجيَّة المتعلِّقة بجمع وتحليل معطيات البحث، ويتضمَّن مايلي: منهج البحث، ومتغيِّرات البحث، وفرضيَّات البحث، والتعريفات الإجرائيَّة، ومجالات البحث، ومجتمع البحث الأصليّ، والخصائص الضابطة للعيِّنة، وتصميم الاستمارة، والأساليب الإحصائيَّة المستخدَمة في البحث الميدانيّ.

الفصل الثاني بعنوان: النتائج العامَّة للبحث، ويتضمَّن مايلي: الخصائص العامَّة لأفراد العيِّنة، والتوزيعات التكراريَّة، والمتوسِّطات الحسابيَّة، والوزن المئويّ، وترتيب الفقرات الأكثر إيجابيّةً، وتوزيع المستويات الثلاثة لأبعاد المقياس، واختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ.

الفصل الثالث بعنوان: العلاقات بين متغيِّرات البحث (المجموعات المستقلَّة)، ويتضمَّن مايلي: اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيِّرات البحث- الجنس)، اختبار T-testللمجموعات المستقلَّة (متغيِّرات البحث- مكان الإقامة)، اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيِّرات البحث- الكلِّيَّة) .

الفصل الرابع بعنوان: العلاقات بين متغيِّرات البحث (المتغيِّرات الأساسيَّة)، ويتضمَّن ما يلي: العلاقات الارتباطيَّة بين متغيِّرات البحث، واختبار T-test للمجموعات المترابطة(متغيِّر

المعوّقات الاجتماعيَّة- متغيِّر التفكير العقلانيّ العلميّ)، اختبار فريدمان لمعرفة الفروق بين المعوّقات الاجتماعيَّة للتفكير العقلانيّ العلميّ.

وتضمَّن البحث مقترحاتٍ وخاتمةً؛ حيث تضمَّنت الخاتمة : أبرز النتائج النظريَّة والميدانيَّة، وملخَّصاً باللغة العربيَّة والإنكليزيَّة، كما تمَّ تطبيق النظريَّة العامَّة في العقلانيَّة على نتائج البحث الميدانيّ.

الباب الأول: الإطار النظري

الفصل الأوَّل: الإطار المنهجي للبحث:

أوّلاً_ مشكلة البحث وتساؤلاته:

يُعدُّ التفكير متغيِّراً اجتماعيّاً يختلف حسب الزمان والمكان انطلاقاً من سعي الإنسان إلى التغيير في نمط حياته، ومعيشته، وتأمين حاجاته، ومحاولاته لتفسير الحياة، والكون، وفكِّ رموز الطبيعة، فقد مرَّت المجتمعات الإنسانيَّة بمراحل تفكيرٍ عديدةٍ من مرحلة التفكير الأسطوريّ إلى مرحلة التفكير الفلسفيّ، ثمَّ مرحلة التفكير العقلانيّ العلميّ – على الرغم من حالات المدِّ والجزر في عمليَّة تطوُّر الفكر البشريّ– ممَّا يجعلنا نشاهد جميع حالات التفكير تلك في المرحلة الحاليَّة. وقد تمَّ التوصُّل إلى مرحلة التفكير العقلانيّ العلميّ بعد معاناةٍ طويلةٍ من صراع الإنسان مع التفكير الغيبيّ، وما أعقبه من ثوراتٍ اجتماعيَّةٍ وسياسيَّةٍ أدَّت إلى تغييرٍ في مفاهيمَ ومتغيِّراتٍ عديدةٍ سواءٌ أكانت في الحياة الاجتماعيَّة أو الطبيعيَّة، عندها بدأ تأسيس الوعي الأوروبيّ على قواعدَ وأسسٍ جديدةٍ تقوم بنقد التراث نقداً إصلاحيّاً؛ للتطوُّر إلى حركةٍ نقديَّةٍ تهدف إلى حسم موقف العقل من التراث، فأصبحت العقلانيَّة تتويجاً للعقل الذي أصبح سلطاناً على كلِّ شيءٍ، وبالتالي العقلانيَّة ليست مذهباً أو أيديولوجيّةً يتمُّ الترويج لها، بل هي إنجازاتٌ علميَّةٌ وفكريَّةٌ نهضت بكلِّ جوانب الحياة، ولدى جميع الشعوب سواءٌ قبلنا بمنهجها في الحياة أم رفضنا.فالعقل البشريُّ نتاجٌ لتراكم المعلومات والخبرات والمعارف التي يمرُّ بها الإنسان والتي تتحوّل إلى أفكارٍ وقناعاتٍ تشكّل عقليّةً معيَّنةً، إذاً العلاقة العضويَّة التي تربط الفرد بالمحيط الاجتماعيِّ والثقافيِّ تشكِّل عقليّةً محدَّدةً. فالإنسان ابن بيئته ووعيه هو نتاج هذه البيئة؛ لذلك عقليَّة أيِّ مجتمعٍ هي وليدة ظروفٍ اجتماعيّةٍ وتاريخيّةٍ. ومن هنا يقال: (عقليَّةٌ تقليديَّةٌ)؛ أي: العقليَّة التي تحكمها العادات، والتقاليد، والأعراف، والأفكار الغيبيَّة تقليداً للمحيط الاجتماعيِّ الذي تربَّى به الإنسان، فعمليَّة التفكير ذاتها لا تتمُّ إلا داخل ثقافةٍ معيَّنةٍ وبواسطتها. فعندما نتحدَّث عن مجتمعٍ عربيٍّ؛ نتحدَّث عن عقليَّةٍ مرتبطةٍ بالموروث الثقافيّ، والمحيط الاجتماعيّ. فالعقليَّات التقليديَّة المغلقة التي تدور في فلك التراث، والعادات والتقاليد الموروثة، وتعتقد بالغيبيَّات، وتعاني من ضعف تطبيق مبدأ المواطنة، وغياب المجتمع المدنيّ تنتمي إلى مرحلةٍ سابقةٍ من التطوُّر الاجتماعيّ والفكريّ؛ بالتالي فإنَّ العقليَّة السائدة في المجتمع هي التي تحكم على درجة تطوُّره الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ، وما نشاهده في المجتمع العربيّ من ظواهرَ عديدةٍ

للتفكير اللاعقلاني المتمثِّل في الاعتقاد بقراءة الفنجان، والتصديق بكلام الأبراج، واللجوء للمشعوذين لعلاج بعض الأمراض، والنظرة للمرأة نظرةً دونيّةً، وربط الإنجازات العلميَّة بنصوصٍ مقدَّسةٍ، واعتبار الدين منهجاً صالحاً لقيادة المجتمع والدولة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، والدفاع المستميت عن جماعةٍ أو نظامٍ على حساب جماعةٍ أخرى، وعدم تقبُّل الآخر، وغياب ثقافة الحوار، والخوف من المستقبل، والحكم على الكثير من المسائل بعيداً عن الموضوعيَّة، كلّ هذا بدوره أدَّى إلى صراعاتٍ وأزماتٍ في البلدان العربية، ليس فقط نتيجة اختلاف طريقة التفكير بين أبناء المجتمع الواحد، بل عندما تصل المناقشات والرؤى بين الأطراف إلى حدِّ إلغاء الطرف الآخر، وقناعة كلِّ طرفٍ بأنَّه يمتلك الحقيقة المطلقة. ومن الممكن أن تكون العادات والتقاليد المتجذِّرة في البنية الاجتماعيَّة لها الدور الأكبر في تثبيت جذور التفكير غير العقلاني، والذي أنتج أناساً متخلِّفين عن ركب التطوُّر الحاصل في العالم. أو قد يكون لدور العبادة ورجال الدين ذلك الدور في إعاقة التفكير العقلانيّ، إلى جانب ضعف تطبيق مبدأ المواطنة في المجتمع، وما أعطاه من دفعٍ للمؤسَّسات التقليديَّة في تسيير المواطن العربيّ، وتركه فريسةً سهلةً أمام التيَّارات الفكريَّة المتاحة، كما أنَّه قد يكون هناك تقصيرٌ في الأداء التربويّ ومؤسَّساته بتوعية الطلَّاب بتبنِّي التفكير العقلانيّ العلميّ الذي يقوم بدورٍ كبيرٍ في صنع الإنسان السويِّ، وعلى الرغم من أنَّفئة الطلبة الجامعيِّين بما وصلت إليه من تحصيلٍ علميٍّ، وما تتعرَّض له من معلوماتٍ ومعارفَ تجعلها الفئة المثقَّفة في المجتمع، والتي تُبنَى الآمال عليها في تحقيق التغيير، وتقدُّم المجتمع، وطرح الأفكار العلميَّة والموضوعيَّة، ومهمَّة نقل الأفكار إلى باقي شرائح المجتمع، نلاحظ وجود شريحةٍ من هؤلاء الطلاب تتمثَّل تلك الأفكار المغايرة للعقل والمنطق؛ ما يجعل من الضروريِّ التوجُّه إلى هذه الفئة بالذات؛ لمحاولة كشف المعوِّقات الاجتماعيَّة التي تقف في وجه التفكير العقلانيّ العلميّ.

وينطلق البحث من التَّساؤلات التَّالية:

التَّساؤل الرَّئيسي :ما هي العلاقة بين المعوقات الاجتماعية (التَّفكير الدِّيني- الاعتقاد بالسِّحر- العادات والتَّقاليد (الثَّأر- والنّسب-) والتُّراث- الوعي بمبدأ المواطنة - النَّظرة لمكانة المرأة) والتَّفكير العقلاني العلمي.

ويتفرَّع عن التَّساؤل الرَّئيسي الأسئلة الفرعية التَّالية:

١-ما هو جوهر التَّفكير العقلاني العلمي ؟

٢- إلى أيِّ حدٍّ يسيطر التَّفكير الدِّيني، والاعتقاد بالسِّحر، والتَّفكير العقلاني العلمي على بنية الوعي لدى طلبة جامعة دمشق ؟ وكيف يعيق التَّفكير الدِّيني والاعتقاد بالسِّحر انتشار التَّفكير العقلاني العلمي؟

٣- ما هو شكل العلاقة البنيوية بين التَّفكير العقلاني والتَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) والتُّراث ؟ وكيف يعيق التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) والتَّمسُّك بالتُّراث انتشار التَّفكير العقلاني العلمي؟

٤- ما هو شكل العلاقة البنيوية بين التَّفكير العقلاني العلمي و الوعي بالمواطنة؟ وكيف الوعي بالمواطنة يؤثر على انتشار التَّفكير العقلاني العلمي؟

٥- ما هو شكل العلاقة البنيوية بين التَّفكير العقلاني العلمي والنَّظرة لمكانة المرأة؟ وكيف ترتبط النَّظرة التَّقليدية لمكانة المرأة في المجتمع على إعاقة التَّفكير العقلاني العلمي؟

ثانياً – أهمِّيَّة البحث:

تنبع أهمِّيَّة البحث من الأحداث المتلاحقة في المجتمعات العربيَّة عموماً، والمجتمع السوريّ على وجه الخصوص الذي يعيش عمليَّة مخاضٍ عسيرةً جرَّاء الأزمة التي يمرُّ بها، وما يحدث من صراعاتٍ بين التيَّارات الفكريَّة المختلفة ضمن المجتمع والتي قد يكون لنمط التفكير دورٌ فعَّالٌ في نشوئها؛ حيث الفكر هو الأساس المحرِّك للسلوكيَّات في المجتمع، من هنا نجد الحاجة ملحّةً لتناول التفكير العقلانيّ بالدراسة والتحليل، والمعوِّقات الاجتماعيَّة التي تحدُّ منه؛ لمحاولة الوصول لتفسير ما يحدث في الواقع.

كما تأتي أهمِّيَّة البحث من خلال محاولاتها الكشف عن الأسباب الحقيقيَّة التي تكمن وراء العقليَّة المتخلِّفة في المجتمع العربيّ، وتقديم رؤيةٍ جديدةٍ تسهم في بناء جيلٍ ذي تفكيرٍ علميٍّ مؤمنٍ بالقيم العلميَّة والمدنيَّة، وثقافة الحوار، وتكريس قيم العقل، وتقبُّل الآخر على أساسٍ قائمٍ من وعيٍ بظروف المرحلة الرَّاهنة.

وتأتي أهمِّيَّة البحث أيضاً من تناوله لفئةٍ مهمَّةٍ في المجتمع؛ حيث تلعب فئة الشباب الدور الرئيسيَّ في تطوير المجتمعات، وبناء المستقبل، وبالتالي كشف نوع التفكير لدى هذه الفئة ضروريٌّ في التنبُّؤ بحالة المجتمع، وتحديد مساره، والوصول إلى العقلانيَّة كمنهجٍ ومطلبٍ حضاريٍّ يتمُّ تطبيقه على الحياة الاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والثقافيَّة، والدينيَّة.

كما يتناول موضوعاً يُعَدُّ من أبرز المواضيع التي شغلت المجتمعات الإنسانيَّة والعقل الإنسانيّ في العصر الحديث، مع ما يثيره تناول هذا الموضوع للبحث في مجتمعاتنا من التوجُّس والخوف لدى الباحثين؛ لما تتطلَّبه دراسته من الخوض في تفاصيلَ حسَّاسةٍ في مجتمعاتنا تُعَدُّ من التابوهات غير المتاحة للنقاش والنقد.

إضافةً إلى أنَّها من أولى الأبحاث التي تقارب موضوع التفكير العقلانيّ في البنية الاجتماعيَّة السوريَّة، ممَّا سيمهِّد للتخطيط لأبحاثٍ مستقبليّةٍ تتعمَّق في تحليل وتفسير كلٍّ من المعوِّقات الاجتماعيَّة التي تقف عقبةً أمام تقدُّم المجتمع.

ثالثاً – أهداف البحث :

١- تسليط الضَّوء على جوهر التَّفكير العقلاني.

٢- التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير الدِّيني، والاعتقاد بالسِّحر، وعلاقته بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

٣- التَّعرُّف إلى درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد(الثَّأر- النّسب) والتُّراث وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

٤- التَّعرُّف إلى نظرة الطَّالب(ة) الجامعي لمكانة المرأة في المجتمع وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

٥- التَّعرُّف إلى مدى الوعي بمبدأ المواطنة وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

٦- التَّعرُّف إلى دور المعوقات الاجتماعية ككل في إعاقة التَّفكير العقلاني العلمي، وأيهما أكثر إعاقةً للتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

٧- التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

٨- إمكانية تقديم مقترحاتٍ علميةٍ وعمليةٍ مبنيةٍ على رؤيةٍ واقعيةٍ تساهم جديَّاً في تجاوز العقلية المتخلفة، ووضع أسس ومبادئ الوصول إلى التَّفكير العقلاني العلمي بما يحقق التَّقدم والتَّنمية الشاملة للمجتمع .

رابعاً –الدِّراسات السَّابقة :

١- دراسة محمد صهيب مزنوق بعنوان تنمية التَّفكير العقلاني وأثره على الضُّغوط النَّفسية لدى المراهقين(بحث تجريبي) لنيل درجة الدُّكتوراه في الآداب (علم النَّفس) جامعة عين شمس عام ١٩٩٩.تهدف الدِّراسة إلى إعداد برنامجٍ تعليمي- تدريبي يستند إلى التّقنيات المستخدمة في المنهج العقلاني الانفعالي، والتَّأكد من مدى فعاليته في تنمية التَّفكير العقلاني لدى عينةٍ من المراهقين في المرحلة الجامعية، ومعرفة ما إذا كانت تنمية التَّفكير العقلاني أو دحض التَّفكير اللَّاعقلاني؛ تؤدي إلى خفض الضَّغط النَّفسي، ومعرفة ما إذا كان البرنامج المستخدم أكثر فعاليةً مع جنسٍ معينٍ(ذكور أو إناث) دون الجنس الآخر.

استُخدِم نوعان من المناهج البحثية – المنهج التَّجريبي؛ حيث يتمَّ من خلاله التَّعرُّف على مدى تأثير البرنامج والجنس – كمتغيرين مستقلين- على التَّفكير العقلاني – اللَّاعقلاني والضَّغط النَّفسي -كمتغيرين تابعين- من خلال المعالجة الإحصائية لدرجات أفراد المجموعتين – التَّجريبية والضَّابطة – على المقياسين المستخدمين في الدِّراسة. – المنهج الإكلينيكي (أو منهج دراسة الحالة). تكونت العيِّنة من (٧٠) طالباً وطالبة في المرحلة الجامعية الأولى من كلِّيَّة الآداب قسم علم النَّفس – جامعة حلوان. وُزِّعوا على مجموعتين: مجموعة تجريبية، ومجموعة ضابطة.

نتائج الدِّراسة:

١- أدى البرنامج المستخدم في هذه الدِّراسة إلى تنمية التَّفكير العقلاني، ودحض التَّفكير اللَّاعقلاني لدى أفراد المجموعة التَّجريبية عند مقارنتهم بأفراد المجموعة الضَّابطة.

٢- لم يكن هناك فرقٌ دالٌّ بين الذُّكور والإناث في التَّفكير العقلاني – اللَّاعقلاني بعد تنفيذ البرنامج بصرف النَّظر عن البرنامج؛ بمعنى أنَّه لا يوجد تأثيرٌ دالٌّ للجنس على التَّفكير العقلاني – اللَّاعقلاني.

٣- إنَّ عملية دحض التَّفكير اللَّاعقلاني وتنمية التَّفكير العقلاني قد أدت إلى خفض الضَّغط النَّفسي لدى أفراد المجموعة التَّجريبية عند مقارنتهم بأفراد المجموعة الضَّابطة بصرف النَّظر عن الجنس.

٤- هناك تأثيرٌ إيجابيٌّ للبرنامج المستخدم في هذه الدِّراسة على متغيرات أخرى كثيرة؛ مثل: النَّظرة للذَّات، والاكتئاب، والاتِّصال مع الآخرين.

٥ – هناك فرقٌ دالٌّ بين الذُّكور والإناث على مقياس الضَّغط النَّفسي لصالح الذُّكور.

٢– دراسة علي وطفة بعنوان اتِّجاهات التَّقليد والحداثة في العقلية العربية السَّائدة: دراسة في المضامين الخرافية للتَّفكير لدى عينةٍ من المجتمع الكويتي عام ٢٠٠٢. تهدف الدِّراسة إلى الكشف العلمي وليس إلى تحليل عوامل تشكل هذه الظاهرة؛ حيث تتجه إلى تحليل ظاهرة التَّفكير الخرافي وأبعاده في المجتمع الكويتي المعاصر. وقد أجريت الدِّراسة على عينةٍ شملت ألف وثلاثة (١٠٠٣) من المثقفين في الكويت، موزعة بين طلاب جامعة وموظفين ومعلمين، حيث بلغ عدد الذكور في هذه العيِّنة ٣٩ % مقابل ٦١ % من الإناث. واعتمَّدت الدِّراسة منهج البحث الوصفي باستخدام استبانة محكمة لقياس نسق الانتمَّاءات السَّائدة في المجتمع. نتائج الدِّراسة:

١- إنَّ شريحةً كبيرةً من أفراد العيِّنة تؤمن بالخرافات والسِّحر، وإنَّ الاعتقاد الخرافي يختلف من مؤشرٍ إلى آخر.

٢- إنَّ الإيمان بفكرة الحسد تتصدر سلم الاعتقاد الخرافي بنسبة ٧٢ % من حجم العينة بأنَّهم يخشون من الحسد على من يحبون، يليها فكرة الخوف من الأماكن المهجورة

٤٤ % من حجم العينة، ويلي هذا الإيمان بالأرواح الشريرة، والتمَّائم، والتَّعويذات، وأخيراً استحضار الأرواح، وقراءة الطَّالع.

٣- الإناث أكثر خوفاً من الأماكن المهجورة من الذُّكور

٤- الإناث أكثر إيماناً بمعتقد قراءة الطَّالع ومصداقيته من الذُّكور.

٣- دراسة وليد الخلف بعنوان: العقلانية ومشكلة التَّقدم في الفكر العربي المعاصر " القومي والليبرالي " نموذجاً رسالة أُعدِّت لنيل درجة الدُّكتوراه في الفلسفة، إعداد الطَّالب وليد عبد الكريم الخلف، جامعة دمشق، قسم الفلسفة، ٢٠٠٣. يهدف البحث إلى إبراز أنَّ إشكالية التَّقدم من حيث الجوهر تمثِّل إشكالية الحياة الإنسانية، وهي أيضاً إشكالية الوجود السِّياسي والاجتماعي البشري، وبالتَّالي يتَّضح بأنَّها واحدة من المسائل التي يجب الوقوف عندها وتحليلها وإبراز العناصر الفاعلة؛ لذلك إنَّ إثارتها والحديث فيها هي دعوةٌ للتَّأمل والتَّفكير والتَّغيير.

استخدم الباحث المنهج النَّقدي بصورتين؛ الأولى: نقدٌ داخليٌّ يقوم على قراءة النَّص قراءةً تفكيكيةً تحليليةً دون تعسفٍ أو تحميل النص ما لا يحتمَّل. الصُّورة الثَّانية: نقدٌ خارجيٌّ معتمَّدٌ على التَّوفيق الذي يجمع بين أصيلٍ موروثٍ وجديدٍ معاصرٍ، وكذلك اعتمَّد على المنهج التَّحليلي الذي يقوم على تحليل الآراء، ونقدها، واستخلاص النَّتائج، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

أهم النَّتائج التي توصل إليها الباحث:

١- إنَّ الفكر العربي يعاني من خللٍ بنيوي ناتجٍ عن ظروفٍ سياسيةٍ تمثَّلت بالغزو الاستعماري، بالإضافة إلى الاحتكاك والتَّحدي الثقافي.

٢- إنَّ الفكر العربي يعاني من مرض التَّخريب السِّياسي ضيق الأفق، الذي يغلب الأهواء والمصالح الفردية والمنافع الشَّخصية والفئوية على المصلحة العامة.

٣- الفكر مطعونٌ بتاريخيته نظراً لاختلاف مصادره، فهو منقسمٌ بين مصدرين؛ فالحاضر موجود في الماضي بالنّسبة إلى التُّراث، بينما المثقف الليبرالي يتوجه نحو المستقبل؛ للعثور على ما ينشده من حلول.

٤– دراسة جبرا الشوملي بعنوان : العلمانية في الفكر العربي المعاصر دراسة حالة فلسطين. أطروحة دكتوراه في الفلسفة عام ٢٠٠٥.يهدف البحث إلى تقديم ما هو جديدٌ ومميزٌ في حقل الثَّقافة والبحث العلمي عموماً، وفي حقل الثَّقافة الفلسطينية خاصَّةً، بما يساهم في إعلاء شأن الفكر العلمي ومقولاته العلمية.

اعتمَّدت الدِّراسة منهج التَّحليل التَّاريخي، وأسلوب تحليل المضمون، وتمَّ تقسيم الدِّراسة إلى خمسة فصول: الفصل الأوَّل: النَّزعات العقلانية في الفكر العربي –الإسلامي . الفصل الثَّاني: العلمانية في الفكر العربي المعاصر. الفصل الثَّالث: إرهاصات العلمانية في فلسطين. الفصل الرَّابع : العلمانية والحركة السِّياسية الفلسطينية المعاصرة. الفصل الخامس: نحو رؤيةٍ علمانيةٍ جديدةٍ.

أهم النَّتائج التي توصلت إليها الدِّراسة:

١– العلمانية في الفكر العربي – الإسلامي، ابتداءً من القرن السَّابع الميلادي حتى القرن العشرين، ظهرت على شكل نزعاتٍ عقلانيةٍ متدرجةٍ.

٢– تطورت العلمانية في الغرب من علمانيةٍ جذريةٍ إلى علمانيةٍ ليبراليةٍ تفصل بين الدِّين والدَّولة.

٣– صعدت القومية في الغرب بالتَّناقض الحاد مع الدِّين، بينما صعدت القومية في الوطن العربي بالتَّضامن بين العروبة والإسلام.

٤– تشكلت الهوية الوطنية الفلسطينية، منذ بداية القرن العشرين حتى منتصفه، بتأثير الإيديولوجية العلمانية (التَّحرر الوطني، والتَّحرر القومي)، في إطار الصِّراع ضد التَّتريك العثماني والحركة الصُّهيونية.

٥– دراسة محمد خليفة إبريني بعنوان : مفهوم العقل في الفكر الإسلامي الحديث: اللِّيبرالية والإصلاح الدِّيني في القرن التَّاسع عشر (نموذجاً)أطروحة ماجستير، جامعة بيروت العربية ٢٠٠٧. هدفت الدِّراسة إلى محاولة التعرف إلى البعد الفلسفي للفكر العربي في عصر النَّهضة عبر تتبع تطور مفهوم العقل لدى ممثلي الفكر العربي في القرن التَّاسع عشر. اعتمَّد الباحث على المنهج

التَّاريخي التَّحليلي المقارن: تاريخي؛ لأنَّه تناول الفكر العربي في عصر النهضة في سياقٍ تاريخيٍّ بين الظُّروف الاجتماعية والسِّياسية والثَّقافية التي نشأ فيها ذلك الفكر، تحليلي؛ لأنَّه حاول تحليل البناء المعرفي لكلٍّ منهم؛ بغية استخراج البنية الفلسفية القابعة خلف أطروحاته الاجتماعية والسِّياسية والتَّربوية، المقارن؛ لأنَّ النَّظر لأيِّ فكرٍ لا بدَّ أن يكون شاملاً. وتمَّ تقسيم الرِّسالة إلى خمسة فصول: الفصل الأوَّل: مفهوم العقل، الفصل الثَّاني: الأوضاع العامة في المنطقة العربية، الفصل الثَّالث: جذور الاتِّجاهين اللِّيبرالي، والإصلاح الدِّيني في العالم العربي، الفصل الرَّابع: مفهوم العقل في الاتِّجاه اللِّيبرالي، الفصل الخامس: مفهوم العقل وعلاقته بالشَّريعة لدى اتِّجاه الإصلاح الدِّيني.

نتائج الدِّراسة: أقام اتِّجاه الإصلاح الدِّيني علاقةً بين الشَّريعة و الدِّين من خلال معادلة أنَّ الإسلام هو دين العقل، وأنَّ العقل البشري لا يحقق نفسه إلَّا في الإسلام، ولذلك فمن الواجب تفسير القرآن تفسيراً عقلياً؛ لأنَّ الإسلام هو الإيمان بالعقل.

ولم تكن العلاقة بين العقل والشَّريعة لدى الاتِّجاه اللِّيبرالي العربي واضحةً ومحسومةً؛ لأنَّ الاتِّجاه اللِّيبرالي كان اتِّجاهاً توفيقياً وسطياً، يؤكد على أولوية العقل وأهميته، مثلما يؤكد على أولوية الشَّريعة وأهميتها، ولم تحسم خياراته بين الدِّين والعقل كما فعل الاتِّجاه اللِّيبرالي الغربي. فالنَّقد الذي مارسه اللِّيبراليون العرب لم يصل إلى حد الرَّفض الكامل للمؤسسات والتَّشريعات الدِّينية، بل حاول هؤلاء اللِّيبراليون التَّوفيق بين الشَّريعة والعقل، فلم يصل إلى حد القطيعة مع الشَّريعة الإسلامية، وبذلك فالطَّهطاوي كان ليبرالياً توافقياً بين الشَّريعة الإسلامية ومبادئ اللِّيبرالية الأوروبية، فنجد تارةً إسلامياً متنوراً، ونجده أحياناً أخرى ليبرالياً متحرراً يؤكد على أهمِّيَّة الأخذ من الليبرالية الأوروبية.

٦-دراسة غرم الله بن عبد الرزاق بن صالح الغامدي بعنوان التَّفكير العقلاني والتَّفكير غير العقلاني ومفهوم الذَّات ودافعية الإنجاز لدى عينة من المراهقين المتفوقين دراسياً والعاديين بمدينتي مكة المكرمة وجدة. جامعة أم القرى كلِّيَّة التَّربية قسم علم النَّفس، ٢٠٠٩ .هدفت الدِّراسة إلى معرفة – مدى انتشار التَّفكير العقلاني مقابل التَّفكير غير العقلاني بين المراهقين دراسياً والعاديين أفراد عينة الدِّراسة – التَّعرُّف على العلاقة بين التَّفكير ومفهوم الذَّات لدى كلٍّ من: أ- المتفوقين دراسياً ب- العاديين دراسياً ج- العيِّنة الكلِّيَّة. – التَّعرُّف على العلاقة بين التَّفكير

ودافعية الإنجاز – التَّعرُّف على الفروق بين العقلانيين وغير العقلانيين في الدَّرجة الكلِّيَّة والدَّرجات الفرعية على مقياس الأفكار العقلانية وغير العقلانية، ومقياس مفهوم الذَّات، ومقياس دافعية الإنجاز. اعتمَّدت الدِّراسة على تطبيق المنهج الوصفي بشقيه الارتباطي والسَّببي المقارن. عينة الدِّراسة تكونت من (٥٠٠) طالبٍ من طلاب المرحلة الثَّانوية بمدينتي مكة المكرمة، وجدة، بواقع (٢٥٠) طالباً من مكة المكرمة و(٢٥٠) طالباً من جدة، كما استخدم الباحث مقياس الأفكار العقلانية وغير العقلانية إعداد الريحاني، ومقياس مفهوم الذَّات للمراهقين، إعداد الباحث، ومقياس دافعية الإنجاز للمراهقين إعداد الباحث.

توصلت الدِّراسة إلى النَّتائج التَّالية:

١- انتشار التَّفكير العقلاني بين المتفوقين دراسياً، وانتشار التَّفكير غير العقلاني بين العاديين دراسياً.

٢- وجود علاقةٍ ارتباطيةٍ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ بين التَّفكير ومفهوم الذَّات لدى المتفوقين دراسياً ولدى العيِّنة الكلِّيَّة بينما لا توجد علاقةٌ لدى العاديين دراسياً.

٣- وجود علاقةٍ ارتباطيةٍ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ بين التَّفكير ودافعية الإنجاز لدى المتفوقين دراسياً، ولدى العيِّنة الكلِّيَّة، بينما لا توجد علاقةٌ لدى العاديين دراسياً.

٤- وجود علاقةٍ ارتباطيةٍ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ بين مفهوم الذَّات ودافعية الإنجاز لدى العاديين دراسياً، ولدى العيِّنة الكلِّيَّة، بينما لا توجد علاقةٌ لدى المتفوقين دراسياً.

٧-الدراسة الأجنبيَّة: دراسة (يوجين Eugene [١]* وغراسييلاGraciela) بعنوان:هل تلعب العوامل الثقافيَّة دوراً في المعتقدات السببيَّة؟ التفكير العقلانيّ والتفكير الخرافيّ بين بريطانيا والمكسيك، جامعة لانكستر، بريطانيا، (٢٠٠٢).في تجربتين منفصلتين عُرضت ظاهرتان غير اعتياديّتين (تدمير تلقائيّ لأجسامٍ في صندوقٍ خشبيٍّ فارغٍ) على مشاركين بالغين يعيشون في المجتمعات الريفيَّة في المكسيك. وقد رافق هاتين التجربتين أحداثٌ ليس لها أيُّ ارتباطٍ

ملموسٍ بالأجسام المدمِّرة، ولكن يمكن أن تشير إلى تفسيراتٍ سببيَّةٍ ذات أساسٍ علميٍّ كتأثيرٍ لأداةٍ مادِّيَّةٍ غير معروفةٍ، أو إلى تفسيراتٍ سببيَّةٍ ذات أساسٍ غير علميٍّ؛ كتأثير "تعويذةٍ سحريَّةٍ" لهذا الحدث. وقد قورنت هذه النتائج بنتائج التجربتين المماثلتين من الدراسة السابقة التي أُجرِيت في بريطانيا. أظهرت الدراسة أنَّ الاعتقاد المسبق _بأنَّ التفسيرات ذات الأساس العلميّ ستسود في أحكام وسلوكيَّات المشاركين البريطانيِّين، بينما سيكون المشاركون المكسيكيون أكثر تقبُّلاً للتفسيرات السحريَّة _كان صائباً بشكلٍ جزئيٍّ فقط. كان طغيان التفسيرات العلميَّة على التفسيرات السحريَّة جليّاً في الأحكام اللفظيَّة للمشاركين البريطانيِّين دون أن يكون كذلك في أحكام المشاركين المكسيكيين؛ حيث رفض المشاركون البريطانيُّون التفسيرات السحريَّة في استجاباتهم السلوكيَّة في حالة المخاطر المنخفضة بدرجةٍ أكبر من المشاركين المكسيكيِّين. ولكن عندما تمَّ رفع مستوى خطورة إهمال السحر كسببٍ محتملٍ لتسفير الظاهرة؛ أبدى المشاركون في كلتا العيّنتين درجةً مساويةً من سرعة التصديق بالتأثير المحتمل للسحر. تفسير البيانات من حيث العلاقات بين التمثيلات العلميَّة و"الشعبيَّة" للسببيَّة مع ديمومة الأجسام. أفراد عيِّنة البحث كانوا ٢٨ في كلِّ تجربةٍ. نتائج التجربة تتلخَّص في أنَّ البريطانيِّين يميلون للاقتناع بالتفسير العلمي في حال انخفاض المخاطر. أمَّا عندما تكون المخاطر مرتفعةً؛ فيميل كلٌّ من البريطانيِّين والمكسيكيِّين للاقتناع بالتفسير الخرافيّ بدرجةٍ متقاربةٍ.

تعقيب على الدِّراسات السَّابقة:

– تناولت معظم الدِّراسات السابقة التَّفكير العقلاني من منظورٍ فلسفيٍّ، أو بحثت في شخصية أحد رواد العقلانية في مرحلةٍ تاريخيةٍ معينةٍ، أو تناولت التَّفكير العقلاني من منظورٍ نفسيٍّ باستخدام تصميمٍ تجريبيٍّ، لفعالية اختبار الأفكار العقلانية على عينةٍ معينةٍ تعاني من بعض المشاكل النَّفسية، في حين تتناول الدِّراسة الحالية المعوقات الاجتماعية التي تكمن في البنية الاجتماعية والتي تعيق انتشار التَّفكير العقلاني العلمي. إحدى الدِّراسات السَّابقة تناولت مفهوم العلمانية في الفكر العربي المعاصر؛ أي: دراسة الشَّكل الأرقى من أشكال العقلانية، وهي العلمانية ضمن فكرٍ محددٍ وهو الفكر العربي اعتمَّاداً على دراسة حالة مجتمع واحدٍ من المجتمعات العربية، وهو المجتمع الفلسطيني

دون الأخذ بتاريخ الفكر البشري الذي توصل إلى العلمانية بشكله الحالي، في حين الدِّراسة الحالية تدرس العقلانية عبر تحولاتها التَّاريخية من دراسة علماء الشَّرق والغرب لمفهوم العقلانية وصولاً إلى التَّفكير العقلاني العلمي الذي تُوِّج كشكلٍ أرقى للتَّفكير الإنساني، ومعوقات انتشاره في المجتمع العربي.

كما تناولت إحدى الدِّراسات اتِّجاهات التَّقليد والحداثة في العقلية العربية، ومعرفة المضامين الخرافية للتَّفكير، وهي جزءٌ من الدِّراسة الحالية. لكنّ تدرس الدِّراسة الحالية بالإضافة إلى ما تدرسه الدِّراسة السَّابقة التَّفكير الدِّيني والتَّفكير العقلاني العلمي والمعوقات التي تمَّنع انتشار التَّفكير العقلاني العلمي.

– دعمت الدِّراسات السَّابقة الخلفية العلمية للدِّراسة الحالية – كما ساعدت الدِّراسات السَّابقة في تحديد الأهداف للدِّراسة الحالية.

خامساً – مفاهيم الدِّراسة :

١– التَّفكير(thinking):هو عملياتٌ معرفيةٌ ضمنيةٌ أو صريحةٌ، أو تصورٌ عقليٌّ داخليٌّ للأحداث أو الأشياء، أو وسيلةٌ عقليةٌ يتعامل بها الإنسان مع الوقائع والأحداث والأشياء من خلال العمليات المعرفية التي تتمَّثل في استخدام الرُّموز والمفاهيم والكلمات.(عبد الله وعبد الرحمن،١٩٩٦م: ١٢٦)

٢– التَّفكير العقلاني(Rational thinking):ذلك التَّفكير والسُّلوك الواعي الذي يتفق مع أحكام المنطق والمعرفة التَّجريبية، والذي يتَّسم بأهدافه المتمَّاسكة والمتزنة التي يمكن تحقيقها من خلال الواسطة الموضوعة العلمية وهي التي تمَّيز الجنس البشري. (ميشيل، دينكن، ١٩٨٦: ١٧١)

٣– العادات والتَّقاليد(tradition – customs):هي عبارةٌ عن أنماط السُّلوك الاجتماعي التي تنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ، وتستمَّرُّ فترةً طويلةً حتى تثبت وتستقر إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة بها.(مبيض، ٢٠٠٠، ص٩٠٤)

٤- التَّقاليد (Traditions) : هي أنماطٌ سلوكيةٌ وطقوسيةٌ يتمَّسك بها الأفراد نظراً لتأكيدها على أهمِّيَّة الماضي السَّحيق، ولقدسيتها، ومنزلتها الرَّفيعة عند الأفراد؛ ذلك أنَّ الأسلاف قد تحلَّوا بها، والتزموا بنصوصها ومفرداتها، فجلبت لهم الخير والرَّفاهية، ومكنت المجتمع من تحقيق التَّآلف والوحدة والمحبة. وقوة التَّقاليد كقوة اللُّغة والتَّاريخ والدِّين في جمع النَّاس سوية، والتوحيد بينهم، وتعميق شعورهم وأحاسيسهم بانتمَّائهم إلى الوطن والأمة. وتتجسد التَّقاليد في مراسم حفلات الزَّواج والختان، وفي مراسيم تشييع الموتى، وفي السَّلام والتَّحيات بين الأحبة والأصدقاء، وفي مراسم الأعياد والمناسبات الدِّينية والوطنية كمراسم عيد الفطر وعيد الأضحى. (الحسن، ١٩٩٩، ١٨٤ – ١٨٥)

٥- العادات (Customs): الطُّرق المستقرة للتَّفكير والسُّلوك في المجتمعات، وتتمَّ دراسة العادات على مستوياتٍ مختلفةٍ. فالدِّراسات الإثنوغرافية تهتمَّ بالوصف الدَّقيق لتفاصيل الحياة اليومية الرُّوتينية. وفي مستوى أعلى من التعقيد، ينصب الاهتمام على تحليل القواعد المتضمنة في هذه التفاصيل، وصولاً إلى استخلاص الأنماط الثَّقافية لتلك الأفعال المتكررة. وأخيراً يمكن النَّظر إلى العادة باعتبارها تعكس الطَّبيعة المميزة للثَّقافة بأكملها أو لمنطقةٍ ثقافيةٍ. (مارشال، ٢٠٠٠، ٩٢١)

٦- المجتمع المدني (civil society): هو كل المؤسسات التي تتيح للأفراد التمَّكن من الخيرات والمنافع العامة، دون تدخل أو توسط الحكومة، وهو النَّسق السِّياسي المتطور الذي تتيح صيرورة تمأسسه "تمَّفصله في مؤسسات" مراقبة المشاركة السِّياسية. والمجتمع المدني كما في أدبيات العلوم الاجتماعية: هو مجمل التَّنظيمات غير الإرثية وغير الحكومية، التي تنشأ لخدمة المصالح أو المبادئ المشتركة لأعضائها. ويدخل ضمن تنظيمات المجتمع المدني كل النَّقابات والاتِّحادات والرَّوابط والأندية والجمعيات التَّطوعية الأخرى، وهي تقدِّم الحماية ضد غلواء أو اشتطاط الدَّولة في استخدام سلطاتها القهرية استخداماً متعسفاً. ويذهب بعضهم إلى أنَّ المجتمع المدني هو "مجموعة التَّنظيمات التَّطوعية الحرة، التي تمَّلأ المجال العام بين الأسرة والدَّولة لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمةً في ذلك بقيم ومعايير الاحترام، والتَّراضي، والإدارة السِّلمية للتَّنوع والخلاف". (مبيض، ٢٠٠٠، ١١١٧ – ١١٢١)

٧- المواطنة(citizenship): هي مكانةٌ أو علاقةٌ اجتمَّاعيةٌ تقوم بين فردٍ طبيعيٍّ ومجتمع سياسيٍّ (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدّم الطَّرف الأوَّل الولاء، ويتولى الطَّرف الثَّاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدَّولة عن طريق القانون.(الشماس، ٢٠٠٨، ٣٨)

٨- الدِّين (Religion): (هو نظام رموزٍ يعمل بحيث يثير لدى البشر حوافزَ قويةً وعميقةً ومستديمةً عبر صياغة مفاهيمَ عامةٍ حول الوجود، وعبر إعطاء هذه المفاهيم مظهراً حقيقياً؛ بحيث تبدو تلك الدَّوافع وكأنَّها لا تستند إلَّا إلى الحقيقة).(وليم، ٢٠٠١ ، ١٧٦ - ١٧٧)

٩- التراث (Traditions) :هو عناصر الثقافة التي تنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ آخر، وقد ظهر مؤخَّراً في إحدى حالات البحث الإركيولوجية تعريفٌ مفيدٌ مؤدَّاه أنَّ التراث شكلٌ ثقافيٌّ يتنقَّل اجتماعيّاً ويصمد عبر الزمن، في حين نرى جوجن الذي يستخدم مصطلح التراث الثقافيّ الأكبر تحديداً – نجده يعرِّف التراث بأنَّه أسلوبٌ متميِّزٌ من أساليب الحياة، كما ينعكس على مختلف جوانب الثقافة، وربَّما يمتدُّ خلال فترةٍ زمنيَّةٍ معيَّنةٍ، وتظهر عليه التغيُّرات الثقافيَّة الداخليَّة العاديَّة، ولكنَّه يتميَّز طوال تلك الفترة بوحدةٍ أساسيَّةٍ. (هولتكرانس، ١٩٧٢، ٨٨ – ٨٩)

١٠- الاثنوغرافيا Ethnography: هي الأثنولوجيا الوصفيَّة؛ أي: ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان، وهي تعني أيضاً وصف أوجه النشاط الثقافيّ، كما يبدو ذلك من خلال الوثائق التاريخيَّة. ويعرِّف دياس الأثنوغرافيا بأنَّها الدراسة الوصفيَّة للثقافات المختلفة، أو لقطَّاعاتٍ من ثقافةٍ معيَّنةٍ. ويُعرِّفها جاكوبز ويسترن بأنَّها الوصف العلميّ للأنساق الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وللتراث الثقافيِّ للشعوب ذات المستويات التكنولوجيَّة المختلفة.(الحسن، ١٩٩٩، ٢١)

١١- الاثنولوجيا (Ethnology):الأثنولوجيا هي علم الإنسان ككائنٍ ثقافيٍّ، أو هي الدراسة المقارنة للثقافة. يُعرِّف كروبر الأثنولوجيا بعلم الشعوب، وثقافتها، وتاريخ حياتها كجماعاتٍ بصرف النظر عن درجة تقدُّمها. ويُعرِّف بذلك القسم من الأنثروبولوجيا الثقافيَّة المختصّ بتحليل المادَّة الثقافيَّة، وتفسيرها تفسيراً منهجياً.(الحسن، ١٩٩٩، ٢٢)

١٢- البنية (Structure): لمفهوم البنية معانٍ مختلفةٌ جدّاً في علم الاجتماع من الصعب وضع لائحةٍ كاملةٍ لتفسيراتها، لذلك سنكتفي بإقامة بعض نقاط الاستدلال. بالنسبة لموردوك يدلُّ

مفهوم البنية الاجتماعيَّة على تماسك المؤسَّسات الاجتماعيَّة: ليست المؤسَّسات تجمُّعاً اعتباطيّاً أو عرضيّاً، وبهذا المعنى يكون لها بنية. يعتبر مانهايم أنَّ البنية الاجتماعيَّة هي نسيج القوى الاجتماعيَّة في نشاطها المتبادل والذي تخرج منه مختلف نماذج الملاحظة والفكر. في هذه الحالة، يدلُّ مفهوم البنية الاجتماعيَّة ضمنيّاً على مجمل عناصر نظامٍ اجتماعيٍّ معيَّنٍ التي يخمِّن عالم الاجتماع أنَّه يسيطر عليها ويحدِّد الأخرى. بالنسبة لمانهايم يتعلَّق الأمر بالعناصر المادِّيَّة (يُشار إليها بغموضٍ بعبارة القوى الاجتماعيَّة التي تسمح بتفسير العناصر الفكريَّة، يذكِّر هذا الاستعمال بالتأكيد بالتمييز الماركسي الشهير بين البنية الفوقيَّة والبنية التحتيَّة. وهكذا يمكن أن يظهر مفهوم البنية مترابطاً مع مفهوم النظام إذا اعتبرنا أنَّ النظام هو مجمل العناصر ذات التبعيَّة المتبادلة.(بوريكو، ١٩٨٦، ٩٩ -١٠١)

١٣- البناء الاجتماعيّ Social Structure: مصطلحٌ يُطلَق عموماً على أيِّ نمطٍ متكرِّرٍ من السلوك الاجتماعي، أو بتحديدٍ أكثر على علاقات التفاعل المنظَّم بين مختلف عناصر النسق الاجتماعيّ أو المجتمع. وهكذا يُقال على سبيل المثال: إنَّ نظم القرابة، والنظم الدينيَّة، والاقتصاديَّة، والسياسيَّة وغيرها من النظم الموجودة في مجتمعٍ معيَّنٍ تمثِّل البناء الاجتماعي لذلك المجتمع بما يحويه من المعايير، والقيم، والأدوار الاجتماعيَّة. والبنيويَّة Structuralism:يُستخدَم المصطلح عموماً في علم الاجتماع للإشارة إلى أيِّ اتِّجاهٍ نظريٍّ يعطي البناء الاجتماعيّ (سواءٌ كان ظاهراً أو غير ذلك) أولويّةً على الفعل الاجتماعي. والفكرة الأساسيَّة في هذه البنيويَّة هي أنَّنا نستطيع تمييز الأبنية القائمة وراء المظاهر السطحيَّة للواقع الاجتماعيِّ بأنَّها كثيرة التغيُّر والتحوُّل.(مارشال، ٢٠٠٠، ٢٨٩ - ٢٩٧)

الفصل الثاني: التفكير العقلاني

أولاً– مفهوم التفكير العقلاني:

العقلانيَّة ليست تياراً فكرياً محدداً من السَّهل رصده تاريخياً، بل هي نزعةٌ ومنهجٌ في التَّفكير ينحو إليه المفكرون والفلاسفة و رجال الدِّين داخل منظوماتهم الفكرية والفلسفية والشَّرعية، معتبراً العقل مركزياً في توليد المعرفة الصَّحيحة؛ لذلك يمكن النَّظر إلى العقل باعتباره أداة لإنتاج الأفكار العقلانيَّة في كل مرحلة من المراحل التي يسود فيها التَّفكير العقلاني الفلسفي، أو التَّفكير العقلاني الدِّيني، أو العقلانيَّة العلمية التي هي أوج العقلانيات، وباختلاف المرحلة التَّاريخية والتَّيارات الفكرية اختلفت الآراء حول تحديد مفهوم العقلانيَّة.

العقلانيَّة والعقل (rationalism)(and rational): الجذر الاشتقاقي الذي تشتق منه كلتا الكلمتين هو الاسم اللاتيني ratio ومعناه العقل reason. وهكذا يفهم من كلمة العقلاني rationalist عموماً الشَّخص الذي يؤكِّد قدرات الإنسان العقلية تأكيداً خاصاً، ولديه إيمان غير عادي بقيمة العقل، والمحاجّة العقلية وأهميتها.

إنَّ الإيمان بقيمة المحاجَّة العقلية وأهميتها هو الشَّرط المسبق لكل بحثٍ فكريٍّ جادّ، وكان أول أبطاله في التُّراث الغربي هو سقراط الأثيني، وله الحق المشروع في أن يُعَدَّ الأب المؤسس للفلسفة. ولم يكف سقراط عن الإلحاح على أنَّه ينبغي لنا ألاّ نكون راضين بالهوى الشَّعبي، أو الرَّأي المقبول، بل علينا أن " نتابع المحاجَّة إلى حيث ترشدنا "، ويجب استخدام العقل من أجل تحليل معتقداتنا ومفهوماتنا، ومن أجل إخضاعها للتَّفحص النقدي، "الحياة التي لا تُمتَحن غير جديرة بالعيش"، ولم يكن شعار أرسطو هذا تبجحاً فارغاً، فقد آثر أن يذهب إلى حتفه (٣٩٩ ق.م) على أن يتخلى عن التزامه بالتَّحري النَّقدي والممارسة الاستقلالية للعقل. وبعد ذلك قدَّم أرسطو نظرية في الطَّبيعة الإنسانية جعلت العاقلية (rationality) هي الصِّفة المميزة التي تعرف الإنسان. فالإنسان (حيوان عاقل)، وقدراته لا تشمل الاستعدادات الطَّبيعيَّة للتَّغذي (التي يشترك بها مع النَّباتات)، والقدرات على التَّنقل والحس (التي يشترك بها مع الحيوانات) وحسب، بل كذلك المَلَكَة العقلية؛

فالإنسان لا يتغذى وينتقل ولديه أحاسيس تجعله مدركاً البيئة وحسب، وإنما هو يفكر ويعقل كذلك. وقدرتنا على العقل – على تنظيم أفكارنا تنظيماً منطقياً متماسكاً – هي أكثر قدراتنا البشرية تميزاً وحسماً، وهي القدرة التي تميزنا عن المخلوقات الأخرى القادرة على الحس. ويمضي أرسطو في كتابه الأخلاقيات أبعد من ذلك ليؤكد أن سعادة الإنسان السَّامية تكمن في النَّظر في ممارسته قدرات العقل النَّظرية الخالصة. (كونتنغهام، ١٩٩٧، ١٣) .

وبما أنَّ العقلانيات هي نتاج العقل خلال صراعه الطَّويل مع الطَّبيعة فسنبدأ بتحديد مفهوم العقل.

العقل (Reason): في طبيعة العقل أولاً " العقل يأخذ في علم الكلام معنى المعلومات الأولية، ويكون العمل بهذه المعلومات هو النَّظر أو الاستدلال. ويذهب المعتزلة مذهب فلاسفة اليونان في تعريف العقل انطلاقاً من نظرية المعرفة عندهم التي ترى أن العقل النَّظري – الذي هو " قوة على اكتساب العلم " بالنَّظر والاستدلال يؤدي المرحلة الأخيرة من مراحل المعرفة العقلية، حتى وإن تباعدت المدارس الكلامية في تعريفها للعقل النَّظري، فإنَّها تتفق بأنَّ العقل العملي هو الحس السَّليم والحس المشترك بوصفهما ينصهران في استشفاف الحلال والحرام. وهذه المدارس كلها تخاطب الإنسان العاقل، وتثق به من أجل تحقيق المثل الأعلى للسُّلوك الأخلاقي – الدِّيني.

عندما نتساءل عن كينونة هذا المفهوم وماهيته؛ نجد أنَّ العقل كلمة أتت من مفهوم عقال الجمل وفيها معنى الكابح، فكما يمنع العقال الجمل من الحركة يمنع العقل الإنسان من الخضوع لرغباته وأهوائه، وهو ما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها. وهو ما يكون به الاستدلال والتَّفكير والتَّركيب للتَّصورات والتَّصديقات؛ بحيث يميز به الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل. وهو بالنِّهاية ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى. (مبيض، ٢٠٠٠، ٩٢٤ – ٩٣١).

فالعقل بوصفه قوة قادرة على التَّعلم، وعلى التَّمييز بين الخير والشَّر، وعلى ضبط عواطف الإنسان؛ فكيف يختلف العقل العربي عن العقل الغربي؟ بالتَّأكيد هناك شروط اجتماعية وتاريخية لتشكل نظام العقل، فهي تعكس تنظيم الجماعة لواقعها على مستوى بنيتها الذِّهنية.

يحدد الجابري مفهوم العقل العربي بأنه: الفكر بوصفه أداة للإنتاج النَّظري، صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها، هي الثَّقافة العربية بالذَّات، الثَّقافة التي تحمل تاريخ العرب الحضاري العام، وتعكس واقعهم أو تعبِّر عنه وعن طموحاتهم المستقبلية، كما تحمل وتعكس وتعبر في الوقت ذاته عن عوائق تقدمهم، وأسباب تخلفهم الرَّاهن.(الجابري، ٢٠٠٩، ١٣ -١٤)

فالعقل بهذا المعنى يعبر عن تاريخ محدد ومرحلة معينة، أما وظيفة العقل؛ فتتجلى في الكشف عن الاتِّساق في الواقع كشرط لاستيعابه والتَّعامل معه وهو ما تحيل إليه العقلانيَّة.

العقلانيَّة (rationality): العقلانيَّة هي ذلك التَّفكير والسُّلوك الواعي الذي يتفق مع أحكام المنطق والمعرفة التَّجريبية، والذي يتَّسم بأهدافه المتماسكة والمتزنة التي يمكن تحقيقها من خلال الواسطة الموضوعية العلمية . لقد اعتمدت الفلسفة الغربية لفترة طويلة من الزَّمن تزيد على ٢٠٠٠ سنة على أسلوب مركزي ينص على أن العقلانيَّة أو السَّببية إنما هي صفة جوهرية تميز أبناء الجنس البشري. غير أن هذا المبدأ الفكري تعرض للانتقاد بسبب اعتماده المطلق على العامل العقلاني أو السببي، وإهماله للعوامل الأخرى التي يعتمد عليها المجتمع البشري؛ كالعوامل البيئية والمادية. وقد استعمل البروفيسور هوبهاوس مبدأ العقلانيَّة في سياق نظريته عن التَّقدم البشري، واعتبره مبدأً عضوياً يمكن الاعتماد عليه في تحقيق التَّوازن بين نواحي الحياة الاجتماعية، واستعمل ماكس فيبر مصطلح العقلانيَّة أكثر من أن يستعمله أي عالم اجتماع آخر، فقد صنف الفعل أو الحدث (action) إلى أربعة أقسام هي:

١-الفعل العقلي المعتمد: وهو الفعل الذي له واسطة تكفل تحقيق الهدف الذي يتوخاه الفعل .

٢–الفعل العقلي القيمي: وهو الفعل الذي ينطبق مع المقاييس القيمية التي يتفق عليها المجتمع .

٣– الفعل الغريزي.

٤–الفعل التَّقليدي: إن الفعل الغريزي والتَّقليدي بعيدان كل البعد عن المبدأ العقلي والمنطقي الذي يقرّه العقل السَّليم والفكر السَّوي. ويستعمل فيبر مبدأ العقلانيَّة في تفسير نواحٍ متعددة من المجتمع؛ كالنَّواحي المتعلقة بالسُّلطة والقيادة والقوانين. (الحسن، ١٩٩٩، ٤١٥– ٤١٦)

ويفرق الباحثون بين (العقلانيَّة Rationality) و(المذهب العقلي Rationalism)، من حيث إنَّ الأولى اتجاه في التَّفكير بصفة عامة، أو هي موقف يعتز بالعقل، ويجعله حكماً ومرجعاً في جميع نواحي الحياة، في حين إنَّ المذهب العقلي يقتصر على الجانب الابستمولوجي في اعتماده على العقل. فالمذهب العقلي في نظرية المعرفة هو الصُّورة التي تقابل التَّجربة الحسية، أو هو الصُّورة التي تجعل معيار الحقيقة ليس حسياً بل عقلياً واستنباطياً، والرِّياضيات هي ملهمة المذهب العقلي، ويباهي العقليون بسمو المنهج الاستنباطي ويعتبرونه منهج اليقين؛ ولهذا السَّبب كانت المعرفة عند العقليين كلية وضرورية. ومعنى ذلك أنَّ العقل يمكن أن يقال في مقابل التَّجربة من النَّاحية الابستمولوجية، لكنه يمكن أن يقال في مقابل الدِّين أو الوحي، وهذا هو المجال الثَّاني للعقلانية، كما أنَّه يمكن أن يقال ثالثاً في مقابل العاطفة أو الشُّعور في ميدان الأخلاق. (إمام، ١٩٨٥، ١١–١٢)

وقد أحصى (لالاند) في الواقع خمسة معانٍ للمذهب العقلي:

١. المذهب القائل إنَّ شيئاً لا يوجد دون سبب وجوده.

٢. المذهب القائل إنَّ كل معرفة يقينية تصدر عن مبادئ لا تدحض دحضاً قبلياً، مبادئ بديهية.

٣. المذهب القائل إنَّ التَّجربة لا تكون ممكنة إلاّ في حالة عقل يملك سبباً.

٤. الإيمان بالعقل والبداهة والبرهان.

٥. **المذهب القائل بأَنْ لا ثقة إلاّ بالعقل، ورفض قبول ما لا يعترف بمنطقية العقائد الدِّينية.** (باية ، ١٩٩٦، ٩)

ومهما اختلف الفلاسفة في تحديدهم لمفهوم العقلانيَّة يبقى هناك مبادئ أساسية تقوم عليها العقلانيَّة، ونجد في تاريخ العقلانيَّة مجموعة مشابهة من الملامح.

وأحد خيوط العقلانيَّة هو (الفطرية)، وهي نفسها مجموعة معقدة من المفهومات تشمل فكرة أنَّ الذِّهن مزوَّدٌ منذ الولادة ببعض المفهومات الأساسية أو بمعرفة بعض الحقائق الأساسية، الخيط الآخر هو (القبلية)– أي الإيمان بإمكانية الوصول إلى معرفة بمعزل عن الحواس، والخيط الآخر هو (الجبرية) – الفكرة القائلة بأنَّ الفلسفة يمكن أن تكشف الحقائق الضَّرورية عن الواقع. (كوتنغهام، ١٩٩٧، ٢٠)

ولكن نتساءل ما علاقة التَّفكير بالعقل ؟ وكيف يتبلور عقل الإنسان ولماذا سميت تلك الأفكار بالأفكار العقلانيَّة، وغيرها الأفكار اللاعقلانية؟

التَّفكير(Thinking) : يدل اللَّفظ بالمعنى العام على جملة العمليات الذِّهنية، من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، وبالمعنى الخاص – على العقل أو النَّشاط العقلي كأسمى صيغ لهذه العمليات. والمنطق يدرس صوره الأساسية: التَّصورات، والقضايا، والاستدلالات. ومن أنواعه: نظري وعملي، نظري وتجريبي، منطقي وحدسي؛ مجرد ومشخص، واقعي وخيالي، منظم وعشوائي. (يريموفا، وسلوم، ١٩٩٢، ٢٩٥).

إنَّ ما نعنيه ب(التَّفكير) هو العملية الفكرية المتواصلة التي تبدأ من لحظة الإحساس بالواقع (موضوع العقل)، وانتقاله إلى الدِّماغ وما يرافق ذلك من نشاطاتٍ فكرية (ذهنية)، وحتى اللَّحظة الأخيرة التي تسبق إصدار الحكم. فإذا ما صدر الحكم فهو (العقل) بثمراته من

الأفكار – صحيحها وسقيمها، والمفاهيم عاليها وسافلها. إذاً العقل هو النَّتيجة النهائية التي تعقب عملية التَّفكير من مبتداها إلى منتهاها، أو هو الحكم أو مجموعة الأحكام التي تصدر عن الإنسان في أعقاب عملية التَّفكير. وإنَّ اكتساب المعلومات والمعارف والخبرات –على أنواعها– عن طريق التَّفكير والعقل لا بدَّ أن يترك أثره في تكوين شخصية الإنسان العقلية. فتراكم هذه المعلومات وتلك المعارف يتحوّل –فيما بعد– إلى أفكار وقناعات تشكّل الإطار الفكري المرجعي لهذا الشَّخص أو ذاك والذي يستوجب القياس عليه بوصفه الأصل الذي يستهدي به، فتتكون لديه (عقلية) معينة تحكمها هذه القناعات التي ارتكز عليها وسلّم بها، بغض النظر عن صحتها أو خطئها. ومن هنا يقال: (عقلية تقليدية)؛ أي: تحكمها العادات والأعراف والقيم والأفكار التي تلقاها الإنسان – تقليداً عن أبويه وبيئته التي عاش في كنفها دون إعمال للعقل لمحاكمتها. (معروف، ١٩٩٥: ٢٠٤ – ٢٢٠).

إذن عقلية أي مجتمع تعود لظروفها الاجتماعية والتَّاريخية التي بلورت هذا العقل وأعطته طابعاً مختلفاً عن غيره من العقليات.

والعقلية في تعريفها العام جملة الاستعدادات والمواقف والعادات والتَّوجهات العقلية والأخلاقية والمعرفية والوجدانية التي تكون مشتركة بين أعضاء جماعة بعينها.(طرابيشي، ١٩٩٦، ٢٨٢)

وتبعاً لذلك فإنَّ تطور الحضارة عادة ما يؤدي إلى تغير مفهوم العقلانيَّة، وبقدر ما تنجح هذه الحضارة في إنجازاتها تظهر العقلانيَّة التي تحملها وتعبر عنها كنموذج للعقلانية، وتضفي على مفهوم العقل أو نظامه السَّابق صورة العقل المتأخِّر عديم الاتِّساق؛ فمثلاً عندما عرَّف عالم النَّفس الأمريكي التَّفكير العقلاني ذكر بأنَّ صاحب التَّفكير العقلاني يعيش بسعادة في مجموعته الاجتماعية بحكم أنَّ الذين يحملون الأفكار اللاعقلانية هم قلَّة، وهذا ينطبق على المجتمع الغربي الذي تجاوز الكثير من العادات والتَّقاليد البالية المرتبطة بالغيبيات والسِّحر، لكن هذا لا ينطبق على المجتمع العربي، فقلة هم أصحاب التَّفكير العلمي؛ لذلك لا يشعر صاحب التَّفكير العلمي بسعادة

في مجموعته الاجتماعية في المجتمع العربي. إنَّ الشُّروط الاجتماعية والتَّاريخية لتكوين العقل جعلت العقلانيَّة ليست مطلقة وواحدة لدى جميع المجتمعات فهي تعكس تنظيم الجماعة لواقعها على مستوى بنيتها الذِّهنية.

يرى روبن أنَّ الأفكار العقلانيَّة: هي الأفكار الواقعية التي يمكن التَّحقق من صدقها واقعياً ومعززة للحياة، أما الأفكار اللَّاعقلانية فهي الأفكار غير الواقعية وغير المنطقية، والتي لا يمكن التَّحقق من صدقها واقعياً، وتقلِّل من استمتاع الفرد بالحياة.(Robin, M. W: 1993, p. 169)

تُصنف العقلية العربية بالعقلية المتخلفة مقارنة مع عقليات الشُّعوب الغربية التي سلكت طريق العلم والدِّيمقراطية والتَّحديث، فهل المجتمع العربي يحتاج إلى عقلنة.

العقلنة (RATIONALAIZTION): ليس معنى العقلنة التعقيل؛ أي: جعل ما هو غير عقلاني عقلانياً بمعنى تصحيحه، بل تعني العقلنة استنباط تفسير عقلاني، مقبول، للفكر، أو الرأي، أو النص، أو السلوك الذي يكون أصله غامضاً، أو خافياً، أو في اللَّاشعور؛ لتبرير وجوده وغموضه، أو لإزالة ما يبدو غير عقلاني من عناصره، أو لجعله عقلانياً، أو متلائماً مع العقل، أو لتفسيره بصورة عقلانية (أي عقلانياً) وللعقلنة معنى الترشيد في الاستعمالات الأخرى.(غيبة، ١٩٩٩، ٣٩).

بالنِّسبة لماكس فيبر: تتضمن العقلنة ما يلي:

- **تنظيماً اقتصادياً، وتنظيم المصنع من قبل وسائل بيروقراطية، وحسابات المنافع بواسطة إجراءات منتظمة محسوبة.**
- **في الدِّين، تطور اللَّاهوت من قبل مكانة المثقفين ، واختفاء السِّحر، واستغلال المقدسات الدِّينية من قبل المسؤولية الشَّخصية.**
- **في القانون، تآكل القانون الخاص، والقانون العشوائي، وقانون الحالة الخاصة بواسطة اختزال الأسباب القانونية على أساس القوانين العامة.**

- **في السِّياسة، انهيار المعايير التَقليدية للشَّرعية.**
- **في السُّلوك المعياري تأكيد كبير على الاتِّساق والتَّدريب.**
- **في العلم، فشل الإبداع الفردي، ونمو الفرق البحثية والتَّجارب المتعاونة.**
- **في المجتمع ككل، انتشار البيروقراطية وسيطرة الدَّولة وإداراتها.**
- **تتضمَّن العقلنة فصل الفرد عن المجتمع المحلي والأسرة والكنيسة.** (العمر، ٢٠٠٠، ٣٥٥ - ٣٥٦)

إذن درجة العقلانيَّة هي المؤشر الأساسي لحالة التَّخلف والتَّحضر، فالتَّخلف هي الحالة التي تتناقض مع درجة العقلانيَّة التي حققها المجتمع الإنساني في مرحلة من مراحل تطوره فهل يمكن اعتبار التَّفكير الدِّيني تفكيراً عقلانياً في هذه المرحلة التي دحض فيها العقلانيَّة العلمية الكثير من المسائل التي كان التَّفكير الدِّيني يعتبرونه من ثوابتها ؟ .

عرَّف كرين بريتون العقلانيَّة بأنها: مجموعة من الأفكار تفضي إلى الاعتقاد بأنَّ الكون يعمل على نحو ما يعمل العقل حين يفكر بصورة منطقية وموضوعية، رغم أنَّه يعترف بوجود محاولات في عصر التَّنوير للتَّقريب بين ما سماه العقيدة العقلانيَّة وبين المسيحية، إلاَّ أنَّه يعتقد أنَّ هذه المحاولات باءت بالفشل؛ لأنَّ في اعتقاده أنَّ المفكر العقلاني أصبح يسوي بين المعقول والطَّبيعي، فالعقلاني بهذا ينفي أي وجود لخوارق غير طبيعية كما ينفي وجود أي عوالم غيبية. (برينتون، ١٩٨٤، ١٢١ -١١٩)

نصل بهذا التعريف إلى أن أوج ما توصل إليه العقل البشري في مراحل تطوره هو التَّفكير العلمي، وبدوره حاول الإنسان علمنة المجتمع والدَّولة.

التَّفكير العلمي: هو ذلك النَّوع من التَّفكير المنظم الذي يمكن أن نستخدمه في شؤون حياتنا اليومية، أو في النَّشاط الذي نبذله حين نمارس أعمالنا المهنية المعتادة، أو في علاقاتنا مع النَّاس ومع العالم المحيط بنا. وكل ما يشترط في هذا التَّفكير هو أن يكون منظماً، وأن يبنى على مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل لحظة دون أن نشعر بها

شعوراً واعياً، مثل مبدأ استحالة تأكيد الشيء ونقيضه في آن واحد، والمبدأ القائل أنَّ لكل حادث سبباً، وأنَّ لكل حادث سبباً، وأنَّ من المحال أن يحدث شيء من لا شيء. (زكريا، ١٩٧٨، ٥- ٦)

إنَّ العلمانية كمفهوم فكري – سياسي – اقتصادي – اجتماعي، يتضمن " بناء وتنظيم المجتمع والدَّولة بالاستناد إلى سلطان ومرجعيّة العقل، مع حياد الدولة إزاء الأديان والعقائد. (الشوملي، ٢٠٠٨، ٦١)

ثانياً–الَّتحوُّلات التَّاريخيَّة للَّتفكير العقلاني:

يُعتَبر التَّفكير إحدى العمليَّات العقليَّة المعرفيَّة الكامنة وراء التَّطوُّر البشري، وسيطرة الإنسان على الطبيعة، وقدرته على إخضاعها لصالحه، فالعقل البشري مرَّ بمراحل مختلفة من تطوُّره، وتمييزه للموجودات والظَّواهر الطَّبيعيَّة والاجتماعيَّة

فالتَفكير العقلاني ليس مذهباً أو تيَاراً فلسفيَّاً، كما هو الحال مع الماركسيَّة أو الِّليبراليَّة مثلاً، بل هي نزعة ومنهج في التَّفكير ينحو إليه المفكِّرون والفلاسفة، بل وحتَّى رجال الدِّين داخل منظوماتهم الفكريَّة أو الفلسفيَّة أو الشَّرعيَّة، معتبراً العقل مركزيَّاً في توليد المعرفة الصَّحيحة.

١. العقلانيَّة في الفكر الفلسفي اليوناني: (٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م):

عند أفلاطون Platon: إنَّ العالم الذي نلاحظه من خلال حواسنا في أغلب الأحيان يكون خادعاً، والذي يقوم بعمليَّة تصحيح هذه الرَّؤية للموجودات هو العقل البشري، وإنَّ التَّجربة البشريَّة التي أفرزت الكثير من العادات والاعتقادات التي يشترك فيها البشر ليست بالضَّرورة هي دليل على صحَّتها.

إنَّ أفلاطون يصرُّ أنَّ المعرفة الحقيقيَّة تقتضي الانتقال من العالم الحسيِّ إلى عالم (المعقولات). وما يتضمَّنه هذا هو التَّباين الجوهري بين العالم الحسِّي – العالم العادي الذي تكشفه لنا الحواس الخمس – وعالم المعقولات المنفصل – وهو عالم يجب أن يفهم العقل وحده موضوعاته. وما يعبِّر عنه أفلاطون في كلمات قليلة: هو أنَّ بلوغ المعرفة

الحقيقيَّة يقتضي المحاولة النِّظاميَّة لتحرير العقل من عالم الحواس اليومي، من عالم الملاحظة التَّجريبيَّة واعتقاد الفهم المشترك.(كوتنغهام، ١٩٩٧، ٢٧)

٢. العقلانيَّة في العصور الوسطى :

– المعتزلة: ظهرت نزعة المعتزلة كردٍّ فعل لفكرة الجبر والإرجاء التي كانت من الرَّكائز الفكريَّة في تلك المرحلة، ونادت فكرة المعتزلة بمبدأ تحميل الإنسان مسؤوليَّة تصرُّفاته كافَّة ما دام مزوَّداً بطاقةٍ عقليَّةٍ تميِّز بين الحسن والقبح، وبين النَّفع والضَّرر، وبين الصِّحة والخطأ، وبنى المعتزلة فلسفتهم على أساس دور العقل في حياة الإنسان .

ومن مبادىء المعتزلة : إنَّه من المستحيل أن يأتي الشَّرع بما يحيله العقل أو يبطله. وقد أكَّد العقليُّون على أنَّ الجبر لا يليق بكرامة الإنسان بوصفه عاقلاً، ولا بالله بوصفه عادلاً، وقد كان العقليُّون أوَّل من ربط هذا الرَّبط العضوي بين قيم العدالة والحرِّيَّة والمسؤوليَّة.(العلي، ١٩٩٨، ٣٦– ٧٦)

– ابن رشد: مرحلة التَّفكير الفلسفي كانت مرحلة من مراحل التَّفكير الإنساني التي تسعى لمعرفة حقائق وأسرار الموجودات، ويرى ابن رشد أنَّ هذه الموجودات تحكمها أسباب، ويجب معرفة هذه الأسباب حتى نستطيع فهمها وتحليلها ونتوقع حدوثها .

يقول ابن رشد: **نستطيع أن نتبيَّن مدى شموليَّة قوَّة العقل بمقارنتها بالحواس؛ فإذا كانت الحواس تدرك موضوعاتها المخصوصة؛ فلأنَّها لا تملك طبيعة هذه الموضوعات، وإلاَّ عجزت عن معرفتها؛ أي: معرفة ما هو خارج ذاتها، فلكي يكون الهواء أداة لنقل الرَّوائح، يتعيَّن عليه أن لا يكون مالكاً لأيَّة رائحة، كما أنَّ الحواس لكي تدرك لا بدَّ أن تكون فاقدة لطبيعة الشَّيء المدرك، فإذا كان هذا شرطاً ضروريَّاً للمعرفة الحسِّيَّة؛ فبالأولى أن يكون شرطاً لمعرفة العقل. إنَّ العقل مدعوٌّ لأن يعرف كلَّ المعقولات، وهكذا نصل إلى ماهيَّة العقل الحقّة، إنَّها القوَّة، أو القدرة على الوجود بالقوَّة في كلِّ المفاهيم الكلِّيَّة، الفيزيائيَّة والرِّياضيَّة والميتافيزيقيَّة، وفي كلِّ العقول الفرديَّة.** (المصباحي، ١٩٨٨، ٣٨– ٣٩)

ويرى ابن رشد بأنَّ أتمَّ أنواع النَّظر العقلي هو المسمَّى بالبرهان، فالصَّواب عنده: هو ما يفضي به العقل والبرهان العقلي؛ لأنَّ الحقَّ لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد عليه؛ أي: أنَّ العقل البشري الذي هو هداية من الله، والكتاب المقدَّس الذي أُنزِل من عند الله من أجل هداية البشر لا يمكن أن يتعارضا ضدَّ بعضهما، كما يضيف بأنَّه لو اختلف العقل والنَّقل (النَّص) فإنَّ العقل هو الذي يفصل في الحكم.

٣.العقلانيَّة في الفلسفة الحديثة:

– العقلانيَّة عند توماس هوبز T. Hobbes (١٥٨٨– ١٦٧٩):

أراد هوبز أن يصل إلى مجتمعٍ عقلاني علمي خالٍ من الغيبيَّات من خلال نشر المعرفة العلميَّة التي سينتج عنها تفكيرٌ علميٌّ، وبإمكانها أن تتجاوز الصِّراعات القائمة، وأن تصل إلى حكومةٍ مدنيَّةٍ.

أعجب هوبز بالمنهج التَّحليلي التَّركيبي الذي تأثَّر فيه بالتَّيَّار الرِّياضي الذي ساد مدرسته بادوا، وأراد أن يعمِّمه لا في دراسة العالم الفيزيقي فحسب، بل في دراسة الفلسفة المدنيَّة أيضاً. ومعنى ذلك أنَّ الاستدلال سواءٌ أكان تركيباً أم تحليلاً يتضمَّن التَعريفات، والتَّعريفات تزيل الغموض والالتباس، وتعطي فكرةً كليَّةً عن الشَّيء المعرَّف، وتتحاشى أسباب المنازعات والمجادلات في النِّقاش؛ ولهذا فقد رأى هوبز في التَّعريفات، وفي البراهين الهندسية الأمل الرَّئيسي للإنسان العاقل؛ ليجنِّب بلاده تلك المناقشات العقيمة التي كان يعتقد أنَّها أساس الفتن والحروب والمنازعات الأهليَّة. ويصبُّ هوبز كلَّ آماله في استخدام النَّاس عقولهم بطريقةٍ رياضيَّةٍ في هذه العبارة الجامعة: (النَّتيجة التي ننتهي إليها: هي أنَّ الكلمات الواضحة هي ضوء العقل، وهي النُّور الذي يهديه، أمَّا العقل فهو الانطلاق، وهو ازدياد العلم، وهو الطَّريق، وهو نفع البشر، وهو الغاية. (إمام، ١٩٨٥، ١٠٨)

فهو يرى أنَّ لكلِّ علَّةٍ معلولاً، ولكلِّ ظاهرةٍ أسباباً، وهذه الحروب والفتن التي حدثت في عصره سببها سيطرة التَّفكير الغيبي والسِّحري، وغياب العقلانيَّة العلميَّة، فعندما يعرف الإنسان الأسباب وراء هذه الظَّواهر ستتغيَّر نظرته للأمور، وبالتَّالي سينتشر التَّفكير العلمي بين النَّاس، وسينتج عنه

عقلاً منفتحاً قادراً على الحوار والتَّسامح، وعلى الوصول للمجتمع المدني الذي منافعه تعود على جميع أبناء المجتمع .

– فرنسيس بيكون F. Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦):يهدف منهجه في البحث – أو المنطق الجديد الذي أتى به – إلى تحرير العقل من كلِّ الرَّواسب والمعتقدات المغروسة فيه، ويقوم على تجنُّب العقل في الوقوع بأوهام المجتمع ، فيما سمَّاه بالأوهام الأربعة:

- أوهام القبيلة أو الجنس البشري: وهي الخاصَّة بتركيب العقل الإنساني، والمشتركة بين الأفراد الذين ينتمون إلى قبيلة معيَّنة أو جنس معيَّن.
- أوهام الكهف: وهي الخاصَّة برغبات الفرد وميوله وعاداته ومزاجه وتكوينه الجسمي.
- أوهام السُّوق: وهي مرتبطة باللُّغة المستخدمة من قبل عامَّة النَّاس، والبعيدة عن الدِّقَّة العلميَّة.
- أوهام المسرح: وهي الخاصَّة بالموروث المكتسب من التَّيَّارات الفلسفيَّة على اختلاف نظرتهم للحياة والكون والإنسان.

يهدف بيكون من خلال منهجه إلى التَّخلُّص من الأوهام الموجودة في المجتمع من عادات وتقاليد مرتبطة بثقافة معيَّنة، أو قناعات زائفة مرتبطة بميول البشر، أو الأفكار التي نتجت عن الفلسفات التَّقليديَّة؛ للوصول إلى منهج علمي موضوعي يستطيع معرفة حقيقة الأشياء.

فيقول بيكون في كتابه الأورغانون الجديد: لقد فقدوا غاية العلوم وهدفها، واختاروا طريقاً خاطئاً بإتباعهم منهجاً ليس من شأنه أن يكتشف جديداً من مبادئ المعرفة، ويكتفي باتِّساق النَّتائج معاً، فقد ضلَّلهم منهج البحث الذي يهجر الخبرة التَّجريبيَّة ويجعلهم يلفُّون ويدورون حول أنفسهم في دوائر مغلقة. (الخولي، ٢٠٠٠، ٦٠)

– رينيه ديكارت R. Descartes (١٥٩٦ – ١٦٥٠): يُعَدُّ ديكارت بحقّ الشَّخصيَّة المحوريَّة التي نقلت الفلسفة من الحالة الكلاسيكيَّة إلى الفلسفة الحديثة، فهو مؤسِّس العقلانيَّة التي تبلورت على يديه بشكلها الواضح ؛ وذلك باعتباره العقل المصدر الوحيد للمعرفة. إنَّ الحاسم الذي أعطاه ديكارت للعقل (ratio) قد أسَّس للتَّسمية

العقلانيَّة، وهي صفة حملتها فلسفته كما حملتها الفلسفات اللَّاحقة. انطلاقاً من مطلب ديكارت باعتبار الواضح والمميّز حقَّاً يمكن الاستنتاج أنَّ: الحقَّ هو ما يمكن الإحاطة به منطقيَّاً وعقليَّاً. ينتج عن ذلك أنَّ عمل العقل هو الضَّامن الوحيد للحقيقة. (كونزمان، ٢٠٠٧، ١٠٧) ويشكُّ ديكارت بكل ما هو موجود من اعتقادات عن المعرفة، ويقوم بنسف المنظومة الفلسفيَّة التَّقليديَّة غير الثَّابتة بإطلاق مذهبه الشَّهير (أنا أشكُّ، أنا أفكِّر؛ إذن أنا موجود) ويحاول من خلاله بناء صرح فلسفيّ جديد قادر على الثَّبات والبقاء، يقول ديكارت: (قبل بضع سنوات صدمني عدد كبير من الأكاذيب التي كنت أقرُّ في طفولتي أنَّها حقيقة، وصدمتني الطبيعة المشكوك فيها بشدة لكامل الصرح الذي كنت قد أقمته بعدئذ عليها، وأدركت أنَّه كان ضروريَّاً مرَّة في أثناء حياتي أن أدمِّر كلَّ شيءٍ تدميراً كاملاً، وأن أبدأ فوراً من جديد من الأسس إذا أردت أن أبرهن على أيِّ شيء في العلوم مهما كان نوعه بحيث يكون ثابتاً ومن المحتمل أن يبقى.) (كونتنغهام، ١٩٩٧، ٤٧)، **يريد ديكارت إزالة كلِّ ما تعلَّق في ذهنه، وكل ما تعلَّمه من المدرسة والأسرة والمجتمع لكي يبدأ من لا شيء، فالعالم برأيه يجب أن يبدأ من لا شيء. فهو لا يتلقَّى على الإطلاق شيئاً على أنَّه حقٌّ ما لم يتبيَّن بالبداهة أنَّه كذلك. كما أكَّد ديكارت أنَّ العقل أعدل الأشياء قسمةً بين النَّاس، يدرك البديهيَّات بالحدس – أي بالإدراك الفوري المباشر – ويصل إلى الحقائق اليقينيَّة.** (الخولي، ٢٠٠٠، ١٢)، **ويعلن في مستهل مقالته في المنهج ، شمول الفطرة السَّليمة؛ أي: العقل، جميع البشر؛ ليتوصَّل من ذلك إلى سلامة استعماله؛ إذ إنَّه لا يكفي أن يكون العقل سليماً، بل الأهمّ من ذلك هو أن نستعمله استعمالاً جيِّداً، فإنَّ القدرة على الحكم العقلي الصَّالح، وتمييز الخطأ من الصَّواب، يجب أن تنظَّم بالمنهج.** (لويس، ١٩٨٨، ١٧)، **يقول ديكارت: إنَّني أعلم الآن أنَّه حتَّى الأجسام، بالمعنى الدقيق للكلمة لا تُدرَك بالحواس أو ملكة التَّخيُّل، إنَّما تُدرَك بفضل العقل وحسب، لا ينجم هذا الإدراك عن كونها ملموسة أو مرئيَّة، إنَّما هو بسبب كونها متعلِّقة بالفهم وموضوعاً للإدراك.** (ملكيان، ٢٠١٠، ٨٦)، ويرفض حصول

المعرفة عن طريق الحواس، ويرى بأنَّ حواس الإنسان تخدعه وتضلِّله، فالأشياء المادِّيَّة والمعنويَّة لا يمكن معرفتها إلاّ عن طريق العقل.

لقد أحدث ديكارت ثورة فلسفيَّة من خلال شكِّه بكلِّ شيءٍ، وذلك باستخدامه منهجاً للبحث عن الحقيقة، فأزال بذلك القياس الأرسطي الذي سيطر على عقول العلماء لأكثر من ألف عام، كما حرَّر منهجه عقول النَّاس من سيطرة الكنيسة فكانت البذور الأولى لثورة علميَّة قادمة.

٤.الثَّورة التَّجريبيَّة المضادَّة للعقلانيَّة :

- جون لوك .J. Lock (١٦٣٢ – ١٧٠٤): يفنِّد لوك ادِّعاءات العقلانيِّين بالأمثلة التَّالية: لو فكَّرنا في بعض المبادئ الأكثر تجريداً في المنطق والرِّياضيَّات؛ لبدا أنَّ أكثريَّة الجنس البشري يمضون حياتهم دون أن يكونوا في أيِّ وقت مدركين لها البتَّة، فالذِّهن عند الولادة يكون لوحاً أملس؛ أي: صفحة بيضاء من كلِّ الحروف. (كيف إذن يصل الذِّهن إلى أن يكون مزوَّداً بالمعرفة؟ من أين ينال ذلك المخزون الهائل الذي رسمه عليه خيال الإنسان النَّاشط وغير المحدود بتنوُّعٍ لا نهاية له تقريباً ؟ من أين يحصل عل كلِّ مواد المعرفة والعقل ؟ عن ذلك أجيب بكلمة واحدة: من التَّجربة ففيها تتأسَّس كلُّ معرفتنا، ومنها تنبثق المعرفة جوهريَّاً.) (كوتنغهام، ١٩٩٧، ٨٥ – ٨٦)

يرفض لوك الأفكار القبليَّة رفضاً قاطعاً من خلال مبرِّرات تدحض الاتِّجاه العقلاني، فهو يرى بأنَّ الإنسان يتعلَّم من خلال التَّجربة والملاحظة الحسِّيَّة؛ أي: التي نحصل عليها عن طريق الحواس، أمَّا الأفكار الفطريَّة لا وجود لها. ويحصر دور العقل بعمليَّة التَّأمُّل؛ أي: بعد أن يحصل الإنسان على الصُّور من ملاحظاته الحسِّيَّة، يبدأ بعدها حالة التَّأمُّل التي تقوم بتنظيم تلك الأفكار.

٥.مسلَّمات المذهب العقلاني: يقتاد أنصاره برنيه ديكارت، ويرون بأنَّ العقل مصدر المعرفة، ويثقون به، ومن مسلَّمات الاتِّجاه العقلاني:

أ- العقل قوَّة فطريَّة لدى جميع النَّاس.

ب- العقل يتضمَّن الحقائق، والتَّصوُّرات الكلِّيَّة، والمبادئ العامَّة.

ت- حقائق العقل صادقة وضروريَّة.

٦.مسلَّمات المذهب التَّجريبي:

المذهب التَّجريبي: يقتاد أنصاره بفرنسيس بيكون، وجون لوك فهم يرون بأنَّ الوسيلة التي تمكِّننا من قراءة الحقيقة هي التَّجريب والملاحظة الحسِّيَّة، ومسلَّمة المذهب التَّجريبي هي :

أ – أنَّ المعرفة نحصل عليها من خلال الحواس والتَّجربة.

وقد وجَّه كلٌّ من المذهب العقلاني والتَّجريبي العديد من الانتقادات يدحض كلٌّ منهما أفكار الآخر.

المذهب العقلاني :

أ – لو كانت الحواس والتَّجربة تشكِّل مصدراً للمعرفة؛ لكان الحيوان أيضاً يملك معرفة فهو يمتلك حواساً، ولكانت لديه تجربة على غرار التَّجربة البشريَّة.

ب– عندما ننظر إلى القمر عن طريق الحواس يبدو لنا صغيراً، لكنَّ العقل يصحِّح هذا الحكم بأنَّه أكبر ممَّا نراه بكثير.

المذهب التَّجريبي :

أ– الإنسان يكون عند ولادته عبارة عن صفحة بيضاء .

ب– الأسود ليس الأبيض، والكفيف محروم من فكرة الألوان.

إنّ أنصار كلٍّ من النَّزعة التَّجريبيَّة والنَّزعة العقلانيَّة حاولوا تفنيد مسلَّمات النَّزعة الأخرى في كيفيَّة الحصول على المعرفة .

٧.العقل والحسّ عند كانط E. Kant(١٧٢٤ – ١٨٠٤):

وضع كانط نظريَّةً للمعرفة، وهي علامة فارقة في تاريخ الفلسفة، وفي الوقت نفسه أقوى تمثيل لروح الفيزياء النيوتنيَّة والعلم الحديث، وتقوم على عنصرين: هما العقل والحسّ، فالمقولات العقليَّة تتلقَّى المدركات الحسِّيَّة؛ لتشكِّلها في صورة معروفة بعالم الظَّواهر، وعبَّر كانط عن هذا بقوله الشَّهير: "المقولات من دون المدركات الحسِّيَّة خواء، والمدركات الحسِّيَّة من دون المقولات عمياء"(الخولي، ٢٠٠٠، ١٢٦).

أراد كانط أن يدرس العقل الذي تصوَّره وسيطاً بين الفهم المنطقي والتَّجربة أو الظَّاهرة المحسوسة، وحاول بشكلٍ توفيقيٍّ أن يصل إلى معرفةٍ مصدرها العقل والحواس، لكن لم يوضِّح كيف تتمُّ عمليَّة الحصول على معرفة عن طريق الحسِّ والعقل بطريقة واضحة تبيِّن لنا فاعليَّة العقل والحواس معاً وكيف يتمُّ ذلك.

٨. قانون التَّطوُّر العقلي عند أوغست كونت comte Auguste (١٧٩٨ – ١٨٥٧):

يرى كونت أنَّ "التَّنظيم العقلي" هو أساس تنظيم المجتمع؛ وتوصَّل في تتبُّعه لتطوُّر منهج التَّفكير الإنساني إلى قانونه المشهور باسم "قانون الحالات الثَّلاث"، وقد حدَّد كونت صيغة هذا القانون في هذه العبارة بناءً على طبيعة العقل الإنساني نفسه، ولا بدَّ لكلِّ فرعٍ من فروع معرفتنا من المرور في تطوُّره بثلاث حالاتٍ متعاقبةٍ:

أ–الحالة اللَّاهوتيَّة: وهي المرحلة التي تفسِّر الظَّواهر بالرُّجوع إلى إرادة الآلهة، أو الأسباب الخارقة للطَّبيعة، أو القوى الخفيَّة.

ب–الحالة الميتافيزيقيَّة: تُعدُّ مرحلة التَّفكير الميتافيزيقي مرحلة انتقالٍ بين الحالة الدِّينيَّة والحالة الوضعيَّة، فكلُّ ما كان يشغله هو معرفة السَّبب أو العلَّة الأولى للظَّواهر التي تقع تحت حسِّه.

ج–الحالة الوضعيَّة: حينما ينصرف الفكر البشري عن هذه المواضيع الفارغة، ويكفُّ عن التَّأمُّلات الميتافيزيقيَّة، ويقصر اهتمامه على ملاحظة الظَّواهر، والتَّركيز على العلاقات التي تربط بينها؛ فإنَّه يتوصَّل إلى القوانين التي تتحكَّم في الظَّواهر والوقائع، وتجمع شتاتها وتجعلها في متناول الإنسان فيستفيد منها فكراً وعملاً، فهذه الحالة التي تمثِّل أرقى مراحل تطوُّر الفكر البشري هي الحالة الوضعيَّة، أو حالة الحقائق الواقعيَّة. (الجابري، ١٩٨٢، ١٩)

إنَّ عجز الإنسان في المرحلة البدائيَّة عن الوصول للأسباب الفعليَّة لظواهر الطَّبيعة دفعت به إلى التَّفكير بربطها بإرادةٍ غيبيَّةٍ خارجةٍ عن سيطرة البشر والتَّحكُّم بها، فكانت تُعزَى الفيضانات و البراكين و الزَّلازل وغيرها إلى قوى خارقة خفيَّة، واستمرَّت البشريَّة مرحلةً طويلةً يسودها التَّفكير الغيبي الذي بقيت آثاره في بعض المجتمعات حتَّى الآن.

ويشكِّل انتقال تفكير الإنسان من حالته الغيبيَّة إلى التَّفكير الميتافيزيقي خطوةً إلى الأمام نحو كشف حقائق العالم، ومعرفة أسراره، فالتَّفكير الميتافيزيقي: هو التَّفكير الذي يبحث عن السَّبب الأوَّل في نشوء الظَّاهرة؛ وذلك بالبحث داخل هذه الظَّواهر، وعلى الرُّغم من عدم قدرة الإنسان على بناء منهجٍ وأدواتٍ للوصول إلى الأسباب الحقيقية فإنَّها شكَّلت الأرضيَّة؛ للوصول إلى مرحلة التَّفكير الوضعي. وهي المرحلة التي يسود فيها التَّفكير العلمي المتمثِّل باتِّخاذ خطوات المنهج العلمي من الملاحظة وصولاً إلى القانون الذي يفسِّر العلاقات القائمة بين الظَّواهر الطَّبيعيَّة؛ ليستطيع التَّنبُّؤ بحدوث الظَّاهرة، فالذِّهن لا يعمل بواسطة تحويلٍ جذريٍّ للحالة الأولى نحو الحالة النِّهائيَّة – الوضعيَّة – بل ينتقل بواسطة تحويلاتٍ متدرِّجة.

ونجاح المنهج العلمي ونتائجه الملموسة في العلوم الطبيعيَّة دفعت أوغست كونت إلى تطبيقه على الظَّواهر الاجتماعيَّة، وتسمية علم الاجتماع في البداية بالفيزياء الاجتماعيَّة.

كما يرى كونت بأنَّ العامل العقلي هو أهمُّ جميع العوامل، وهو أكثر العوامل سيطرةً، وهذا يعني أنَّ العوامل الأخرى تتوقَّف عليه؛ إذ ما كان من الممكن أن نفهم تطوُّر الظَّواهر الأخرى دون أن نفهم تاريخ تطوُّر العقل، و دون أن نفهم تطوُّر الفلسفة والعلم، في حين إنَّه من الممكن جدَّاً فهم تاريخ التَّطوُّر العقلي من دون فهم تطوُّر الظَّواهر الأخرى. (بيار، ١٩٩٤، ٩٤)

٩. العقلانيَّة والتَّجريبيَّة عند غاستون باشلار G. Bachelar (١٨٨٤– ١٩٦٢) :

يرى باشلار بأنَّ الفكر العلمي المعاصر يجمع بين التَّجريبيَّة والعقلانيَّة، ولا يمكن الفصل بينهما على طريقة الفلسفة التَّقليديَّة، فالتَّجريبية عند باشلار تحتاج أن تستند إلى البرهان العقلي، كما أنَّ العقلانيَّة في حاجةٍ إلى التَّطبيق التَّجريبي، فقيمة القوانين التَّجريبيَّة تنبثق من قدرتها على اتِّفاقها مع العقل، وبالمقابل إنَّ ما يضفي القيمة الحقيقيَّة على أحكام العقل قابليَّتها للاختبار.

ولا يمكن تأسيس العلوم الطَّبيعيَّة بدون الدُّخول في الحوار الفلسفي بين العقلاني والمختبر، بدون الإجابة عن السُّؤالين المتقابلين نوعاً ما:

١–اليقين من أنَّ الواقع على اتِّصالٍ مباشرٍ مع العقلانيَّة، بحيث يستحقُّ من هنا بالذَّات اسم الواقع العلمي.

٢– اليقين من أنَّ البراهين العقليَّة المتعلِّقة بالخبرة هي سلفاً أوقات من أوقات هذا الخبرة. باختصار، لا عقليَّة في الفراغ، ولا تجريبيَّة مفكَّكة: هاتان هما الفريضتان الفلسفيَّتان اللَّتان ترتكز إليهما الجمعة الحميميَّة والدَّقيقة بين النَّظريَّة والتَّجربة في الطبيعيَّات المعاصرة. (باشلار، ١٩٨٤، ٣١) A

إنَّ المذهب الواقعي والمذهب العقلي يتبادلان النُّصح باستمرارٍ، وإنَّ مذهباً منهما لا يستطيع وحده أن يؤلِّف برهاناً علميَّاً؛ ففي نطاق العلوم الفيزيائيَّة لا نجد حدساً بظاهرة يستطيع أن يدلَّ على أسس الواقع دفعةً واحدةً، وكذلك لا مجال لوجود قناعةٍ عقليَّةٍ – مطلقةٍ ونهائيَّةٍ – في وسعها أن تفرض مقولاتٍ أساسيَّةٍ على طرائق بحثنا التَّجريبيَّة. (باشلار، ١٩٨٣، ١٢)

١٠.العقلانيَّة النَّقديَّة عند كارل بوبر .K. Popper (١٩٠٢ – ١٩٩٤) :

يرى بوبر أنَّ المعرفة في هذا المسار الطَّويل والبادي منذ إنسان نياندرتال حتَّى اليوم ، تمرُّ بمرحلتين :

أ– مرحلة التَّفكير الدوجماطيقي (القبل علمي): هي المرحلة البدائيَّة أو المرحلة السَّابقة على حضارة الإغريق. ولمَّا كانت محاولات المعرفة قد بدأت مع أول إنسان في التَّاريخ؛ فإنَّ المجتمعات البدائيَّة لها موقفٌ معرفيٌّ، لها محاولاتٌ لتفسير العالم بالأساطير والدِّيانات البدائيَّة، بالخرافات والخزعبلات، وكان التَّمسُّك بها قطعيَّاً وصارماً، وكانوا يعتبرون الشَّكَّ فيها، أو حتَّى محاولات التَّفكير فيها؛ لتقييمها أو نقدها جريمة ما بعدها جريمة، والتَّساؤل عن مدى صدقها كان محرَّماً، ينتهي بالموت، إنَّها مرحلةٌ لا تسمح بالخطأ ولا بأيِّ إمكانٍ أو احتمالٍ له.

ب- **مرحلة التَّفكير النَّقدي : بدأت حينما عرف الإنسان سرَّ التَّقدُّم، النَّقد ثمَّ تقبُّله؛ لذلك كانت المدرسة الأيونية أعظم مدرسة في التَّاريخ؛ لأنَّها علَّمت الإنسان أعظم درس، وهو الأهم على وجه الإطلاق: النقد وتقبله، لأوَّل مرَّةٍ في التَّاريخ لم يتحرَّج انكسمندر من نقد أستاذه طاليس وتبيان أخطائه، بل والإتيان بنظريَّةٍ أفضل من نظريَّته، والأدهى على مرأى ومسمع من أستاذه بل وبتشجيعٍ وترحيبٍ منه.** (عويضة، ١٩٩٥، ٩٣ – ٩٤)**فالتَّقدُّم العلمي ثوري؛ لأنَّ كلَّ نظريَّةٍ علميَّةٍ في عرف بوبر ثورة قامت على أكتاف تكذيب سابقتها وإتمام دورتها؛ لتبدأ دورةٌ جديدةٌ قابلةٌ هي الأخرى للتَّكذيب، لتشهد الثَّورة التَّالية ... وهلمَّ جرًّا.** (الخولي، ٢٠٠٠ ، ٣٩٤)

ينظر بوبر إلى المعرفة والعلم نظرةً واحدةً، فالعلم ليس إلاّ مرحلة متقدِّمة من المعرفة. وأي سلوك كان ليس إلاّ محاولة لحلِّ مشكلةٍ معيَّنةٍ؛ لذلك لابدَّ أن تكون المعرفة بدورها ليست إلاّ نشاطاً لحلِّ المشاكل، ولابدَّ أن يبدأ أي موقفٍ بمشكلةٍ محدَّدةٍ لتكن (م١)، تأتي بعد ذلك محاولة حل اختباري لهذه المشكلة (ح ح)، يتَّخذ الآن النَّقد دوراً أساسيَّاً في مناقشة هذا الحلِّ المقترح، فيستبعد الخطأ منه (استبعاد الخطأ: أ أ). بعد حذف الخطأ يبرز موقفٌ جديدٌ، وأي موقف لابدَّ أن يحتوي على مشاكل، إذن الموقف ينتهي بمشكلةٍ جديدةٍ (م٢)فيتَّخذ الصُّورة:

م١ – ح ح – أ أ – م٢

إنَّها الصُّورة المنهجيَّة لأيَّة محاولةٍ تجري على وجه الأرض.

منهج المحاولة والخطأ، ليس نتيجة، بل هو الصِّياغة ذاتها، النَّتيجة وحدة المناهج، ليست هناك خطوات محدَّدة يقتفيها العالم، وأخرى يقتفيها الفيلسوف، الأسلوب في جوهره واحد لجميع الباحثين والمفكِّرين: المنهج النَّقدي الذي يمكِّنهم من استبعاد الخطأ من محاولتهم، هذه النَّظريَّة في وحدة المناهج تفضُّ نزاعاتٍ جمَّة؛ التَّجريبيَّة أو العقلانيَّة. (عويضة، ١٩٩٥، ١٨ – ٢٢)

حين تُقدِّم النَّظريَّة الفلسفيَّة المنهج العلمي التَّجريبي بوصفه المنهج الفرضي الاستنباطي الذي ينطلق من فرض أبدعه عقل الإنسان، ثم يخرج منه بنتائج جزئيَّة يهبط بها إلى الواقع التَّجريبي ليختبر الفرض، فيقبله أو يعدله أو يرفضه؛ فإنَّ النَّظريَّة الفلسفيَّة بهذا تقدِّم صياغةً مثلى للعقلانيَّة التَّجريبيَّة، للعقل حين يرسم سبلاً موجَّهةً ناجحةً، حين ينطلق بمجمل طاقاته وقدراته أقصى انطلاقةٍ في محاولاته الجسورة لوضع الفروض العلميَّة، لكنَّها دون كلِّ انطلاقات العقل، ملتزمة بالواقع بما تنبئ به التَّجربة لتتعدَّل الفروض أو تُقبل أو تُلغى وفقاً له. منهج العلم التَّجريبي ينصت لشهادة الحواس ومعطيات الوقائع، فتعين موضع الخطأ والكذب في الفرض حين يتعارض معها، يصحِّح ويبحث عن فرضٍ جديدٍ متلافٍ لذلك الخطأ، يعرض بدوره على محكمة التَّجريب، ويعدل بفرضٍ جديدٍ. فهذا التَّآزر الجميل بين العقل والتَّجريب، الفهم والحواس، اليد والدِّماغ، الفكر والواقع، إنَّه العقلانيَّة التَّجريبيَّة. (الخولي، ٢٠٠٠، ١٧١)

وأخيراً نستطيع القول: إنَّ العقل البشري خاض تحوُّلاتٍ عديدةً في صراعه مع الطَّبيعة، وقد ارتبطت تلك التَّحولات بالظُّروف الاجتماعيَّة التي فسَّرت الظَّواهر الطَّبيعيَّة والاجتماعيَّة في كلِّ مرحلةٍ من مراحل تاريخ البشريَّة، والتي أنتجت تفكيراً عقلانيَّاً بدءاً من التَّفكير الدِّيني إلى التَّفكير الفلسفي وما تخلَّله من انقسامٍ في الفلسفة إلى التَّيَّار العقلي والتَّيَّار الحسِّي التَّجريبي والتي انتهت في نهاية المطاف بتكاملهما وتشكيلهما المنهج العلمي الذي يقوم على فرضيَّات بقدر ما يقوم على الملاحظة والتَّجريب، فأُنتِج التَّفكير العلمي الذي اعتبر الشَّكل الأرقى في التَّفكير الإنساني.

ثالثاً– العقلانيَّة العلميَّة :

١ –نشأة العقلانيَّة العلميَّة:

انقسمت التيَّارات الفلسفيَّة منذ الفلسفة اليونانيَّة إلى تيَّارين أساسيَّين؛ التَّيَّار الحسِّي التَّجريبي الذي يرى بأنَّ الحصول على المعرفة يتمُّ من خلال التَّجربة، والتَّيَّار العقلاني الذي يرى بأنَّ العقل هو المصدر الأساسي في نشوء المعرفة، وقد بدأت على يد كانط محاولات توفيقيَّة بين العقل والتَّجربة، ثمَّ تحوَّلت على يد غاستون باشلار وكارل بوبر إلى منهجٍ علميٍّ يعتمد على التَّجربة والعقل في آنٍ واحدٍ.

وهكذا ظلَّ الإنسان طويلاً يستعيض عن العلم بخيالاته وانفعالاته وحدسه وأفكاره المجرَّدة، ولم يصطنع منهجاً يتيح له الاتِّصال المباشر بالواقع عن طريق الجمع بين العقل والتَّجربة إلاّ في مرحلةٍ متأخِّرةٍ من تاريخه. (زكريا، ١٩٧٨، ٤٧)

فقد تبلورت فكرة العقلانيَّة العلميَّة تبلوراً واضحاً بعد استخدم المنهج العلمي؛ حيث تبدأ بالفرض العلمي (العقلانيَّة)، والملاحظة والتَّجربة (التَّجريبيَّة)، فتتميَّز عن العقلانيَّة الدِّينيَّة والفلسفيَّة.

الإشكاليَّة العامَّة التي تطرح العقلانيَّة التَّقليديَّة داخلها، مسألة العقل والمعرفة، إشكاليَّة قبليَّة النَّزعة، تبلغ أوجها وأعلى مراحلها (العلميَّة) مع فلسفة كانط التي تُعتَبر بحقٍّ لوناً عقلانيَّاً أكثر انفتاحاً من باقي الألوان العقلانيَّة التَّقليديَّة الأخرى وذلك من خلال:

- **تحويل العقل من خزَّانٍ للأفكار الفطريَّة إلى قدرةٍ مؤطَّرةٍ تقوم بإضفاء الطَّابع التَّركيبي على المعرفة .**
- **من نتائج إضفاء هذه الصِّبغة الدِّناميَّة على العقل أن يتحوَّل من مجرَّد قبسٍ أو نورٍ من العقل الكلِّي (أفلاطون – ديكارت) إلى مجموعة معايير وقواعد تسمح بإمكان قيام التَّجربة، وإمكان قيام معرفةٍ علميَّةٍ بها.**

لقد أصبح العقل مجموعةً من المبادئ والقواعد التي نستخدمها تجريبيًّاً، وعن طريقها يلقي الحسِّي المتباين أطراً صوريَّة قبليَّة تسمح بإضفاء صبغة الوحدة التَّركيبيَّة عليه. (يفوت، ١٩٨٩، ٦٦).

تختلف العقلانيَّة العلميَّة عن العقلانيَّة الدِّينيَّة والميتافيزيائيَّة بأنَّها عقلانيَّةٌ مفتوحةٌ، ولا تمتلك قوانين ثابتة ودائمة بل هي متغيِّرة ديناميكيَّة؛ لذلك فالنَّظريَّة العلميَّة هي نظريَّةٌ مؤقَّتةٌ.

وما تتميَّز به العقلانيَّة العلميَّة عن العقلانيَّة الميتافيزيائيَّة؛ هو رفضها لكلِّ فكرةٍ عن المطلق وعن الثَّابت، وهي إذ تقبل بصراحة سيادة التَّجربة؛ فلا تتصوَّر سوى الحقائق النِّسبيَّة والمتحرِّكة، وعندها العقل أداة تتحوَّل بتماسِّ الحوادث. (بايه، ١٩٩٦، ٨٧)

كما ينتقد باشلار الفلسفات التَّقليديَّة باعتقادها بمطلقيَّة صحَّة النَّتائج العلميَّة، فديكارت صاغ منهجه نتيجة إعجابه بالرِّياضيَّات، فالفلسفة العقلانيَّة التَّقليديَّة منغلقةٌ حول نفسها، بينما العقلانيَّة العلميَّة منفتحةٌ، بالإضافة إلى أنَّ العلم المعاصر أكَّد أنَّ الحقيقة العلميَّة تقريبيَّةٌ، خصوصاً حين يتعلَّق الأمر بموضوعات الميكروفيزياء، ولم يكن العلم الكلاسيكي يقبل بالمعرفة النِّسبيَّة إلاّ حين تعجز طرقه في الوصول إلى الحقيقة المطلقة. إنَّ تقريبيَّة الحقيقة في العلم المعاصر مردُّها إلى تعدُّد المناهج والوسائل والنَّظريَّات، وتجدُّدها المستمر. (وقيدي، ١٩٨٢، ٢٠٠)

وفي جميع (العقلانيَّات) يطالعنا الجهد ذاته لاستخلاص حقائق متينة باعتماد قوى الفكر الإنساني وحده، ولكنَّ العقلانيَّة (مغلقةٌ)؛ لأنَّها تقف أمام عتبة حقائق تعتبرها منزلة. والعقلانيَّة الميتافيزيائيَّة لم تتجاوز نصف – الانفتاح؛ لأنَّها تقيِّد العقل بمبادئ ثابتة لا ترضخ لدروس التَّجربة وقانون التَّغيُّر، أمَّا العقلانيَّة العلميَّة؛ فإنَّها (مفتوحةٌ)؛ لأنَّها تجاوز بآنٍ واحدٍ حاجز المنزل وحاجز الجامد؛ لأنَّها ترى أنَّ العقل أداة تقبل التَّكامل اللَّامحدود نتيجة الاحتكاك بالتَّجربة. (بايه، ١٩٩٦، ١٥)

أمَّا أوغست كونت؛ فقد أراد أن ينقل هذه المنهجيَّة العلميَّة إلى العلوم الإنسانيَّة، وتطبيقها على الظَّواهر الإنسانيَّة، ويجعل من التَّفكير العلمي التَّفكير السَّائد في المجتمع بدلاً من التَّفكير الغيبي والميتافيزيقي.

فقد رغب كونت في تأسيس ديانة بلا إله ولا ميتافيزياء، غرضها تواصل جميع العقول بقبولٍ واحدٍ لجملةٍ واحدةٍ من الحقائق. وأمَّا فكرته الرَّئيسة؛ فهي أن ينشد هذه الحقائق في العلم. ولكن لا مناص من توافر شرطين ضروريَّين لكي يستطيع العلم تحقيق الوحدة: يجب تطهير العلم من كلِّ عنصرٍ ميتافيزيائي أو لاهوتي، ويجب أن يمتدَّ العلم إلى الحوادث الإنسانيَّة، وإنَّ طرد العناصر الميافيزيائيَّة من حقل الكيمياء، وإرجاع الحوادث الإنسانيَّة إلى حقل العلم مكَّن (أوغست كونت) من أن يخطو الخطوة الحاسمة: إنَّه أوَّل منظِّرٍ للعقلانيَّة العلميَّة. (بايه، ١٩٩٦، ٨٩- ٩١).

إذن فإنَّ كونت منذ البداية كان مقياسه الوحيد للعقلانيَّة: هو مقياس العلم؛ لذلك فمنهجه يظهر منذ البداية أكثر عقلانيَّة؛ لهذا فالوضعيَّة تنتمي إلى التَّقاليد الكبرى للعقلانيَّة الفرنسيَّة، ومن هذا المنطلق فإنَّ كونت ينبغي أن يُنظَر إليه ويُدرَس على أنَّه المكمِّل لديكارت. (ألكين، ١٩٧١، ٨٨).

٢-العلاقة الجدليَّة بين العلم والعقل:

استخدم الإنسان عقله في جميع المراحل التي مرَّت بها البشريَّة، ففسَّر الإنسان البدائي الظَّواهر الطَّبيعيَّة؛ كالبراكين، والزلازل، والفيضانات بتفسيراتٍ أسطوريَّةٍ، وربطها بغضب الآلهة، فكانت هذه التَّفسيرات بحدِّ ذاتها تفكيراً عقلانيَّاً، كما شكَّلت أرضيَّة للتفسيرات التي تلتها وإن اختلف المنهج المتَّبع بين العقلانيَّات الميتافيزيائيَّة، والأسطوريَّة، والعقلانيَّة العلميَّة؛ لهذا فالعقل يبني المعرفة، والمعرفة بدورها تشكِّله وتكوِّنه، ممَّا يعني أنَّ هناك جدلاً بين العقل والعلم.

وهنا يكمن الفرق الحقيقي بين العقلانيَّة المعاصرة التي هي عقلانيَّة جدليَّة، وبين العقلانيَّة القديمة التي هي قبلويَّة، فإذا كانت هذه الأخيرة تعتبر العقل منظومة قواعد ومعايير تامَّة

التَّكوين والإنجاز؛ فإنَّ الأولى تنظر للعقل وكأنَّه قادرٌ على صنع القواعد والمعايير، وعلى تصحيح ذاتها وتنقيتها، فالعقل ليس نسقاً مغلقاً من القوانين والمبادئ، بل هو القدرة على استعمال معايير وقواعد بقصد بناء التَّجربة، وإضفاء صفة الموضوعيَّة على الواقع، وهي معايير تتكوَّن في المعرفة، وينطلي عليها ما ينطلي على المعرفة من تحوُّلٍ. (يفوت، ١٩٨٩، ٩٠)

ويرى كرين بريتون أنَّ العقلانيَّة تنزع إلى إسقاط كلِّ ما هو خارقٌ للطَّبيعي، أو غيبي من الكون، وأبقت فقط على الطَّبيعي الذي يؤمن المفكِّر العقلاني أنَّه قابلٌ للفهم في النِّهاية، وأنَّ سبيلنا إلى فهمه في الغالب الأعمِّ الوسائل التي يعرفها أكثرنا باسم مناهج البحث العلمي. ويبدو واضحاً من النَّاحية التَّاريخيَّة أنَّ نموَّ المعارف العلميَّة، والقدرة المتزايدة على استخدام المناهج العلمية، مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بنموِّ العقلانيَّة. (برينتون، ١٩٨٤، ١٢٠).

في العقلانيَّة المعاصرة التي يؤازرها العلم، والتي تتَّخذ منه منظومة إسنادها يراجع العقل نفسه، ويعيد فيها النَّظر باستمرار، فهو في نقاشٍ أزليٍّ وصراعٍ أبديٍّ مع ذاته. إنَّها عقلانية سجال، المفاهيم فيها خلاصة نقد المفاهيم، وحصيلة الانتقادات الموجَّهة إلى المفاهيم السَّابقة .(يفوت، ١٩٨٩، ٨٨).

إنَّ ما يميِّز العقلانيَّة العلميَّة هو أنَّها عقلانيَّةٌ جدليَّةٌ تؤثِّر وتتأثَّر بمتغيِّراتٍ عديدةٍ، فهي تعتمد على مبدأ النَّقد للنَّظريَّات التي تنتجها، فكلُّ نظريَّة قابلة للنَّقد والتَّفنيد لتحلَّ محلَّها نظريَّة علميَّة أخرى.

فالتَّقدُّم في العلم يتمُّ من خلال صراعٍ بين الجديد والقديم، ولا يتحقَّق إلاّ بنوعٍ من التَّطهير الشَّاق لهذه الأخطاء، والمعرفة لا تسير في طريق ميسَّر معبَّد مباشرة إلى الحقيقة، بل إنَّ طريقها ملتوٍ متعرِّج، تمتزج فيه الحقيقة بالبطلان، ويصارع فيه الصَّواب الخطأ صراعاً مريراً لكي يخلِّص نفسه منه. (الخولي، ٢٠٠٠، ٣٨٩).

يرى باشلار أنَّ العقل قادرٌ أن يقوم انطلاقاً من التَّجربة بصياغة منظومةٍ للمعرفة يتحقَّق فيها الانسجام تدريجيَّاً بفضل التَّقدُّم العلمي، والمراجعة الدَّائمة التي يفرضها العلم على العلماء، فالعلم يغذِّي العقل، وعلى العقل أن يخضع للعلم الذي يتطوَّر باستمرارٍ. وبينما كانت الفلسفات العقلانيَّة التَّقليديَّة تنظر إلى موقفها العقلاني كما لو كان موقفاً نهائيَّاً، أي عقلانيَّة تعلن عن انغلاقها، فإنَّ العقلانيَّة التي يقدِّم باشلار موقفه بها عقلانيَّة التَّفتُّح على تعدُّد في صور المكان وصور الزَّمان، إنَّها عقلانيَّةٌ متفتِّحةٌ. (وقيدي، ١٩٨٠، ٢٠٠)؛ لذلك نجد بأنَّ العقلانيَّة العلميَّة تتَّسم بالتَّغيير، والنَّقد، وتصحيح الأخطاء.

إنَّ الفكر العقلاني لا يبدأ، بل إنَّه يصحح، إنَّه يضبط، إنَّه يطبّع، وهو إيجابيٌّ في ما وراء الإنكارات المتكاثرة، أولئك الذين يرون في الأشياء العاميَّة مبادئ لعالمٍ معيَّنٍ، قلَّما يستطيعون الإفادة من قيم الالتزام المميِّزة للمعرفة العلميَّة. (باشلار، ١٩٨٤، ٢٠٤).A

نعطي مثالاً عن الواقع العربي يبيِّن وضوح العلاقة الجدليَّة بين العقل والعلم ، وكيفيَّة تأثير كلٍّ منهما في الآخر، وكيف ينتج عن هذه العلاقة الجدليَّة عقليَّة متخلِّفة في المجتمع العربي، ويؤثِّر على العلم في الوقت نفسه؛ يقول الجابري :العلاقة بين الكمِّ والكيف في عمليَّة التَّقدُّم علاقةٌ جدليَّةٌ، علاقة تأثيرٍ متبادلٍ. والكيف في التَّعليم يتعلَّق بالمناهج والمضامين، فإذا كان نظام التَّعليم في الوطن العربي يشكو ضعفاً خطيراً في الكيف؛ فليس ذلك راجعٌ إلى اتِّساعه وانتشاره، الأمر الذي تكذِّبه الإحصاءات، بل هو راجعٌ أوَّلاً وأخيراً إلى تخلِّف مناهجه وضعف مضامينه.

إنَّ تعليماً يقوم على التَّلقين بدل البحث، ويعتمد على الذَّاكرة بدل الفهم، والتَّسليم بدل النَّقد، وممارسة السُّلطة بدل تحريك المواهب وتشجيع المبادرات.....الخ، إنَّ تعليماً هذا منهجه تعليمٌ متخلِّفٌ تماماً ينتمي إلى قرونٍ خلت، وبالتَّالي فهو لا ينتج ولا يستطيع أن ينتج العقول القادرة على مواجهة تحدِّيات الحاضر، ومتطلَّبات المستقبل. (الجابري، ١٩٩٠، ٨٢).

تبيَّن أنَّ العقل بعيدٌ عن أن يكون شكلاً من التَّفكير محدَّداً بصورةٍ نهائيَّةٍ، بل كان فتحاً مستمراً؛ فالعقل في تنافسه الدَّائم مع المواقف المتَّصفة باللَّاعقليَّة يكون في كلِّ عصرٍ شكلاً من الخيال الخلّاق في حالة توازنٍ مؤقَّتٍ. وبهذا الاعتبار، سيظلُّ باستمرارٍ، عبر العديد من التَّقلُّبات، إحدى القوى الأكثر حيويَّة في حضارتنا. (جارنجي، ٢٠٠٤، ١٣٣).

٣- سمات التَّفكير العلمي :

(١) - العلم معرفةٌ تراكميَّة: ولفظ (التَّراكميَّة) هذا يصف الطَّريقة التي يتطوَّر بها العلم، والتي يعلو بها صرحه ، فالمعرفة العلميَّة أشبه بالبناء الذي يشيِّد طابقاً فوق طابقٍ، مع فارقٍ أساسيٍّ ؛هو أنَّ سكَّان هذا البناء ينتقلون دوماً إلى الطَّابق الأعلى .

(٢)- التَّنظيم : في كلِّ لحظةٍ من حياتنا الواعية يستمرُّ تفكيرنا، ويعمل عقلنا بلا انقطاعٍ، ولكنَّ نوع التَّفكير الذي نسمِّيه (علميَّاً) لا يمثِّل إلا قدراً ضئيلاً من هذا التَّفكير الذي يظلُّ يعمل دون توقُّفٍ؛ ذلك لأنَّ عقولنا في جزءٍ كبيرٍ من نشاطها لا تعمل بطريقةٍ منهجيَّةٍ منظَّمةٍ، وإنَّما تسير بطريقةٍ أقرب إلى التَّلقائيَّة والعفويَّة.

(٣)- البحث عن الأسباب: لا يكون النَّشاط العقلي للإنسان علماً بالمعنى الصَّحيح إلاّ إذا استهدف فهم الظَّواهر وتعليلها، ولا تكون الظَّاهرة مفهومة، بالمعنى العلمي لهذه الكلمة إلاّ إذا توصَّلنا إلى معرفة أسبابها.

(٤)- الشُّموليَّة واليقين : المعرفة العلميَّة معرفة شاملة، بمعنى أنَّها تسري على جميع أمثلة الظَّاهرة التي يبحثها العلم. والواقع أنَّ اليقين في العلم مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بطابع الشُّمول الذي قلنا إنَّ القضايا العلميَّة تتَّسم به؛ إذ إنَّ كلَّ عقلٍ لا بدَّ أن يكون على يقينٍ من تلك الحقيقة التي تفرض نفسها عليه بأدلَّةٍ وبراهين لا يمكن تفنيدها.

(٥)- الدِّقَّة والتَّجريد: الوسيلة التي يلجأ إليها العلم من أجل تحقيق صفة الدِّقَّة هذه، هي استخدام لغة الرِّياضيَّات، كما أنَّ التَّجريد صفةٌ ملازمةٌ للعلم سواءٌ تمَّ ذلك التَّجريد عن طريق

الرِّياضة (وهو الأغلب)، أو عن طريق أيِّ نوعٍ آخر من الرُّموز أو الأشكال. (زكريا، ١٩٧٨، ١٥ – ٤٢).

٤– أثر العلم في المجتمع :

ساهمت الاكتشافات العلميَّة في الغرب بزعزعة القيم الدِّينيَّة التي كانت سائدةً فشكَّلت بذلك نقطة تحوُّلٍ من التَّفكير الدِّيني إلى التَّفكير العلمي في المجتمع الأوربي.

يعتقد برتراند رسل Bertrand russell بوجود ثلاثة مكوِّنات ذات أهمِّيَّةٍ خاصَّةٍ في تكوين النَّظرة العلميَّة التي سادت القرن الثَّامن عشر:

- **أنَّ بيانات الحقائق يجب أن تُبنَى على الملاحظة، وليس على استشهادٍ غير مسندٍ.**
- **أنَّ العالم يتمتَّع بنظامٍ ذاتيِّ الفعل وذاتيِّ الدَّيمومة، وتخضع كافَّة التَّغيُّرات فيه إلى قوانين الطَّبيعة.**
- **أنَّ الأرض ليست مركز الكون، ومن المحتمل أنَّ الإنسان ليس غاية الكون (في حال كان للكون غاية)، وأنَّ الغاية – إضافةً إلى ذلك مفهومٌ غير ذي نفعٍ علميَّاً.**

هذه الفقرات شكَّلت ما يُدعَى بالنَّظرة الميكانيكيَّة التي حاربها رجال الكنيسة، وأدَّت إلى توقُّف الاضطهاد، وتبنِّي وجهة النَّظر الإنسانيَّة بصورةٍ عامَّةٍ.(راسل، ٢٠٠٨، ٢٦– ٢٧).

كما يعطي كونت للإصلاح العقلي الأولويَّة، وبناءً على قانون الحالات الثَّلاث جميع تفسيراتنا في مختلف أنواع المعرفة: تبدأ لاهوتيَّة، وتمرُّ بالمرحلة الانتقاليَّة الميتافيزيقيَّة، ثمَّ تصير وضعيَّة، إلاّ أنَّ هذا التَّطوُّر لم يبلغ غايته؛ ولذلك يريد كونت تحقيق هذه الغاية واستكمالها؛ أي: ملاحظة البحوث العلميَّة الضَّروريَّة لإعادة تنظيم المجتمع، والسَّبب في عدم اكتمال التَّطوُّر هو أنَّ أنماط التَّفكير الثَّلاثة: اللَّاهوتي، والميتافيزيقي، والوضعي مازالت مجتمعةً؛ ولهذا نلاحظ كونت يحدِّد هدفه منذ البداية والذي يتمثل في البحث عن الاتِّساق المنطقي أو العقلي الذي ما زالت تفتقده العقول. (مولف، ٢٠٠٨، ١٢٢).

فالرَّأي العام والمعرفة لدى عموم النَّاس ليست بالضَّرورة هي المعرفة الصَّحيحة، فالفرد يخضع لمؤسَّسات التَّنشئة الاجتماعيَّة من الأسرة والحي إلى المجتمع إلى تأثير وسائل الإعلام والانترنت، كل هذا قد يشكِّل لديها معرفةً خاطئةً وبعيدةً عن المعرفة العلميَّة.

إنَّ العلم في حاجته إلى الكمال كما في مبدئه ، يتعارض تعارضاً مطلقاً مع الرَّأي العام . وإذا حصل للعقل أن أيَّد الرَّأي الشَّائع في نقطةٍ خاصَّة، فذلك لأسبابٍ أخرى مختلفةٍ عن الأسباب المؤسِّسة للرَّأي، فالرَّأي العام يفكِّر سيئاً، والرَّأي العام لا يفكِّر؛ إنَّه يترجم الحاجات إلى معارف، وهو إذ يشير إلى الأشياء بجدواها إنما يحظِّر على نفسه معرفتها. (باشلار، ١٩٨٢، ١٣).

لذلك تقع على عاتق المؤسَّسات الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والثَّقافيَّة والنُّخب الفكريَّة مهمَّة توحيد الجهود بنشر الفكر العلمي؛ لتكوين جيلٍ يؤمن بالفكر العلمي، ويغيِّر من طريقة تفكيره ونظرته للإنسان والمجتمع والحياة، لكنَّ هذا لا يعني تكوين جيلٍ يتَّسم بالنَّمطيَّة الجامدة فالتَّعددية أساس الإبداع والإنجاز في المجتمعات التَّقدميَّة.

وتتمركز تأريخيَّات كراوثر حول صلة العلم بالمجتمع، والعلاقة التَّبادليَّة بينهما، وضرورة أن يهيِّئ المجتمع الظُّروف المواتية للتَّقدُّم العلمي، والتَّأثير الشَّديد للعلم في مناحي الحياة الاجتماعيَّة، بدءاً من الحرب والعلاقات الدَّوليَّة، وانتهاءً بأشكال التَّقسيم الطَّبقي ووقائع الحياة اليوميَّة. (الخولي، ٢٠٠٠: ٢١).

فالعوائق التي تقف ضدَّ انتشار التَّفكير العلمي في المجتمع العربي تكمن في البنية الاجتماعيَّة الجامدة؛ لذلك يحتاج المجتمع العربي إلى خلق بيئةٍ اجتماعيَّةٍ ديناميكيَّةٍ متفاعلةٍ مع بعضها، و خطابها موحَّد حتَّى تستطيع أن تنشر التَّفكير العلمي بين أبنائها.

إنَّ العلم لا يتقدَّم، ولا يفسح المجال أصلاً للجهود الإبستمولوجيَّة ما لم ينشأ في بيئة ثقافيَّة متساندة تملك بواعث هذا التَّقدُّم؛ " لأنَّ العلم لا يعمل وحده في فراغ ، بل هو يفلح أرضاً مهَّدتها الثَّقافة السَّائدة من قبل، أو تركتها صعيداً زلقاً ، " إنَّه كما يقول جون ديوي يعمل في

نطاق مؤسَّسةٍ ثقافيَّةٍ تستوعب الشُّؤون الثَّقافيَّة كافَّة التي كانت قد استقرَّت حتَّى يمكن أن يتقدَّم العلم ذاته. (الخولي، ٢٠٠٠: ٣٥٤).

طبعاً هذا لا يعني بأنَّ هذا الأمر سهلٌ، بل هو طريقٌ معبَّدٌ بالصُّعوبات والمشاكل والأزمات.

إنَّ محاولة وضع احترام الملاحظة كبديل عن التَّقاليد الموروثة موضع التَّنفيذ هو أمرٌ صعبٌ جدَّاً، إلى درجة أنَّه يمكن للمرء القول إنَّه مخالفٌ لطبيعة البشر، أمَّا العلم فيصرُّ عليه، وكان هذا الإصرار مصدراً لأعنف المعارك بين العلم والسُّلطة. (راسل، ٢٠٠٨: ٣٠).

لذلك يحتاج العالم العربي إلى دراساتٍ عميقةٍ للمؤسَّسات الاجتماعيَّة الفاعلة، وكيفيَّة نقلها من صورتها التَّقليديَّة إلى صورتها الحديثة للعمل على نشر التَّفكير العلمي بين أبناء المجتمع.

كما يرى توماس كون Thomas.Kuhn أنَّ تفسير التَّقدُّم العلمي لا بدَّ وأن يرسو في نهاية المطاف على عوامل سوسيولوجية وسيكولوجيا، وعلى توصيف لنسق القيم أو الإيديولوجيَّة، بمعيَّة تحليل وتوصيف المؤسَّسات التي يتقدَّم العلم من خلالها. (الخولي، ٢٠٠٠ : ٤٠٦) وقد يفيد منهج كارل بوبر في كيفيَّة انتشار التَّفكير العلمي في المجتمع، **يقول كارل بوبر:أي سلوك كان ليس إلاّ محاولة لحلِّ مشكلةٍ معيَّنةٍ؛ لذلك لا بدَّ وأن تكون المعرفة بدورها ليست إلاّ نشاطاً لحلِّ المشاكل.**

لذلك يبدأ أي موقفٍ بمشكلةٍ محدَّدةٍ لتكن (م ١)، لتأتي محاولة حلها (ح ح)، لكن لا بدَّ من مناقشة أو اختبار الحل و " استبعاد الخطأ " (أ أ) وإلاّ فلن تستمرَّ الحياة . بعد حذف الخطأ يبرز موقفٌ جديدٌ ، وأي موقفٍ يحتوي على مشاكل ، لينتهي إلى مشكلةٍ جديدةٍ (م ٢)، هكذا نجد الصُّورة المنهجيَّة لأيِّ محاولة : (م١ – ح ح _ أ أ _ م٢) . (عويضة، ١٩٩٥: ١٨).

عندما يواجه الإنسان مشكلةً باستخدام ما توصَّل إليه العقل البشري من علم، ويثبت ذلك بطلان معارفه السَّابقة المرتبطة بالسِّحر والغيبيَّات تتغيَّر آراؤه حول مسائل عديدة، ومن ثمَّ يتعرَّض لمشكلةٍ أخرى ويحاول حلَّها، وهكذا إلى ما لانهاية ليتقدَّم العلم وينتشر في المجتمع.

لقد كانت حياة الإنسان البدائي تحيط بها المحرَّمات، ويترتَّب على مخالفة أيٍّ من هذه المحرَّمات عواقب وخيمة، وقد توارت بعض مكوِّنات هذه النَّظرة البدائيَّة في عهدٍ مبكِّرٍ، وذلك في الأصقاع التي بدأت فيها الحضارة . ولقد كان العلم العامل الأساسي في تبديد الخرافات البدائيَّة، فالخسوف والكسوف أوَّل ظاهرتين طبيعيَّتين خرجتا من حيِّز الخرافات البدائيَّة إلى نطاق العلم، إنَّ انتصار الشعور الإنساني والعقلانيَّة على السِّحر والخرافات يُعزَى بصورةٍ كاملةٍ إلى انتشار النَّظرة العلميَّة. (راسل، ٢٠٠٨: ٢٠: ٢٥).

وهناك نخبٌ فكريَّةٌ عديدةٌ تطالب بنشر التَّفكير العلمي عبر وضع آليَّاتٍ لتغيير الذِّهنيَّة التَّقليديَّة في المجتمع العربي :دعا الجابري إلى تحديث العقل العربي، وتجديد الذِّهنيَّة العربيَّة فاقترح اقتراحين: الأول– ربط الجامعات العربيَّة بالجامعات الغربيَّة التي تمتاز بتطوُّرها العلمي والتِّقني والفلسفي؛ حيث يقول: الدَّفع بمدارسنا وجامعاتنا إلى مسايرة تطوُّر الفكر العلمي، والعمل على نشر المعرفة العلميَّة. أمَّا الاقتراح الثَّاني– فيتمثَّل في ترغيب الطَّلبة والمثقَّفين العرب عموماً بالاهتمام بالفلسفة، خصوصاً الفلسفات العلميَّة التي تُعتَبر التَّخصُّص الكفيل ببعث روح التَّقدُّم والتَّطوُّر العلمي.(الجابري، ١٩٨٢، ٥).

ويقول هشام شرابي: إذا أردنا لمجتمعنا العربي أن يتجاوز أزمته المتفاقمة، وأن يسترجع قواه ويدخل ثانية في مجرى التَّاريخ، فلا بدَّ له من القيام بعمليَّة نقدٍ حضاري يمكِّنه من خلق وعيٍ ذاتيٍّ مستقلٍّ، واستعادة العقلانيَّة الهادفة، ولا يمكن تحقيق هذا إلاّ من خلال التَّفاعل الفكري الحر والنِّقاش المستمر، لا بين المفكِّرين والمثقَّفين فحسب، بل بين جميع الفئات والأحزاب والتَّجمُّعات وعلى صعيد المجتمع ككل. (شرابي، د.ت. ن.: ١٠).

وهناك من يرى بأنَّه من الصَّعب تطبيق العلمانيَّة على المجتمع العربي من خلال هياكل نظريَّة، ولوائح جاهزة مستوردة من الخارج، بل يحتاج المجتمع العربي إلى ثوراتٍ عقلانيَّة تبدأ بعمليَّات تغييرٍ؛ للانتقال من العقليَّة التَّقليديَّة إلى عقليَّةٍ حديثةٍ نابعةٍ من صميم الفكر العربي .

يعتَبر د. عبد الوهاب المسيري أنَّ العلمانيَّة في العالم الثَّالث قد أدَّت في معظم الأحيان إلى التَّغريب واستخدام العلم والتّكنولوجيا استخداماً منفصلاً عن القيمة، وذلك بفعل الاستخدام الميكانيكي للعلمانيَّة دون أن يكون هناك التَّرابط الذي نعترف بوجوده أحياناً بين العلمانيَّة من جهة، والدِّيمقراطيَّة والعقلانيَّة والتَّحديث من جهة أخرى، ولكن لا نرى فيه رابطة عضويَّة أو ضروريَّة، حيث يمكن أن ترتبط العلمانية باللاعقلانية والاستبداد والفاشية. (الشوملي، ٢٠٠٨، ١٥٢)

يستمرُّ العلم في صراعه ضدَّ التَّفكير الغيبي والأسطوري بإصراره على نشر الفكر العلمي، وإيجاد أرضيَّة له في المجتمع على الرَّغم من المعوِّقات الاجتماعيَّة التي تعترضه المتمثِّلة (بالعادات والتَّقاليد والدِّين وغياب الدِّيمقراطيَّة) التي تعمل ضمن منظومةٍ اجتماعيَّةٍ متكاملةٍ متماسكةٍ تسهم في تخلُّف الإنسان العربي وإبعاده عن التَّفكير العلمي.

تتحالف ثلاثية الاستبداد، العصبيات والأصوليات فيما بينها؛ إذ إنَّ ممارسة ألوانٍ من الهدر على الفكر، وصولاً إلى خلق مناخ مواتٍ لفرض سطوتها، واستدامتها من خلال تجريم الفكر وتحريمه، والحجر على العقول والأفئدة، ولأنَّ هدفها العام هو بناء مراكز نفوذها وترسيخها، فإنَّ المعرفة والفكر المنتج لها يفقدان وظائفهما الأصلية ؛ ذلك أنَّ علم الاجتماع المعرفة يعلِّمنا أنَّ المعرفة تنشأ للقيام بوظائف هامة في التَّفسير والإعداد والإنتاج والتَّسيير، وأن ليس هناك معرفة مقطوعة الصِّلة عن خدمة قضايا المجتمع واحتياجاته.(الحجازي ٢٠٠٥، ١٦٩ – A.(١٧٠

واجه المجتمع العربي بطريقةٍ لاعقلانية الكثير من الأزمات والصِّراعات وغيرها من مظاهر انتشار الأصولية والجماعات المتشددة، واتسمت تلك الصِّراعات بعدم تقبل الآخر، ورفض ثقافة الحوار،

واللُّجوء للعنف من أجل حل الصِّراع، فكلُّ طرف لديه قناعات بأنَّه يمتلك الحقيقة المطلقة، وخاصَّة التَّيَّارات الأصولية التي تستمد معرفتها من التُّراث الدِّيني، والتي تنظر لمجمل الحياة الاجتماعية من منظار الدِّين وهذا ما يتعارض مع التَّفكير العلمي، فالمجتمع الذي يمتلك المعرفة العلمية هو المجتمع الأكثر قدرة على حل المشكلات التي تعترضه.

يمكن لقيم العلم المعرفية أن توجِّه الجهود السُّوسيولوجية من أجل التَّعرف على المشكلات الاجتماعية وتقدير حجمها، وعن طريق تطبيق قيم العلم المعرفية ونشرها يمكن لعلم الاجتماع أن يسدَّ الفجوة بين رأي عام غالباً ما يكون غير مطَّلع، وبين معرفة عامة مؤثرة، فالوقاية من المشكلات الاجتماعية الخطيرة وحلها أمر يتطلب شعباً مشاركاً وحسن الاطِّلاع. (مانيس، ١٩٨٩، ٢٦٤).

يلخص تقرير التَّنمية الإنسانية الثَّاني للعام ٢٠٠٣ حول موضوع (نحو إقامة مجتمع معرفة) هذا الواقع في مقولة بالغة الدَّلالة (المعرفة هي الفريضة الغائبة في أمة العرب). (حجازي، ٢٠٠٥، ١٧٢).A

اشتهرت نظرية أليس في الغرب بعلاج المرضى الذين يعانون من أمراض نفسية اجتماعية، ويحملون أفكاراً لاعقلانية وذلك من خلال تغيير المعرفة التي يملكونها بمعرفة عقلانية.

يميز أليس Ellis,A بين نوعين من المناهج من حيث أهدافهما التي يرميان إلى تحقيقها؛ الأول: هو المنهج العقلاني الانفعالي السُّلوكي العام؛ وهو المنهج السلوكي المعرفي نفسه الذي يهدف إلى تعليم الأفراد السُّلوكيات العقلانية الملائمة. والثاني: هو المنهج العقلاني الانفعالي السُّلوكي المتميز، ويهدف إلى ما يهدف إليه النَّوع الأوَّل، بالإضافة إلى تعليم الأفراد دحض أفكارهم اللَّاعقلانية وسلوكياتهم الهادمة للذَّات، وتعليمهم استخدام الطُّرق المعرفية الانفعالية العقلانية؛ كطرق مساعدة الذَّات.(Janes, R.N; 1996, P. 262).

حيث تسعى نظرية إليس التي تعرف بنظرية العلاج العقلاني الانفعالي إلى تغيير المعارف؛ لتعديل السُّلوك والتَّأثير على الانفعالات، انطلاقاً من الاعتقاد القوي بأنَّ المعرفة تلعب دوراً أساسياً في إحداث الاضطرابات الوجدانية وعلاجها. (Scott, 1991, p. 120)

يشير فروجت إلى أنَّ العلاج العقلاني أحد مداخل المعرفي السُّلوكي، وهو يعتمد على مبدأ أنَّ المشاعر والسُّلوكيات ناتجة عن العمليات المعرفية، ويمكن للأفراد تعديل هذه العمليات المعرفية؛ وذلك لتحقيق أفضل النَّتائج لمشاعر وسلوكيات الأفراد، كما أنَّه يركز أيضاً على أهمية الدَّور الذي تلعبه المعرفة والسُّلوك في تطوير المشكلات الانفعالية للأفراد.(Froggatt, W, 2005 ,P. 1-15).

يعرِّف تقرير التَّنمية الإنسانية الثَّاني (٢٠٠٣) مجتمع المعرفة بأنَّه ذلك المجتمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النَّشاط المجتمعي وصولاً إلى الارتقاء بالحالة الإنسانية باضطراد؛ أي: إقامة التنمية الإنسانية. (حجازي، ٢٠٠٥، ١٧٩).A

كما نجد تبدد صورة قومية الفكر والإنجازات العلمية ضمن بوتقة شعب معين، فالحضارة هي من إنتاج شعوب العالم مع بروز إنتاج حضاري لشعب ما أكثر من باقي الشعوب، ولكن ذلك يكون ضمن مرحلةٍ زمنية محددة، بالإضافة إلى ذلك فنتائج الاكتشافات العلمية تصل كل البشرية.

إنَّ مسألة الإقدام على العلم، واحترام دور العقل ونتائج ما يتوصل إليه من معرفة في جميع المجالات الطَّبيعية والاجتماعية هي من أهم مسائل التَّحديث، إن لم تكن أهمها .

وقضية العلم قضية عالمية، وليست خاصة، فنتائج العلم الحديث تراث مشاع لكل البشرية، وعلينا أن نعتبر ذلك من أهم مسائل التَّقدم، وهنا لا بدَّ من الانفتاح على ثقافة الغرب والتَّفاعل معه، والمشاركة النَّشطة في عملية البحث العلمي. (العلي، ١٩٩٨، ٣٧٨).

إنَّ العلم عالمي بالطَّبيعة، فالحقائق التي يسعى إليها العلماء ليست حقائق قومية، وإنما هي نفسها في كل مكان، وبالتَّالي يمكن إدراكها عالمياً . (مانيس، ١٩٨٩، ٢١٤)

ومهما استمر الصِّراع بين التَّفكير الغيبي والأسطوري من جهة، والتَّفكير العلمي من جهة أخرى فإنَّ الأمر الحاسم في المستقبل لمن يكتشف الحقائق، ولمن يستطيع تلبية حاجات الإنسان، ولمن يستطيع حل المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالجريمة، والجنوح، والتَّمييز العنصري، والطبقية، وعدم تقبل الآخر المخالف جنسياً وطائفياً وعرقياً، والمشاكل المرتبطة بالسِّياسة والدِّيمقراطية والاقتصاد والتَّصنيع.

يرى فرويد أنَّ انتصار العقلانية على اللاعقلانية أمر محتوم في نهاية المطاف؛ لأنَّ العقلانية هي وحدها التي يمكن أن تقدم إشباعاً فعلياً، وأن تفتح الطريق أمام إمكانية تحرر حقيقي بحكم اعتمادها على مقاربة علمية وواقعية للواقع، في حين أنَّ الإشباع الوحيد الذي يمكن للاعقلانية أن تقدمه هو الإشباع عن طريق الهلوسة الذي هو بالضَّرورة إشباع كاذب وغير مجدٍ، وأشد إحباطاً في خاتمة المطاف من الإحباط الفعلي الذي يحاول أن يدرأ تنغيصه وأن يشبعه سحرياً. وقد يكون التَّعاطي السِّحري مع العالم أرضى للنَّفس وألذّ، ولكنَّ التَّعاطي العلمي والواقعي مع الواقع هو وحده المحرر. (طرابيشي، ١٩٩١، ٧٩)

بعد تتويج التَّفكير العلمي على عرش العقل البشري نتيجة الإنجازات العلمية التي حققها في مجالات عديدة؛ كالفيزياء، والكيمياء، والفلك، بدءاً بتغلغل الأفكار العلمية من المختبرات العلمية إلى الحياة الاجتماعية خاصة بعد دحضها للعديد من مسلمات التَّفكير الدِّيني والفلسفي حول مركزية الكون وثباتها التي كانت تدافع عنها الكنيسة، والذي نتج عنها صراع بين عدة عقلانيات موجودة في المجتمع؛ كالتَّفكير الدِّيني، والتَّفكير العلمي، والتَّفكير السِّحري، فما هي المعوِّقات الاجتماعية للتَّفكير العقلاني العلمي في المجتمع العربي ؟ .

الفصل الثالث: المعوقات الاجتماعية للتفكير العقلاني

العادات والتَّقاليد

١. مفهوم العادات والتَّقاليد:

تتغير العادات والتَّقاليد باكتشاف الإنسان حقائق عن العالم، فتتشكل عاداتٌ جديدةٌ تتناسب مع المعرفة التي توصل إليها الإنسان، ويحدث ذلك في المجتمعات الدِّينامكية، أما المجتمعات المغلقة؛ فتتمسك بعاداتها، فتصبح مسألة التَّغيير مسألة عسيرة، وهذا بدوره يؤدي إلى تخلفها عما توصل إليه العقل البشري من معرفة.

التَّقاليد لا تتناقض مع العقلانية، والتَّقليد لا يعني في كل الأحوال حالة تخلف. أما التَّخلف؛ فهو الحالة التي تشير إلى اتساع المسافة الفاصلة بين العقلانية وأنماط الوجود، أو هي الحالة التي يعتمد فيها المجتمع أنماط إنتاج قديمة مع إمكانية توظيف إمكانيات حديثة. ويتأسس على هذا أنَّ درجة العقلانية هي المؤشر الأساسي لحالة التَّخلف والتَّحضر. إنَّ التَّخلف حالة من الوجود التي تتناقض مع درجة العقلانية التي حققها المجتمع الإنساني في مرحلة من مراحل تطوره. وبالضَّرورة فإنَّ المجتمع العربي المعاصر يعيش حالة تخلف عصري شامل؛ لأنَه لم يستطع أن يواكب مستوى تطور العصر الحالي بمستوياته العلمية والمعرفية. (وطفة، ٢٠٠٢، ١٠٠).A

– عادات اجتماعية Customs: الطُّرق المستقرة للتَّفكير والسُّلوك في المجتمعات، وتتم دراسة العادات على مستويات مختلفة. فالدِّراسات الإثنوجرافية تهتمُّ بالوصف الدَّقيق لتفاصيل الحياة اليومية الرُّوتينية. وفي مستوى أعلى من التَّعقيد ينصب الاهتمام على تحليل القواعد المتضمنة في هذه التفاصيل وصولاً إلى استخلاص الأنماط الثقافية لتلك الأفعال المتكررة. وأخيراً يمكن النَّظر إلى العادة باعتبارها تعكس الطَّبيعة المميزة للثَّقافة بأكملها، أو لمنطقةٍ ثقافيَّةٍ قد تكون منطقةً جغرافيَّةً يشترك سكانها في ثقافةٍ مشتركةٍ، أو تضمُّ عدداً من الثَّقافات الفرعية. (مارشال، ٢٠٠٠، ٩٢١)

– مفهوم التَّقاليد: التَّقليد في رأي بعض المؤلفين سلوكٌ أو نمطٌ سلوكي يتميز عن العادة custom بأنَّ المجتمع يقبله عموماً دون دوافع أخرى عدا التَّمسك بسنن الخلاف.

ويفتقر التَّقليد إلى قوة الجزاء التي نجدها في العادات الشَّعبية folkways . يرى فيكمان أنَّ التَّقليد أقل معيارية من العادة الاجتماعية، على حين يرى شبايزر من ناحية أخرى أنَّ الفرق الأساسي بين الاثنين يكمن في قوة التَّكامل، إذ بينما تستند العادات الاجتماعية إلى تأييد القيم الحية عند شعب، نجد أنَّ التَّقليد يستند إلى معايير إيديولوجية سالفة، فيقول ينبغي أن يطلق اسم تقليدBrauch (بالألمانية) على العادات الميتة التي تحولت إلى عادات شكلية بحتة لم تعد تجد لها مكاناً إطلاقاً في تفكير الرَّجل الشَّعبي.

أريد أن أعرِّف التَّقليد Brauch بأنَّه تلك العادة sitte بالألمانية التي فقدت مضمونها؛ أي: تلك العادة التي لم يعد من الممكن التَّعرف على معناها الأصلي الحقيقي وإنما يمارسها الإنسان لمجرد المحافظة. معنى هذا أنَّ التَّقليد هو عادة اجتماعية ميتة تحولت إلى شكلٍ بحتٍ، ومن الواضح أنَّ التَّقليد يستخدم هنا بمعنى راسب ثقافي. (أيكه، ١٩٧٢، ١٢٥).

٢– العادات والتَّقاليد كعقبة أمام العقلانية العلمية :

تساهم مؤسسات التَّنشئة الاجتماعية في تمسك الفرد بعادات وتقاليد مجتمعه، وتشكيل عقليته، وتطبعه بشخصيةٍ معينةٍ تشترك مع باقي أفراد المجتمع في طريقة التَّفكير وكيفية النَّظر للإنسان والعالم ومجمل جوانب الحياة الاجتماعية، وهذه المؤسسات تبدأ بالأسرة التي هي نواة المجتمع مروراً بمؤسسة المدرسة وما تمثله بالجانب التَّعليمي كدور المعلم والمناهج التَّعليمية واللُّغة .. إلخ، وصولاً إلى المجتمع الوعاء الأكبر الذي يحتوي كل المؤسسات الاجتماعية التي تتفاعل مع بعضها البعض، فتنتج العائلة العربية التَّقليدية بنظامها الأبوي قيم الطاعة والولاء للأكبر سناً، وخضوع المرأة للرَّجل الذي تكرسه في شخصية الفرد منذ طفولته، وتجعله يدخل ضمن منظومة اجتماعية يشعر من خلالها بأنَّه في وضعٍ طبيعي، في حين يغيب في مثل هذا الوضع النَّقد والتَّحليل والقدرة على التَّعبير؛ ممَّا يؤدي إلى تكرار الأفكار نفسها التي كان يرددها الآباء؛ مما يساهم في استمرار التَّفكير اللاعقلاني.

وبشكلٍ عام ما زالت العائلة العربية، عائلة هرمية أبوية يقوم فيها التَّمايز على أساس الجنس والعمر، خضوع النِّساء للرِّجال وخضوع الصِّغار للكبار. ومطلوب دائماً بقانون الخضوع

ممارسة الطَّاعة التي تنمّي لدى الأفراد الكذب، والالتواء، والإحساس بالدُّونية، والخوف، والازدواجية، والاعتماد على الكبير، ويقبل الأفراد نتيجة تلك الأوامر والتَّهديد والتَّوبيخ والتَّحذير والتَّلقين، ويردّون عليه بالكبت والتَّرجّي والاسترحام، وتقود هذه الشَّبكة التَّسلطية من العلاقات إلى شيوع التَّفكير اللاعقلاني، وتعطيل التَّغيير والتَّقدم الاجتماعي. (الشوملي، ٢٠٠٨،٥٥ – ٥٦)

كما يصف حليم بركات العائلة العربية بقوله: إنَّ العائلة العربية هي عائلة أبوية هرمية، يقوم التَّمايز وتوزيع العمل فيها على أساس الجنس والعمر، وخضوع النِّساء للرِّجال وخضوع الصِّغار للكبار، ويتوجب عليهم الطَّاعة شبه المطلقة في شبكة من علاقات القوة السُّلطوية والعمودية بين أفرادٍ غير متساوين على عكس العلاقات الأفقية التي يكون التَّعامل فيها من موقع المساواة، وفي حالة العلاقات العمودية يكون التَّواصل من فوق إلى أسفل، ويتَّخذ طابع توجيه الأوامر، والتَّبليغ، والتَّحذير، والتَّهديد، والتَّوبيخ، والتَّخجيل، وإملاء التَّعليمات. (بركات، ٢٠٠٠، ٣٨١)

فهذه الأسرة الأبوية تشكِّل اللَّبنات الأولى لعقلية الطفل، وطريقة تفكيره، ونظرته للأمور مستقبلاً، وبحكم الواقع العربي المتردي فإنَّ معظم النساء ربات منزل لم يكملوا تعليمهم نتيجة العادات المحكوم بها المجتمع، ففترة وجودها في المنزل أطول من فترة وجود الرَّجل، فهي التي تشرف على تربية وإطعام الطِّفل، كما أنَّها تنقل إلى الطِّفل عادات وتقاليد المجتمع.

إنَّ تعرض الطِّفل منذ الصِّغر لتأثير الأم الجاهلة معظم الأحيان، والتي نظراً لوضعيتها المقهورة تتأثر إلى درجةٍ خطيرةٍ بالتَّفكير الخرافي والغيبي، تجعل نظرته إلى العالم منذ البداية خرافية ولا علمية. ليست الأم فقط هي التي تغرس هذه الذِّهنية المتخلفة في أعماق الطفل، بل الإطار الحياتي العام، ومن النَّادر أن يجيب هذا المحيط على تساؤلات الطِّفل حول أسرار الوجود وقوانين ظواهره المختلفة إجابةً علميةً رصينةً، هناك ما يشبه المؤامرة المستمرة عليه من خلال الكذب والتَّخويف؛ لذلك تظل التَّجربة الخرافية للوجود متأصلة في الأعماق،

بالطَّبع لا يساعد ذلك مطلقاً على اكتساب العقلية العلمية المنهجية. (حجازي، ٢٠٠٥، B (٧٩ - ٧٨

بيد أنَّ استمرارية النِّظام الأبوي السَّائد تعززه الحالة الدِّينية المسيطرة في المجتمع العربي فتنتج كلاً اجتماعياً متماسكاً متمثلاً بالعادات والتَّقاليد من جهة والدِّين من جهة أخرى، والتي تؤدي إلى وجود أناسٍ، غير قادرين على تغيير الواقع؛ لأنَّ الواقع يصبح مألوفاً لهم، ويشبع حاجاتهم النَّفسية والاجتماعية في الوقت نفسه.

ويردّ زيعور القمع في العائلة العربية إلى شيوع مواقف غير عقلانية وخرافية في صفوف غالبية النَّاس، الأمر الذي يؤدي إلى إحكام سيطرة الوضع القائم على النَّاس، ويجعلهم يرفضون أيَّ تغييرٍ اجتماعي، كما يردُّ ذلك إلى عدم تجذُّر العقلية العلمية في تفسير الظَّواهر بأسبابٍ موضوعيةٍ تخضع للدَّرس والتَّجربة، واستمرار سيطرة العقلية السِّحرية التي ما زالت فعّالة على نطاقٍ شعبي واسع، وهو ما يجعل نظام التَّبعية والخضوع والقمع سلطة عامة في المجتمع العربي تتفرع عنه أشكال مختلفة من السُّلطات. (شرابي، ١٩٩٢، ٦٠-٦١)؛ لذلك فأي محاولة للتَّغيير داخل المجتمع التَّقليدي يُعتَبر انتهاكاً صارخاً ضد عادات المجتمع، وفي بعض الأحيان يُعتَبر انتهاكاً بحق المقدس الذي لا يجوز خرقه؛ لأنَّ عقلية المجتمع العربي هي مزيج من عادات وتقاليد من جهة، والدِّين من جهة أخرى، وهذا بدوره يقتل كل محاولةٍ مبدعةٍ خلاقةٍ لعملية التَّغيير.

ويصف ابن عاشور الأسرة العربية فيقول: " الأسرة عندنا أسرة عرشيّة، صورة الأب فيها صورة الرَّئيس التَّقليدي، الغيور، القمعي، والأم هي الملاذ. ومجتمعنا في المقام الأول مجتمع إيماني إخواني يتحدد برابطة النَّسب والدِّين، فالإنسان الفرد الحر في مجتمعنا مثار للرِّيبة، وإن أفرط في استقلاله أو أبدى شكاً أو خروجاً؛ فإنَّ إخوانه ينبذونه، فيصبح شاذاً أو خائناً، مرتداً أو كافراً، ملحداً أو زنديقاً، رجعياً أو عميلاً، محكوماً عليه بالجحيم الأبدي، ومن واجب السلطة المقدس أن تقضي عليه؛ لأنَّه خرق المحتوم والمكتوب. (ابن عاشور، ١٩٩٨، ١٧ – ١٨)

في المجتمع العربي التَّقليدي تتفاعل المؤسسات الاجتماعية التَّقليدية مع بعضها البعض كدور العبادة، والمرجعيات الدِّينية، والأسرة، والسلطة حيث تتكامل مهامها ووظائفها، وذلك من خلال وسائل الضَّبط الاجتماعي لديها بمنع أي محاولةٍ فرديةٍ من كسر عادات وتقاليد المجتمع، وهذا بدوره يعيد تأهيل هذه المؤسسات التَّقليدية في القدرة على توزيع السُّلطة والمكانة الاجتماعية لدى أفراد المجتمع؛ للحفاظ على الوضع السَّائد في المجتمع.

وممَّا يسهل مهمة العائلة هذه أنَّ المجتمع في تركيبه القائم يضطهد الفرد ويلفظه إذا ما استقل عن العائلة أو العشيرة أو الطائفة؛ لذلك فالتَّحالف بين المجتمع والعائلة يبدو كوسيلةٍ أساسيةٍ تلجأ إليها الثَّقافة الاجتماعية المسيطرة لضبط التَّغيير، والمحافظة على استقرار النِّظام الاجتماعي الذي هو بدوره مبني على النَّمط السَّائد في تركيب العائلة، وفي توزيع الثَّروة والسُّلطة والمكانة الاجتماعية في المجتمع العربي.(شرابي، ١٩٨٤، ٥٧)

كما تستند أخلاق الطَّاعة في العلاقة البطركية إلى الأصولية، فالمرجعية لا تكمن في الفاعلية، أو في التَّطلعات المستقبلية، بل هي تنبع من رسوخ العادات والتَّقاليد (هذا ما وجدنا عليه آباءنا) . الحالة المثالية في الخطاب وفي الفكر تتمثل في الرُّجوع إلى الأصول؛ أي: أنَّها تتمثل في الجمود والثَّبات، وبذلك تسد السُّبل أمام الفكر والإبداع (الذي يعتبر بدعة)، كما تسد أمام انطلاق التَّطلعات نحو المستقبل باعتبارها ضلالةً ونشازاً وخروجاً عن الأصول. (الحجازي، ٢٠٠٥، ٥٧ – ٥٨)A

وتكون آلية الحفاظ على الوضع السَّائد في المجتمع من خلال جيل يحمل كلَّ سمات الجيل السَّابق دون إعطاء الأبناء المجال للنَّقد وحرية التَّعبير عن آرائهم، وهذا بدوره يكبل العقل ضمن دوامة العادات والتَّقاليد السَّائدة في المجتمع.

فالسَّيطرة الاجتماعية التي يمارسها الجيل القديم هي سيطرة تامة، كما أنَّه ليس للشُّبان دورٌ مستقلٌ يمثلونه فهم يخضعون باستمرار لكبتٍ شديدٍ من النَّاحيتين العقلية والجنسية، ويبقون

مربوطين بسلطة أبوية الشَّكل، بحيث إنَّهم يبقون في ظل الكبار على الصَّعيد السِّياسي كما على الصَّعيد العاطفي والعقلي. (شرابي، ١٩٨٤، ٦٤)

وبذلك نجد أنَّ الأسرة العربية الأبوية تسيطر على أبنائها من النَّاحية العقلية والجسدية والسِّياسية، وتجعل من طريقة تفكيره صورةً عن تفكير الآباء والأجداد.

أمَّا المعرفة اليقينيَّة التي تقوم على الجواب الواحد الصَّحيح، والتي تستمد قوتها من إسباغ اليقين الدِّيني عليها وبدون وجه حق من خلال التَّمسك بالأصول، وبأصالتها الماضوية، وبالثَّوابت؛ فإنَّها تؤدي حتماً إلى خصاء الفكر، ومعه يوصد باب العلم والمعرفة المتجددة الحية، ويمنع التَّجاوز، ويدفع الأبناء إلى البقاء في حالة تبعية معرفية ورمزية للآباء؛ إذ بالآباء يقتلون الأبناء من خلال الحجر على عقولهم وانطلاقاتهم؛ أي: قتل التَّجاوز الفكري والمعرفي والوجودي ليدخل المجتمع في التَّاريخ الآسن. وهو ما يعتبر فضيلة الفضائل في العصبيات ذات السَّند الماضوي الأصولي، من خلال تمجيد العادات والتَّقاليد والثَّوابت. (حجازي، الإنسان، ٢٠٠٥، ٥٨) A، فتأثير الأسرة على الفرد يستمر إلى مرحلة الشَّيخوخة حتى لو تعرض الشَّخص لمعلومات متناقضة مع ما تعلمه في كنف أسرته؛ يبقى التَّأثير الأسري واضحاً عليه.

يقول شرابي: إنَّ التَّعليم الأولي في مرحلة الطُّفولة الأولى والاندراج في المجتمع يؤثر أكثر من التَّعلم الثَّانوي (المراحل اللاحقة) في تحديد السُّلوك. ومهما كان مستوى ثقافة الفرد؛ فهو يبقى تحت تأثير بنية التَّعلم الأولى، بحيث يكون ميل العالم وحامل الدُّكتوراه إلى العقلانية السِّحرية مساوياً لميل أيِّ فردٍ آخر في المجتمع. (شرابي، ١٩٨٤، ٧٣- ٧٤)

ويرى إليس أنَّ الأفراد يتعلمون الأفكار اللاعقلانية من الأسرة والمحيط الذي يعيشون فيه، وذلك من خلال التَّعلُّم المبكر غير المنطقي، حيث يكون الفرد مستعداً نفسياً لاكتساب الأفكار اللاعقلانية من الأسرة والثَّقافة التي يعيش فيها.(Ellis, A; 1973, p. 171)

وعلى الرُّغم من سيادة العائلة الأبوية في المجتمع العربي هناك عوامل ساعدت في تغيير الأسرة العربية من حالتها التَّقليدية إلى الأسرة المدنية الحديثة، لكنَّ انتشارها كان على نطاقٍ ضيقٍ، وهذا التَّغيير شمل شريحة النُّخبة في العالم العربي.

فلم تظهر الأسرة الحديثة المبنية على نوعٍ من المشاركة والمساواة بين أعضائها إلاَّ في بيئات مجتمع المدينة نتيجة التَّغيرات الهيكلية التي طرأت على التَّعليم والعمل، وتغيّر شؤون المعيشة التي أصبحت مرتبطة بالوظيفة العامة والعمل الحر أكثر من ارتباطها باقتصاد العائلة، كما هو حال القرى والأرياف، فضلاً عن نمط الحياة الاجتماعية والثَّقافية في المدينة؛ حيث تضعف صلة القربى والتَّجاذب الدِّيني، كما تختفي اختفاءً ملحوظاً ظواهر تعدد الزَّوجات، والزَّواج الإجباري، ويتمُّ استبدالها على نطاق واسع بالزَّواج الأحادي، وحرية اختيار الزَّوج أو الزَّوجة، وهي من أهم وأعمق التَّحوّلات الاجتماعية– الثَّقافية. (الشوملي، ٢٠٠٨، ٢٨٩).

تلعب المدرسة كمؤسسة اجتماعية دوراً مهماً في صقل وبلورة عقل الإنسان، ولأنَّ هذه المدرسة تحمل بقايا الرَّواسب من الحلقات التَّعليمية الدِّينية التي كانت سائدة سابقاً في الوطن العربي ساهمت في نقل الكثير من العادات والتَّقاليد إلى الأجيال الحالية، فنتجت عنها شخصية ازدواجية، فتراه يفكر تارةً بطريقةٍ علميةٍ، وتارةً بطريقةٍ غيبيةٍ، وقد يمزج بين الاثنين في حديثه دون إدراك.

يقول الوردي: فالوالد يأتي بطفله إلى أحد الكتاتيب، ويقول لشيخه: (هذا ولدي، خذه إليك فأدبه ... اللَّحم لك والعظم لي). ويبدأ الشيخ يفرض على الطِّفل فروضه المتعددة. فالطِّفل يجب أن ينكبَّ على قراءته وكتابته، منكساً رأسه، قاطعاً أنفاسه، لا يلتفت يمنة ويسرة؛ ومن نجح في هذا فهو طفلٌ عاقلٌ أديبٌ، أمَّا من أخفق؛ فالويل له. وعلى هذا المنوال ينشأ الطِّفل وقد نمت فيه شخصيتان: شخصية مؤدبة خاضعة، وشخصية ثائرة معتدية، والملاحظ أنَّ مدارسنا الحديثة لا تزال تحتوي على بقايا من تلك الرُّوح القديمة؛ روح التَّزمت والكبت والإشارة بوقار العلم وأدب الدِّراسة. (الوردي، ٢٠٠١، ٦٤ – ٦٥)

إنَّ مصدر تسلط المعلم مردّه الموروث الاجتماعي، والنَّزعة الوثوقية للمعلم في معارفه وخبراته التي تعتبر عائقاً أمام تقدم المعرفة العلمية، فكثير من المعلمين في المدارس العربية يحملون معهم القيم والمورثات الاجتماعية إلى داخل قاعات وصفوف المدارس، فتجد أنَّ الشَّخص الوحيد في الصَّف الذي يعرف الحقيقة هو المعلم، ونادراً ما يعطي مجالاً للطُّلاب لإعطاء آرائهم حول الدَّرس، أو نقد واقعهم، عدا عن الأسلوب التَّلقيني التَّكراري المنتشر في المدارس العربية، والذي يقتل الإبداع ويقيد العقل عند الطَّلبة.

كذلك تلعب اللُّغة دوراً هاماً في صياغة ملامح تفكير الإنسان ونظرته للوجود، فالعقبة التي واجهت المدارس العربية وجود اللَّهجات المحلية التي يتعلم منها الطِّفل الكثير من عادات وتقاليد المجتمع التي تتعارض مع المفاهيم العلمية التي يتلقاها في المدرسة، فهذه الفجوة الكبيرة بين اللَّهجة المحلية التي يتعلمها من أسرته واللُّغة الفصحى لها دورٌ كبيرٌ في تقليص تأثُّر الطَّالب بالتَّفكير العلمي.

ومن مشكلات التعليم الشائعة في البلدان النامية، الانفصام بين لغة العلم ولغة الحياة اليومية. ونعني بذلك دراسة العلوم المضبوطة بلغة أجنبية، يظل غالبية الطلاب، ماعدا أبناء القلة ذات الحظوة، عاجزين عن التعامل بها، ولا يمتلكونها إلاّ بشكل ناقص جداً. العلم كاللغة الأجنبية التي ندرسهم بها، يظل غريباً عن عالمهم وواقعهم، يشكل في أحسن الحالات قشرة خارجية لا تتجاوز السطح. بينما عالمهم المعاش تحكمه اللغة الأم المشحونة بالانفعالات والغيبيات والخرافة، والبعيدة كل البعد عن العلمية، إنّ مسألة تعريب العلوم المضبوطة وتدريسها باللُّغة الأم من مسائل الساعة؛ كي نسهم بذلك في إدخال القوالب العلمية على هذه اللُّغة، وبالتَّالي على الذِّهنية نفسها.(حجازي، ٢٠٠٥، ٨٠) B

كما نجد في اللُّغة العربية الفصحى بروز الهيمنة الذُّكورية الطَّاغية في المجتمع العربي، خاصة في كتب التُّراث والدِّين، وقد تسربت هذه الألفاظ إلى مناهج المدارس العربية؛ مثال على ذلك: (رباب تلعب بالحبل، باسم يلعب الكرة، ماما تغسل الثِّياب، بابا يعمل في المصنع، إلخ)، وهذا لا يقتصر على المناهج التَّربوية فقط بل يشمل مجال الأدب والفن والإعلام، والتي بالمجمل تضع الشَّخص ضمن ثقافة مكبلة للعقل البشري.

فالقراءة النَّاعسة (اللَّاواعية) هي القراءة العادية التي نتقنها في مدارسنا ومعاهدنا الثَّقافية وفي ممارستنا اليومية، وهي ليست مجرد أسلوب في القراءة بل تعبير عن عقليةٍ ثقافيةٍ معينةٍ منبثقةٍ من أرضيةٍ اجتماعيةٍ محدَّدةٍ. فلغة هذه القراءة لغة اجتماعية يتكلم بها ويقرؤها أصحابها حسب أنماط ومدلولات تتحجر مع الزَّمن، فتشكل شبكة من المعاني والتَّعابير والرُّموز والكليشهات يتمُّ من خلالها التَّواصل الاجتماعي العام. وهذه اللُّغة بتمسكها بأنماطها التَّقليدية تحمي نظاماً فكرياً يرفض التَّغيير ولا يقبل إلا ما ينسجم مع قيمه وأهدافه، ولا توجد بين لغات العالم الحديث لغة مثل اللُّغة الأبوية الفصحى في هيمنتها ومقدرتها على شلِّ التَّعبير الذَّاتي؛ إنَّها لغةٌ ترفض أن تكون أداة طيّعة للوعي الذَّاتي، فتصر على الكلام من خلال الفرد الناطق أو الكاتب لا بذاته؛ لهذا ليس أقدر على إخماد جذوة الفكر المبدع وتشويهه من إلباسه الفصحى التَّقليدية. (شرابي، د. ت. ن. ٢٠ – ٢٩)

وعلى الرَّغم من انتشار التَّعليم في المجتمعات العربية إلاّ أنَّها لم يكن لها دورٌ كبيرٌ في تغيير نظرة المتعلم للعالم، فالكثير من حاملي الشَّهادات الجامعية يتسمون بالتَّفكير اللاعقلاني المحكوم بالعادات والتَّقاليد، وهذا يظهر جلياً عند حدوث مشكلةٍ أو أزمةٍ تواجههم، فتراهم يجابهونها بتفكيرٍ غيبيٍّ، بالإضافة إلى ذلك نجد معظم النُّخب الفكرية منفصلة عن الواقع؛ لذلك يبقى تأثيرها محدوداً جداً.

إنَّ العلم لا يشكل بالنِّسبة للعقل المتخلف أكثر من قشرةٍ خارجيةٍ رقيقةٍ يمكن أن تتساقط إذا تعرض هذا العقل للاهتزاز، إنَّ العلم مازال في ممارسة الكثيرين لا يعدو أن يكون قميصاً أو معطفاً يلبسه حين يقرأ أو يدخل مختبراً أو يلقي محاضرة، ويخلعه في سائر الأوقات. هناك إذاً نوع من الازدواجية في شخصية الإنسان المتخلف، بين دور التَّعليم ودور الإنسان الممارس حياتياً. (حجازي، ٢٠٠٥، ٧٨)B

ويتصف معظم المثقفون في المجتمع العربي باطِّلاعهم على الكتب الدِّينية والتُّراثية بمعزل عن العلوم الأخرى، فتخلق هذه الحالة منظومة اجتماعية متخلفة متكاملة لا يشعر الشَّخص إلَّا بصحتها ويقينها المطلق خاصة أنَّ هذه المعرفة داعمة لآراء وأفكار المجتمع فتنعكس سلباً على الشَّخص،

وتبعده عن النَّقد والتَّحليل المنطقي، كما قد تؤدي إلى تعصبه اتِّجاه عادات وتقاليد مجتمعه، و يكمن تأثير هؤلاء في الحفاظ على الموروث التَّقليدي.

فالذي لا يفارق بيئته التي نشأ فيها ولا يقرأ غير الكتب التي تدعم معتقداته الموروثة لا ننتظر منه أن يكون محايداً في الحكم على الأمور، إنَّ معتقداته تلون تفكيره حتماً، وتبعده عن جادة البحث الصَّحيح. (الوردي، ١٩٩٤، ٤٧)

يغلب على المجتمع العربي الطَّابع الزِّراعي العشائري المحكوم بالعادات والتَّقاليد، فالكثير من التَّصرفات النَّاجمة عن الفرد يُحكَم عليها من منظار قيم المجتمع؛ لذلك أي محاولة للتَّغيير تُعد إثماً يحاسب عليه من قبل مؤسسات الضَّبط الاجتماعي، وهذه القوة الكامنة الموجودة لدى المجتمع وصفها دوركهايم بقوة الضَّمير الجمعي التي تتعالى على أفراده.

التَّقليد الذي يفرض جموده على المجتمع الزِّراعي العشائري، يقيد حرية الحركة السُّلوكية وحرية الموقف من الحياة، ويخلق بالتَّالي ذهنية متصلبة محدودة الأفق، يتحكم فيها القهر من الدَّاخل. كل حركة فكرية تصبح إثماً يستحق العقاب الشَّديد (النَّبذ، التَّصفية، السُّخرية، فقدان المكانة، الخ) كل موقف نقدي من نمط الحياة السَّائدة يصبُّ في مصلحة العناصر المتسلطة على العشيرة، يصبح اعتداء على المحرّمات والأقداس التي لا يجوز أن تُمَس. (حجازي، ٢٠٠٥، ٨٢) B

يقول الوردي: ومن معالم الظُّلم الاجتماعي التي كانت شائعةً في مجتمعنا:

١– الظُّلم النَّاشئ عن القيم العشائرية كعادة الثَّأر مثلاً حيث يُقتَل إنسان لا بسبب جريمة قام بها بنفسه بل بسبب جريمة قام بها أحد أفراد أسرته أو عشيرته.

٢– كان بعض النَّاس يحتقرون الدَّميم أو المصاب بعاهةٍ أو عوق في بدنه اعتقاداً منهم أنَّه مستحقٌّ لذلك لما لديه من طبعٍ لئيمٍ أو أخلاقٍ واطئةٍ؛ فهم يسيئون معاملته لا لذنب جناه بل بسبب ما جناه عليه القدر.

٣- إنَّ الاهتمام المفرط بالأنساب أدَّى إلى الكثير من الظُّلم الاجتماعي، فالنَّاس يحتقرون صاحب النَّسب الوضيع مع علمهم أنَّه غير مسؤولٍ عما فعله آباؤه أو أقرباؤه. وهم كذلك يحترمون صاحب النَّسب الرَّفيع مع علمهم أنَّه لم يقم بأي عملٍ يستحقُّ به الاحترام . (الوردي، ١٩٩٦، ٤٦)

وقد نجد في هذه المجتمعات الرَّاكدة تنازعاً عنيفاً، ولكنَّ تنازعها قائمٌ على أساسٍ شخصيٍّ لا يمسُّ التَّقاليد بشيءٍ، وكثيراً ما يكون تنازعهم ناشئاً عن تنافسهم في القيام بتلك التَّقاليد ومحاولة كل منهم أن يتفوق على أقرانه فيها. إنَّ التَّنازع الذي يؤدي إلى الحركة والتَّطور يجب أن يقوم على أساس مبدئي لا شخصي، فالمجتمع المتحرك هو الذي يحتوي في داخله على جبهتين متضادتين على الأقل، حيث تدعو كل جبهة إلى نوعٍ من المبادئ مخالف لما تدعو إليه الجبهة الأخرى. وبهذا تنكسر كعكة التَّقاليد على حد تعبير بيجهوت. ويأخذ المجتمع إذ ذاك بالتَّحرك إلى الأمام.(الوردي ، ١٩٩٤، ٢١)

وتأتي في مقدمة الأفكار اللاعقلانية النَّاتجة عن العادات والتَّقاليد في المجتمع العربي النَّظرة الدُّونية للمرأة، والتي تجعل من نصف سكان المجتمع في حالة الشَّلل التَّام، وهذا بدوره يعطل عملية التَّنمية والتَّقدم في المجتمع.

ترى خالدة سعيد أنَّه: ما لم يتحرر النَّاس (رجالاً ونساء) من الأفكار المسبقة للمرأة –وهي أفكار تكونت على مرِّ العصور، من خرافات وتصورات غير علمية، ومركبات نقص أو استعلاء– وما لم تصبح البنى الاجتماعية مهيأة لانطلاق شخصية المرأة، وتفتحها في مناخ من الحرية ومن احترام الشَّخص الإنساني، بعيداً عن كلِّ تمييزٍ واضطهادٍ، وبسبب الجنس أو العرق، كما جاء في بيان حقوق الإنسان، ما لم يتحقق هذا كله؛ ستبقى هذه القضية مفتوحة. (شرابي، د.ت. ن. ٧٥)

فهذا الواقع الاجتماعي المعاش جعل من المرأة العربية نفسها تمارس الاستلاب على المرأة فهي تعتقد بصحة هذا الواقع .

يذكر وولف ونيمارك بعضاً من رسائل التَّنشئة الاجتماعية السَّائدة عن الدَّور الجنسي، والتي تحولها النِّساء إلى أفكار لاعقلانية، وتمنعهن من تحقيق الذَّات؛ ومن هذه الرَّسائل ما يلي:

– الرِّسالة: إذا كان الزَّوج غير سعيد وتعيساً فإنَّ زوجته سيئة.

– الفكرة: يجب أن يكون زوجي سعيداً وإلَّا فأنا زوجة سيئة.

– النَّتيجة: لوم الذَّات والشُّعور بالذَّنب والشُّعور بالضِّيق.

– الرِّسالة: الفتاة الخجولة تتزوج بسرعة.

– الفكرة: يجب أن أتخلى عن رغباتي أمام الرِّجال وألَّا أتصرف بتوكيدية.

– النَّتيجة: الشُّعور بالسَّلبية والحذر المصطنع الذي يبقي على القلق.

– الرِّسالة: المرأة بدون رجل لا قيمة لها. " ضل رجل ولا ضل حيطة"

– الفكرة: يجب أن أتزوج أيَّ رجلٍ كان ليكون لي قيمة ومكانة.

– الشعور بالعجز والخوف من العنوسة. (Wolfe, J. L; &Naimark, H; 1991, pp. 270- 274)

فالموقف الجذري الصَّحيح في المشروع النَّقدي العلماني يتمثل في رفض التَّوقف عند ما يسمى حقوق المرأة، وكل الحدود النَّظرية التي تقلل من مقدار الإشكالية الأنثوية وأثرها بالنِّسبة إلى المجتمع والثَّقافة ككل. وفي الدعوة إلى إعادة النَّظر في معنى الفرد والإنسان لا كمفردات تعني رجلاً أو ذكراً بل كمفاهيم إنسانية تدل على طبيعة الرَّجل وعلى طبيعة المرأة، على عقل الرجل وعلى عقل المرأة، على مكانة الرجل وعلى مكانة المرأة، بحيث يتمُّ تجاوز الانفصام المعنوي والفكري والحياتي وما يلحق به من انفصاماتٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ وقانونيةٍ

في قلب المجتمع. تمكن المجتمع من الانتقال من مجتمعٍ أبويٍّ تابعٍ عاجزٍ إلى مجتمعٍ حرٍّ حديثٍ. (شرابي د.ت.ن. ٩٩)

أمَّا السِّحر؛ فصحيح أنَّه يتشارك مع العلم في أنَّ كليهما يصدر عن رغبةٍ في السَّيطرة على الطَّبيعة، إلَّا أنَّهما يختلفان جذرياً في أنَّ السِّحر إقصاءٌ تامٌّ للعقل، ولا يستند إلَّا على قوة التَّقاليد والاعتقادات المتوارثة. (الخولي، ٢٠٠٠ ، ٣٠)

والحقيقة أنَّ احترامنا للنَّار إنَّما جاءنا عن طريق التَّلقين، ولم يأتِ عن طريق الطَّبيعة. ولا يكاد يلعب الارتكاس (المنعكس)، الذي يجعلنا نسحب إصبعنا من لهيب الشَّمعة أيَّ دورٍ واعٍ في معرفتنا. والواقع أنَّ الوازع الاجتماعي هو الأول. أما الخبرة الطَّبيعية فلا تأتي إلَّا في المحلِّ الثَّاني ومعها برهانٌ ماديٌّ مرتجلٌ، هو من الغموض بحيث لا يسمح بتأسيس معرفة موضوعية عليه. والحرق؛ أي: الوازع الطَّبيعي، إذ يتولَّى تثبيت النَّواهي الاجتماعية، يأبى إلَّا أن يعطي أمام بصر الطِّفل قيمةً أكبر للذَّكاء الأبوي. هناك في أساس معرفة الطِّفل بالنَّار تلاقٍ بين الطَّبيعي والاجتماعي، حيث يكاد الاجتماعي أن يكون هو السَّائد دائماً. (باشلار، ١٩٨٤، ١٣- ١٤)B

يعتقد الناس ببعض الأشياء لمجرد شعور لديهم بأنها يجب أن تكون صحيحة. في هذه الحالات يتطلب الأمر تبيان قدرٍ كبيرٍ من الحقائق لتبديد هذه الاعتقادات. فهناك معتقدٌ أنَّ ظهور أيَّ انطباعٍ مهم أثناء فترة الحمل على الأم سيؤثر على الوليد، وإن سئلت أيّ امرأةٍ غير ذات صلة بالعلم فإنَّها ستفيض في ذكر حوادث تبرهن على صحة هذه الخرافة. (راسل، ٢٠٠٨، ٢٩)

فعدم قدرة الإنسان في المجتمعات المتخلفة على تحليل المشكلات الاجتماعية بطرقٍ علميَّةٍ، واتخاذ موقفٍ منها، تدفعه إلى الاستسلام للأمر الواقع المرهون بطرق التَّفكير الغيبي والسِّحري.

إنَّ العجز عن التَّصدي العقلاني الموضوعي للمشكلات والأزمات الحياتية يدفع المرء إلى النكوص إلى المستوى الخرافي، إلى الحلول السِّحرية والغيبية. وهذه بدورها تعمل حين تتأصَّل في النَّفسية على إضعاف التَّحليل العقلي والنَّظرة النَّقدية إلى الأمور من خلال مزج الواقع بالخيال، والتَّغاضي عن الحقائق المادية بإرجاعها إلى قوى غيبية (الجن ، الشَّيطان ، السِّحر ، إلخ) وكلَّما زاد القهر والعجز؛ تفشت الخرافة. (حجازي، ٢٠٠٥، ٧٤) B

إنَّ عجز الإنسان أمام ظواهر الطَّبيعة دفعته للتَّفكير بفكرة وجود الآلهة، ورُبِطَت حينها تلك الظَّواهر الطَّبيعية بمزاج الآلهة، فنتجت عن تلك المرحلة عاداتٌ وتقاليد وقناعات استمرَّت لفترةٍ من الزَّمن، وذلك على الرّغم من أنَّ الاكتشافات العلمية غيرت من قناعات غالبية البشر في العالم المتمدن لكنها لم تؤثر على عادات وتقاليد وعقائد النَّاس في المجتمعات العربية، وكلُّ مساسٍ بها يُعتَبر بوجهة نظر البعض تخلِّياً عن تراثهم وأصالتهم.

لقد تجلَّى في تفسير ابن خلدون : إنَّ عدم الاستقرار في الظَّواهر الاجتماعية يخضع بدوره لقوانين، وإنَّ الجهل بمعرفة هذه القوانين هو الذي يدفع إلى الخرافة التي تدفع هي الأخرى العقل البشري إلى الوراء.(الشوملي، ٢٠٠٨ ، ١١١)

يواجه صاحب التَّفكير اللاعقلاني مشاكله الاجتماعية بنظرةٍ ذاتيةٍ مستمدةٍ من قيم وعادات المجتمع دون أيِّ محاولة منه بمراجعة تلك العادات التي أصبحت جزءاً من كينونته النَّفسية.

فالوجود المتخلف معاش وجدانياً أكثر مما هو مصوّغ ومنظم عقلياً. فبينما نرى طغيان العقلانية والحياد الانفعالي على أسلوب مجابهة الواقع والتَّصدي لمشكلاته في البلد الصِّناعي، نلاحظ أنَّ إنسان العالم المتخلف يرزح تحت عبء انفعالاته التي تفيض على العالم، ملونة إياه بصبغةٍ ذاتيةٍ واضحةٍ. بينما تتطلب وضعيات الحياة الصَّعبة مزيداً من الموضوعية والعقلانية كي يمكن مجابهتها بدرجةٍ معقولةٍ من الفعالية. ويدفع به ذلك إلى الارتماء في التَّفكير الخرافي والسِّحري والغيبي كوسيلةٍ وحيدةٍ متبقيةٍ للخلاص من المأزق. .... فمن الوظائف الدِّفاعية للتَّمسك بالتَّقاليد أنَّها تؤمِّن نوعاً من الاستقرار

الحياتي، وباعتبارها كذلك، تعطي شيئاً من الطُّمأنينة للوضع الرَّاهن ذي الأبعاد المعروفة والتَّحديات المألوفة التي يمكن التَّكيف بحسبها، كما أنَّها تؤمِّن الحماية الذَّاتية. (حجازي، ٢٠٠٥، ٧٠ – ١٠٧)B

إنَّ العادات والتَّقاليد تعطي طابع الاستقرار للمجتمع، ويشعر أفراد المجتمع بشيءٍ من الألفة بحكم أنَّ هذه العادات أصبحت واقعاً معاشاً و جزءاً من ثقافة المجتمع، لكن هذا الاستقرار الزَّائف يساهم في ترسيخ بنيةٍ اجتماعيةٍ متخلفةٍ وعقليةٍ دوغمائيةٍ، فعند تعرض المجتمع لأيِّ أزمةٍ يسود منطق السِّلاح والقوة، وعدم قبول الآخر، وفقدان لغة الحوار بين الأطراف المتصارعة، وتبدأ الانفعالات والعاطفة تحكم على الأمور بدلاً من الموضوعية والعلمية.

كما تكمن مشكلة العقل العربي في البنية الاجتماعية المتمثلة بجملة العادات والتَّقاليد التي تقف على تضادٍّ مع التَّفكير العلمي، وبتلقيه معرفةً من ينابيع متناقضةٍ ومتخلفةٍ في الوقت نفسه .

على مستوى البنية الاجتماعية للتَّخلف، هناك من عدّد بعض المحكات انطلاقاً من الرَّبط بين التَّخلف والمجتمع التَّقليدي، (أ . هاجن) يعدِّد خمسة محكات لذلك المجتمع: انتقال العلوم من جيلٍ إلى آخر انتقالاً جامداً إجمالاً، تحكم العادة والتَّقليد بالسُّلوك لا القانون، نظام اجتماعي تحكمه مرتبية جامدة، تحديد المكانة الاجتماعية للفرد ولادياً أكثر ممَّا تتحدَّد من خلال الكفاءة، إنتاجية منخفضة جداً. وأهم من ذلك هناك مقاومة للتَّغير تنبع من تضافر نظرة رضوخية إلى العالم الطَّبيعي (بالرُّضوخ لسيطرة القوى الماورائية) مع بنى اجتماعية ذات نمطٍ تسلطي تنشأ شخصية ذات بنى تسلطية، مما يخلق ويعمم نظاماً من العلاقات يتصف بالسَّيطرة = الرُّضوخ، والامتثال يعرقل عملية التَّغيير من خلال سدِّ السَّبيل أمام ظهور قوى الرَّفض. (حجازي، ٢٠٠٥ ، ٣٠)B

تلعب هذه العوامل الدَّور الأكبر في تشكيل عقلية دوغمائية ترفض عملية التَّغيير، والانتقال إلى العقلية العلمية التي أصبحت المحك الرَّئيسي في العديد من المجتمعات الغربية لتقييم الإنسان والمجتمع والعالم، في حين يحكم التَّفكير الغيبي والأسطوري المجتمعات العربية .

من هنا تُعَدُّ أزمة الفكر العربي المعاصر، أزمة الإبداع فيه أزمةً بنيويةً، أزمة عقل قوامه مفاهيم ومقولات وآليات ذهنية تنتمي إلى ثلاثة نظم معرفية متنافرة تكلست وجمدت فيها الحياة باكتساح الطُّرق الصُّوفية، ورؤاها السِّحرية الخرافية للسَّاحة الاجتماعية والثَّقافية اكتساحاً شاملاً. وقبل ذلك وبعده، إنَّها أزمة ثقافة ارتبطت منذ بداية تشكلها بالسِّياسة، فكانت السِّياسة فيها، لا العلم، هي العنصر المحرك ممَّا جعلها تخضع باستمرارٍ لتقلبات السِّياسة، وتتأثر بنجاحها وإخفاقها، وتنحطُّ بانحطاطها. (الجابري، ١٩٩٠، ٦١)

فعندما تتحرر أعمالنا وأقوالنا من أثر العاطفة والانفعال والدَّوافع الذَّاتية؛ يضعف أثر التَّقاليد والأعراف السَّائدة والعقائد المسبقة، وبزوال أثر التَّعصب ليحلَّ محله الاحتكام إلى العقل، واعتماد الدَّليل والبرهان في الحكم على الأمور، تسود العقلانية ويحدث ما يمكن أن يدعى ترشيد الأمور وتصويبها، فتحلُّ الرُّوح العلمية محل التَّعصب، ويحلُّ العقل محل التَّقاليد. وعندها يستطيع المجتمع أن يخطو إلى الأمام في تصحيح أوضاعه وإرساء قواعد النُّهوض. (العلي، ١٩٩٨، ٣٧٩)

فلا يمكن الحديث عن مشروعٍ علمانيٍّ قابلٍ للحياة والتَّطور دون تعزيز وتعميم نموذج العائلة التي انطلقت في مجتمع المدينة، كما أنّ مفاتيح الإنجاز تكمن في مناهج مدرسية جديدة تقوم على التَّربية الدِّيمقراطية، والتَّفكير المنطقي، والخيال العلمي، والدَّور المكمّل الذي من المفترض أن تلعبه المؤسسات الأهلية والأحزاب السِّياسية في التَّعبئة والتَّثقيف المدني والاجتماعي. (الشوملي، ٢٠٠٨، ٥٦)

فالعديد من العادات والتَّقاليد الموروثة المتمثلة في النَّظرة القاصرة للمرأة، والقتل تحت مسمى الشَّرف والثَّأر، والسِّحر، والخرافة تكبل العقل العربي وتقيده عن أي محاولةٍ للتَّغيير؛ وذلك ما يجعل من العقلية ذات التَّفكير الغيبي والخرافي أوسع انتشاراً من التَّفكير العلمي.

فهناك مسألة طريقة النَّظر إلى الأمور؛ أي: الموقف، ويتعلق هذا الجانب من العقلانية بالطَّريقة العلمية كمنهج أكثر منه كمحتوى، والمنهج يعني: تحكيم العقل كأداة للتَّحليل

والدِّراسة وتكوين المواقف. يواجه الإنسان في حياته اليومية الكثير من الأمور الصَّغيرة والكبيرة، ومطلوب منه أن يتَّخذ موقفاً؛ أي: أن يكوِّن عنها آراء تُبنَى عليها المواقف. إنَّ أساس الحكم على الأمور، وتكوين الرَّأي قد يكون العقل، وقد يكون التَّقاليد، دينية أكانت أم اجتماعية. والتَّقاليد ليست إلاّ قوالب فكرية جاهزة تعطي أجوبة عن المواقف التي يتعرض لها الإنسان في الحياة اليومية. عندما يحصل كذا تقول التَّقاليد إنَّه يجب أن يُقال كذا أو أن يُعمل كذا، ولا يشترط في ذلك الرُّجوع إلى العقل، في حين أنَّ العقلانية كمنهج تقضي أن يرجع الإنسان إلى العقل كأداة للتَّحليل وتكوين المعرفة .

في مجال العقلانية كمنهج، هناك أمرٌ مهمٌّ محدَّدٌ، هو أن يكون منهج تحديد المواقف هو الطَّريقة العلمية. والطَّريقة العلمية تعتمد على البرهان والبديهيات. والبرهان يعني: توفر الدَّليل الذي يقبله العقل بحسب قواعده المعروفة في المقارنة والتَّحليل المنطقي. وبذلك نتوصل إلى منهج وطريقة تقوم على أساس ما تتوافر عليه الأدلة، وقبول ما يقوم عليه البرهان، بغضِّ النَّظر عن أيِّ شيءٍ آخر، بما في ذلك التَّقاليد أو العرف السَّائد والعقائد المسبقة. (العلي، ١٩٩٨، ٣٧٩)

كما يضع هوبز العقل فوق العرف، فالتَّشبث بالعرف كما يقول: ينبع من مجرد الجهل بطبيعة الصَّواب والخطأ، وبذلك يجب الحكم على الممارسات والمؤسَّسات الاجتماعية بواسطة معايير عقلانية بدلاً من معايير تاريخية. (قنصوه، ٢٠٠٨، ٨٠)

لذلك فإنَّ قصور التَّفكير الجدلي، واضطراب منهجية التَّفكير، ليس وليد خللٍ عضويٍّ أو انحطاطٍ تطوريٍّ، كما يحلو لبعض المتحيزين من علماء الغرب أن يدعوه، إنَّه نتاج البنية الاجتماعية المتخلفة، ووليد عوامل القهر والاعتباط التي يخضع لها الإنسان المتخلف. فقصور منهجية التَّفكير يتناسب مع درجة القهر المفروض، وجمود البنية الاجتماعية. (حجازي، ٢٠٠٥، ٧٠) B

ولا ينفي مؤلف الهزيمة والايدولوجيا المهزومة واقعة خصاء الفرد العربي، ولكنَّه يؤكِّد أنَّ من يخصي هذا الفرد – المخصي سلفاً – ليس الغرب كما يتصور العصابيون من المثقفين العرب المرضى بالغرب، بل هو المجتمع الشرقي نفسه: في الغرب كنت أذهل عندما أرى قوى الفرد وثقته بنفسه أو تحرره الكلي من مختلف أشكال الخوف، هناك في الغرب الشَّك والتَّساؤل والنَّقد، وهنا في الشَّرق اليقين والتَّلقين والامتثال؛ وذلك لأنَّ بلاده كفت عن أن تكون بلاد الخوف. في ديارنا العربية ومنذ سنواته الأولى، وربما منذ شهوره الأولى يتعلم الفرد أشكالاً لا تُحصى من الخوف: خوف من العائلة، من المعتقد الإيماني، من التَّقليد، من المجتمع، من المدرسة، من الغد، وأخيراً من السُّلطة الاستبدادية الشَّرقية. (طرابيشي، ١٩٩١، ٤١)

تتكون العادات والتَّقاليد في المجتمع بصورةٍ غير مقصودةٍ لتلبية الحاجات الطَّبيعية عند الإنسان، وعند ممارسة العادة لفترةٍ من الزَّمن يصبح مألوفاً ممارستها في المجتمع، فتقوم العادات والتَّقاليد في المجتمع بتنظيم العلاقات الاجتماعية، وتعبِّر عن مظاهر السُّلوك الجماعي، وأساليب النَّاس الجماعية في العمل والتَّفكير، وتحافظ على المدِّ الثَّقافي بين الأجيال الذي ينحدر من جيلٍ إلى آخر كما هو نتاج التَّجربة البشرية عبر التَّاريخ، لكن من الممكن أن تكون هذه التَّجربة التي أنتجت هذه العادات ضيقةً ضمن زمانٍ ومكانٍ معيَّنٍ، فالعادات خلقت لظروفٍ معتادةٍ، ولأناسٍ أصبحت هذه العادات مألوفةً بالنِّسبة لهم، وقد تتغيَّر ظروف الإنسان وتصبح العادات بالتالي غير صحية خاصة إذا كان هناك فجوةٌ كبيرةٌ بين عادات مجتمع ما، وما توصَّل إليه العقل البشري يتنافى مع هذا العادات والتَّقاليد، كما هو موجود في العالم العربي، فالكثير من العادات والتَّقاليد عفى عليه الزَّمن، وأصبح جزءاً من الماضي، وممارسته أعاقت عملية التَّقدم والتَّنمية، ووقفت أمام عملية تحرُّر العقل العربي من الجهل والتَّخلف.

فهناك العديدة من العادات والتَّقاليد المنتشرة في المجتمع العربي؛ كعادة الثَّأر التي تُعتَبر انتهاكاً للمؤسَّسة القانونية، وتعيد الإنسان إلى شكله البدائي، وكعادة القتل تحت مسمَّى (الشَّرف)، فهو ينتهك حقوق المرأة، ويضعها في خانة العبودية، بالإضافة إلى شيوع ظاهرة الاهتمام بالنَّسب التي

هي دليلٌ واضحٌ على تخلُّف المجتمع؛ وذلك من خلال نظرته غير الموضوعية للبشر البعيدة عن ما توصل إليه العقل الإنساني، بالإضافة إلى ذلك إنَّ انتشار هذه العادات والتَّقاليد في المجتمع يجرُّ الأشخاص غير المقتنعين بها إلى ممارسة هذه السُّلوكيات نتيجة وجودها كواقعٍ قائمٍ في المجتمع، فتصبح إزالة هذه العادات مسألةً صعبةً. كما نجد حالة تنافسٍ على التَّمسك بالعادات والتَّقاليد خاصَّة في المناسبات؛ كالعزاء، والأفراح، والأعياد الدِّينية على عكس المجتمعات الغربية التي يتصارع فيها تياراتٌ فكريةٌ مختلفةٌ حول جوانب الحياة الاجتماعية؛ كالاقتصاد، والتَّنمية، والتَّعليم، والتَّربية وغيرها التي تؤدِّي إلى تطوُّر المجتمع.

٣-اتِّجاهات التُّراث والحداثة في عقلية الشَّباب:

أ- مفهوم الشَّباب :

يمثِّل الشَّباب رأس مال المجتمع ومصدر قوته بحكم ما يمتلكونه من طاقات وقدرات على التَّفاعل والاندماج والمشاركة في قضايا المجتمع، وبما لهم من دور في عملية البناء والتَّغيير والتَّجديد، فهم الشَّريحة الاجتماعية التي ترفع لواء التَّحديث والتَّطوير.

يعرف موسوعة علم الاجتماع : ينظر علم الاجتماع عادة إلى الشَّباب بوصفه مكانة مكتسبة على نحو لا دخل للفرد فيه، أو كصفة يحددها المجتمع، وليس مجرد الظَّرف البيولوجي المرتبط بصغر السِّن. ويُستخدَم المصطلح بطرق ثلاث: طريقة عامة كلَّ العمومية؛ تغطي مجموعة من مراحل دورة الحياة التي تمتد من الطُّفولة المبكرة إلى أوائل البلوغ، كما تُستخدَم كبديلٍ مفضلٍ لمصطلح المراهقة غير المرضي؛ للدَّلالة على النَّظرية والبحوث التي تجري على المراهقين وعلى فترة الانتقال إلى البلوغ. وهناك أخيراً استخدام أقل شيوعاً اليوم للدَّلالة على مجموعة من المشكلات العاطفية والاجتماعية التي يعتقد أنَّها ترتبط بعملية التَّنشئة في المجتمع الحضري الصِّناعي. (مارشال، ٢٠٠٠ ، ٨٤١).

ب- خصائص الشَّباب العقلية:

تختلف شريحة الشَّباب عن باقي الشَّرائح في المجتمع من حيث القدرات الجسمية والعقلية، ومن حيث العطاء والرَّغبة بالتَّجديد والتَّغيير .

حيث تبدأ القدرات العقلية في النُّمو السَّريع في بداية المرحلة، ويستمر نمو الذَّكاء حتى سن ١٨-٢٠ (جلاب، **١٩٨٥**، **٦٤**)، **ويصبح الشَّباب قادراً على إدراك الأمور المعنوية المجردة؛ وذلك نتيجة النُّمو العقلي الذي بلغه، وخبراته الجديدة التي اكتسبها، وبما يميزه عن الطِّفل الذي يدور إدراكه حول الأمور الحسية.** (زهران، ١٩٧٧، ٣١٥).

يميل الشَّباب في هذه المرحلة نحو النُّمو الفكري والعقلي مع تميزه بطابع الخيال والجرأة والمغامرة، ويعتز الشَّباب بالتَّفكير مع القابلية للإيحاء في بعض الأحيان(توفيق، ١٩٨٧، ٢٧٤).
ويمتاز النُّمو العقلي الانفعالي في هذه المرحلة بأنَّه نتاج التَّجارب والتَّفاعل والنُّمو السَّابق في المراحل الأولى من هذه المرحلة مع المؤثرات المختلفة المحيطة بالأفراد، ولهذا تتميز هذه المرحلة بالاختلاف الكبير بين الأفراد، وفي درجات نموهم النَّفسي والعقلي والبدني.(فهمي، ١٩٩٩، ٢٤٩، ٢٥٠).
وبالقدرة على الاستنتاج، والحكم على الأشياء، وحل المشكلات، ونمو القدرة على التَّحليل والتَّركيب وفهم الأفكار دون أن تكون مرتبطة مباشرة بالشَّباب. (رضوان، ١٩٦٠، ٥٨)
ويميل الشَّباب إلى التَّحرر الفكري، إذ يعالج بتفكيره كثيراً من الموضوعات النَّظرية العقلية المجردة، ويميل إلى الجدل، وتمحيص المعتقدات والتقاليد الأخلاقية في المجتمعات والمبادئ والعلاقات الإنسانية التي تربط بين أفراد المجتمع. (الهاشمي، ١٩٧٦، ٢٢٤).

ج- اتِّجاهات الشَّباب نحو التُّراث و الحداثة :

يعيش الشَّباب في العالم العربي صراعاً مع القيم التَّقليدية الموروثة من جهة، وقيم الحداثة النَّاتجة عن ثورة الاتصالات و المعلومات والتَّطورات الحاصلة في مجال الفكر البشري التي انعكست على مختلف الشَّرائح الاجتماعية من جهة أخرى، إلاّ أنّ الشَّباب كانوا أكثر تأثراً بهذه التَّحولات بحكم خصائصهم، وتطلعاتهم، وتأهيلهم العلمي، والتي غيرت بدورها في طرق العيش، وأشكال التفكير،

وأنماط السُّلوك، فنتج عنها انقسام الشَّباب إلى شريحتين رئيستين: شريحة تتمسك بالتُّراث، وشريحة تطالب بالتَّجديد.

المجتمعات التُّراثية هي التي يكون فيها تراثها ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ويكون دينها وفنها وفلسفتها وأسلوب حياتها، ويكون بديلاً عن واقعها وفكرها ويقوم مقام عملها ومعرفتها. فالتُّراث قيمة في حد ذاته يحرص عليها، ولا يمكن تناولها بالنَّقد أو التَّغيير. التُّراث مصدر القيم، وهو في حد ذاته قيمة روحية. وهو مضمون الإيمان أو المطلق في التَّاريخ، هو المقدس الذي لا يمكن تدنيسه بالبحث الإنساني أو بإعمال العقل أو بتحويله إلى الدُّنيوي. وفي هذه الحالة يكون التُّراث والدِّين شيئاً واحداً، ويشمل الكتب المقدسة والمؤلفات الصُّوفية والفقهية والعقائدية، ويضم الضَّريح والولي وكل صاحب عمامة وبائع عطور!. (طرابيشي، ١٩٩١، ٢٤٤)

كما يتجسد معنى الحداثة في اتجاهين مترابطين: الاتجاه العقلاني، والاتجاه العلماني؛ وهو عقلنة الحضارة والمجتمع. والحديث هو الجديد والطَّلائعي، بمعنى المغامرة نحو المستقبل، والانفلات من قيود الحاضر وماضيه. غير أنَّ الحديث ليس هرباً من الحاضر بل تأكيد له. فالإبداع والخلق لا يحدثان إلَّا في اللَّحظة الحاضرة، في الآن التي تتحول إلى زمن جديد. (شرابي ،د.ت.ن. ٨٧).

ينقسم المثقفين العرب باتجاهاتهم نحو التُّراث والحداثة إلى عدة تيارات؛ فشريحة من المثقفين تطالب بالعودة إلى التُّراث، والالتزام الحرفي بالنَّص الدِّيني بما فيه دون الاستعانة بالعلوم المعاصرة، ويتغنون بأمجاد الماضي، كما يرى في الشَّريعة الإسلامية منهجاً يصلح لقيادة الدَّولة والمجتمع، وتمثل هذه الشَّريحة التَّيَّار السَّلفي، وهناك شريحة من المثقفين تأخذ بالحل الوسط بين التُّراث والحداثة، وهم يعانون من ازدواجية في مواقفهم وآرائهم وسلوكهم اتجاه الكون والإنسان والمجتمع، وهناك شريحة تنادي بالأخذ بالحداثة والعلم والتجديد، ويتسمون بنظرتهم العلمية للأمور والقضايا الاجتماعية.

يصل صادق جلال العظم إلى مجموعة من النَّتائج من خلال بحث أجراه على طلابه فيقول: لاحظت أنَّ الطُّلاب الذين عرفتهم من خلال مهنة التَّدريس كانوا يتحسسون هذه المشكلة بالذَّات، ويعانون من هذا القلق والاضطراب اللَّذين تنطوي عليهما الأسئلة التي طرحتها حول الاعتقاد بآدم وحواء، وبالجحيم والنعيم، وبأنَّ موسى شق البحر الأحمر، وحوّل عصاه حية تسعى. لكنهم لم يستطيعوا تحديد المشكلة التي كانت مصدر قلقهم واضطرابهم الفكري فبقيت بالنِّسبة لهم على مستوى المشاعر الغامضة والمكبوتة. فأقلية منهم كانوا ينشدون بصورة لاشعورية حلَّاً لهذه لمشكلة عن طريق اللُّجوء إلى موقف ديني متشدد، وكانت تعبر عن عدائها الشَّديد لأية أفكار تقدمية أو علمية، وتستنكر أي موقف نقدي من التُّراث. وأقلية أخرى كانوا منفتحين بصورة غير عادية على الأفكار العلمانية والتَّقدمية، وكانت الشُّكوك تساورهم نحو المعتقدات الدِّينية دون أن يجرؤوا على الإفصاح عن آرائهم. أما الأكثرية الباقية من الطُّلاب كانوا يتخبطون على غير هدى بين هاتين الفئتين، كانوا يشعرون بالمشكلة دون أن يعوها، وكانوا يتحسسونها بصورة مبهمة دون أن يدركوها. وحالة الانفصام تولد نوعاً من الشَّلل الفكري والعملي، وتؤدي إلى قتل نمو التَّفكير العلمي الموضوعي المنظم عند الطَّالب. (العظم، ٢٠٠٣، ٢١).

أدَّى ضياع المثقف العربي بين الرُّجوع للماضي واللَّحاق بركب العلم ليس فقط إلى تقسيم المجتمع بين اتجاهين؛ التَّقليدي والتَّجديدي، بل جعلت هذه الازدواجية تدخل صميم وعي الإنسان العربي في نظرته للمجتمع والمرأة والعمل والعلم والتّكنولوجيا، وكيفية تعاملنا مع المشكلات التي تعترضنا.

فالوجه الذي يعكس التَّوتر والقلق اللَّذين يولدهما ويغذيهما في الوعي العربي الرَّاهن الشُّعور بمأساوية وضعية انفصامية ينتمي فيه الأنا إلى الماضي، بينما ينتمي فيها الحاضر إلى الآخر، وضعية يجد الأنا العربي نفسه فيها يتحدد بماضٍ يريد تجاوزه و بحاضر لم يعد بعد له، الأمر الذي يجعله يشعر في فراغ على صعيد الهوية. (الجابري، ١٩٩٠، ٩)

يستمر النِّظام الاجتماعي في بث مفاهيم متناقضة للمتلقي العربي خاصة في المسائل المتعلقة بالتُّراث، والتي لم تتعرض لأي نقد عقلي منذ أكثر من ألف سنة، وذلك من منطلق إيديولوجي كان دائماً سببه الحفاظ على الوضع القائم والذي أدى في الآونة الأخيرة إلى تفشي الأصولية والتّفكير الدِّيني المتطرف.

فالقارئ العربي مؤطر بتراثه، بمعنى أنَّ التُّراث يحتويه احتواء يفقده استقلاله وحريته. لقد تلقى القارئ العربي، ويتلقى تراثه منذ ميلاده ككلمات ومفاهيم، كلغة وتفكير، كحكايات وخرافات وخيال، كطريقة في التَّعامل مع الأشياء، كأسلوب في التَّفكير، كمعارف وحقائق. كل ذلك دون نقد، وبعيداً عن الرُّوح النَّقدية.(الجابري، ١٩٩٣، ٢٢).

يشعر معظم المثقفون العرب بأنَّهم يمتلكون إرثاً عظيماً، وهذا الإرث يصلح لكل الأزمنة والأمكنة، وأنَّه لم يكن في فترة الحكم الإسلامي أيٌّ من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسِّياسية التي يواجهها الشَّخص، وكان الأجداد أصحاب عزَّةٍ وحضارةٍ لا مثيل لها، فيتحول فكره بذلك إلى فكرٍ ماضوي أصولي، يحلم بعودة تلك الفترة، ويكرس جميع طاقته في تكريس تلك الأفكار دون الأخذ بعين الاعتبار للحاضر أو المستقبل.

يرى علي أومليل بأنَّ هناك نهجاً يتناول التُّراث بعقل تراثي، وأصحاب هذا النهج لا يدركون أنَّ هناك مسافة بيننا وبين التراث؛ أي: المسافة اللَّازمة بحكم تغير الأزمان وتجدد القراءات، فالتُّراث عندهم باقٍ مستديم، لا تنال منه أعراض الزَّمان وتبدّل أحول المجتمعات. يعتقدون أنَّ الحقيقة كامنة فيه، ولكنها منذ أن حلت فيه تجردت عن الزَّمان. فالمقدس لا زماني، يخترق الزَّمان وأعراضه، فلا يمسّه بتغيير يذكر. (بعبدلاوي، ٢٠١١، ٥٣)

يطرح المثقفون العرب أصحاب الفكر السَّلفي العديد من الآراء النابعة من ضعف الشَّخصية أمام التَّطور العلمي الحاصل في العالم، فيبدأ حربه ضد الجميع من الغرب الأوربي إلى كل شخصية فكرية وطنية تعمل على إيقاظ المجتمع من سباته، فيصبح الناقد موضع التكفير والإلحاد و العمالة والارتباط بالغرب.

إذا كان المعتزلة وابن رشد وابن خلدون يمثلون لحظة ثمينة في تراثنا الفلسفي والفكري، تتمثل في الانتصار للعقل ضمن حدود الدِّين، فإنَّ المريض بعقدة الغرب الذي هو المثقف العربي المتسلفن لا يتردَّد في الدَّعوة إلى إعادة تثمين تلك اللَّحظة باتجاه تبخيسي سلبي لمجرد أنَّ أدوات الاستعمار الفكري الذين هم المستشرقون كانوا السَّباقين إلى إبراز أهمية أولئك الممثلين المتميزين للنَّزعة العقلية.(طرابيشي، ١٩٩١، ٥١).

فمنذ العصر الوسيط الذي صدر عنه تراثنا الفكريّ بمختلف أشكاله، حتَّى الحقبة الراهنة من عصرنا؛ ظلَّت دراسة هذا التراث رهن النظرات، والمواقف المثاليَّة والميتافيزيقيَّة التي تتَّفق جميعها، بمختلف مذاهبها وتيَّاراتها على خطٍّ عامٍّ مشتركٍ تحكمه رؤيةٌ أحاديَّة الجانب للمنجزات الفكريَّة في العصر العربيّ– الإسلاميّ الوسيط؛ أي: رؤية هذه المنجزات في استقلاليَّةٍ مطلقةٍ عن تاريخيَّتها؛ بمعنى أنَّ هذه الرؤية ظلَّت قاصرةً عن كشف العلاقة الواقعيَّة الموضوعيَّة غير المباشرة بين القوى الداخليَّة لعمليَّة الإنجاز الفكريّ– الإسلاميّ تاريخيّاً ذاتيّاً سكونيّاً أو لا تاريخيّاً؛ لقطع صلته بجذوره الاجتماعيَّة؛ أي: بتاريخه الحقيقيّ الموضوعيّ. (مروة ، ١٩٧٨، ٥– ٦)

فالمجتمع العربي خير مثال عن المجتمع التُّراثي الذي يمجد الفكر الماضوي بعاداته، وتقاليده، ونمط تفكيره.

فيمكن التَّمييز بين نوعين من الثَّقافة: إحداهما دينامية مرنة تتميز بقدرة عناصرها على الحركة، والتَّوالد، والانتشار خارج إطارها الزَّمني والمكاني، وهي قادرة على الإقناع، والتَّحدي، والمجابهة، وتلبية حاجات الأفراد، أمَّا الأخرى؛ فهي تقليدية جامدة متصلبة؛ وذلك لانعدام الرَّوابط الوظيفية بين وحداتها وعناصرها، وفي مضامين هذه الثَّقافة التَّقليدية نجد الدَّعوة إلى تمجيد الماضي، واحتقار الحاضر، والتَّخوف من المستقبل، وهذه هي الخصائص التي تنسحب على ثقافتنا العربية السَّائدة وتعبِّر عن حالتها. (دياب، ١٩٨١، ١٣٦).

وبعدها يأتي دور المثقف ذو الطَّابع القومي، فيربط كل إنجازات العقل البشري ضمن بوتقة قومية واحدة، ويرفع شعار بأنَّه في العصور الوسطى كنا أصحاب حضارة، والغرب كانوا في سباتهم العميق، مع العلم بأنَّ العصور الوسطى كانت مظلمة في الشَّرق والغرب، وسلبية ذلك الموقف لا تجعله يبدأ من أرضية لكي يبني بناءً جديداً فيبقى ضمن ذلك البناء القديم الذي أوصاه جده وأبوه بأنّها الحضارة بعينها فلا يرضى التَّخلي عنها.

هذا التصور القومي للعلم مبني على الشُّعور بالنَّقص أمام الحضارة الغربية، وعلى التَّعويض ذلك بماضي الآباء، ومآثر الأجداد، وبما أسدوه للغرب من خدمات تعويضاً عما يسديه لنا الغرب اليوم، وخطورة هذا التَّصور أنَّه يعطينا من السَّكينة والرِّضا والطُّمأنينة الشَّيء الكثير. فما دمنا قد كنا سادة الأمس فلا ضير أن نكون عبيد اليوم. كما أنَّه تصور حتى من ناحية القومية المحضة ضارٌّ بالشُّعور القومي؛ لأنَّه يخدّر أكثر مما يحث على البحث. (طرابيشي، ١٩٩١، ١٩٩).

وبانقسام المثقفين العرب بين التَّجديد والتَّقليد اختلفت الرُّؤى لدى المفكرين في حلها؛ فمنهم من يرى بأنَّ المجتمع العربي يمتلك نظرة ماضوية تراثية مكررة وممزوجة بالتَّفكير الأسطوري والغيبي لمجمل جوانب الحياة الاجتماعية دون أن يحاول أن يستخدم نقداً للتُّراث الذي أصبح عقبة في وجه تطوره. وهذا التَّكرار لتراث موجود في المدارس العربية ومناهجها التَّلقينية وإعلامها المشوه وفي خطابه الماضوي المنتشر بين جميع أبناء المجتمع .

إنَّ تاريخ الثَّقافة العربية مازال مجرد تكرار واجترار للتَّاريخ نفسه الذي كتبه أجدادنا، وإنَّه ما زال خاضعاً للاهتمامات والإمكانيات نفسها التي وجهتهم وتحكمت في رؤاهم، والتي جعلت من التَّاريخ الذي خلفوه لنا تاريخ فرق وطبقات ومقالات. (جابري، ٢٠٠٩، ٣٣٢).

إنَّ العروي ما انفكَّ يدين بكلِّ حزمٍ وبدون أي تهاون تلك الاستخدامات التَّبجيلية للتُّراث، تلك الاستخدامات البالية التي عفا عنها الزَّمن. إنَّه ما انفكَّ يذكر العقل الإسلامي بأنَّه لن

يستطيع التَّحرر من التَّركيبات الأسطورية والاجترارات السكولاستيكية إلا إذا استخدم كل الأدوات والمكتسبات المنهجية الخاصة بالنَّقد التَّاريخي الحديث. (اركون، د.ت.ن. ٥٧).

فكتب التَّاريخ ملأى بالمعلومات عن هذا الأمير أو هذا الوزير، وماذا يأكل، وكيف يرفّه عن نفسه، وكم من الدَّنانير أسبغ على الشَّاعر الذي أعجبه شعره، أو على الجارية التي لفتت نظره بجمالها. لكننا لا نعرف شيئاً عن الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية التي يعيشها الشاعر أو الجارية – أو يعيشها اللَّحام أو الفلاح أو العتّال في زمن ذلك الوزير أو الأمير. (شرابي، د.ت. ن. ٧٤).

إنَّ مكونات البيئة الثَّقافية من العادات والتَّقاليد والدِّين واللُّغة والرُّموز ... لها دورٌ رئيسي في تفكير الإنسان ونظرته لمجمل جوانب الحياة الاجتماعية، وما تتميز به العقلية العربية السَّائدة بأنَّها عقلية ماضوية، تهتم بالجانب التراثي أكثر من تفكيره في بناء المستقبل، فمشكلة العقل العربي تكمن في البنية الاجتماعية السَّائدة التي كبلت العقل وحجبت النُّور عنه.

ونحن شئنا أم لم نشأ مجتمعات تراثية؛ أي: أنَّها ترى أنَّ الحجة فيها هي حجة السُّلطة، سلطة الكتاب، سلطة القديم، سلطة التُّراث، سلطة الوحي، سلطة النَّص، وليس سلطة العقل أو سلطة المشاهدة. وما أكثر الاستشهاد ب (قال الله) و (قال الرَّسول) الذي هو بالفعل السَّند الحقيقي لـ (قال الحاكم). (طرابيشي، ١٩٩١، ٢٤٢).

لا أحد يستطيع أن يفلت من تأثير الثَّقافة التي تربى عليها، فهناك دائماً دافع يشدنا إليه؛ لذلك فإحداث قطيعة مع التُّراث مسألة شبه مستحيلة، وفي الوقت نفسه من الممكن أن تكون لها انعكاسات سلبية على المجتمع؛ كانتشار ظاهرة الأصولية، ما لم تُهيَّأ الأرضية الخصبة للخوض في عملية التَّغيير، والوصول إلى منظومة اجتماعية جديدة بديلة عن المنظومة القديمة.

يقول أركون: بما أنَّ الأيديولوجيا التُّراثية تضغط كثيراً علينا من النَّاحية السِّياسية؛ فإنَّ بعض المثقفين نفد صبرهم، ويريدون التَّخلُّص منها كلياً وبأقصى سرعة. ولكن هذا مستحيل؛ ذلك أنَّك لن تستطيع التَّخلص من ماضوية التُّراث، أو من رواسبه التي تشدّ إلى الأسفل أو إلى

الوراء إلا إذا دخلت في معركة داخلية معه. أضف إلى ذلك أنَّ هناك عدة وظائف للتُّراث، وليست كلها سلبية . فهو يقدم أفقاً لملايين البشر المحرومين من كل شيء. وبما أنَّك لا تستطيع أن تنقذهم مادياً؛ فإنَّه لا يحق لك أن تمنعهم من التَّعلق بتراثهم، لأنَّه يشكل خشبة الخلاص الوحيدة التي تبقت لهم. هذا شيء لا إنساني. الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون أمل. الأمل هو بعد نفسي أساسي من أبعاد الوجود البشري . يضاف إلى ذلك أنَّ التُّراث هو الحضن الدَّافئ والذَّاكرة الجماعية العميقة، ولا ينبغي الاستهتار به بأي شكل، ولكن ينبغي إخضاعه للدِّراسة العلمية، وهذا أعظم احترام يقدم له. (أركون، د.ت.ن. ٣١٩)

إنَّ عملية الإنتاج الفكرية المعرفية لا تعني قطع الاتصال مع التُّراث، بل تعني تجديد الواقع وتغييره بما يتلاءم مع طموحات الإنسان، وسعيه الدَّؤوب نحو كشف حقائق المعرفة و أسرار العالم، وتصبح هذه الأفكار ذاتها جزءاً أصيلاً في يومٍ ما من التُّراث.

إنَّ الانفصال عن التُّراث كان من أجل تجديد الاتصال به، والاتصال به كان من أجل تجديد الانفصال عنه. وهكذا فما من فكرة جديدة يقول بها هذا المفكر أو ذاك، سواءٌ في ميدان العلم أو الفلسفة أو في ميدان الأدب والفن، إلا وكانت تسجل نوعاً من الانفصال عن التُّراث، عن فكرة الماضي ومعاييره وقيمه. ولكن ما إن تستقر تلك الفكرة، وتثبت قدرتها على الصُّمود أمام ردود الفعل التي تثيرها؛ حتى تتحول إلى جسم جديد يتم عبره نوع جديد من الاتصال بالتُّراث قصد إعادة قراءته، وإعادة ترتيب العلاقة بين أجزائه، ومن ثم البحث عن الجديد بين أحشائه، والعمل على إعادة ترتيب العلاقة بينه وبين الحاضر وهمومه بصورة تجعل الواحد منهما يغني الآخر، ويوضحه، ويلهم الفكر الخلاق، ويؤسسه. (جابري، ١٩٩٠، ٣٥).

لو أنَّ التُّراث العربي الإسلامي تعرض لمسحٍ تاريخيٍّ شاملٍ، ولإضاءةٍ نقديةٍ تاريخيةٍ شاملةٍ؛ لما حصل ما حصل لاحقاً. لو نجح التَّنوير الإسلامي؛ لما ظهرت الأصولية وملأت الشَّارع والبيت والمدرسة والجامعة.....الخ. لو أنَّ الحداثة الفكرية حتى في صيغتها الفيلولوجية

والتَّاريخية استطاعت أن تفكك أطر الفكر التَّقليدي؛ لما شهدنا انتشار هذه الممارسات المتطرفة، والخطابات العتيقة في نهاية القرن العشرين ! والدليل على ذلك أنَّ المسيحية الأوروبية عاجزة عن توليد حركات أصولية بمثل هذا الحجم والضخامة، لماذا ؟ لأنَّ عقل التنوير مرَّ من هنا. (أركون، د.ت.ن.، ١٧١).

ولم يكن للتكنولوجيا المستوردة من الغرب؛ كالسَّيارات، والمصانع، والآلات، وبناء الأبراج في بعض الدُّول العربية تأثيرٌ على العقلية السَّائدة؛ حيث نجد فجوة كبيرة بين تلك التكنولوجيا وبين العقلية السَّائدة في المجتمع، فما يحتاجه العرب هو استيراد تلك العقلية النَّقدية التي يتطور بها الإنسان من التَّفكير الغيبي الماضوي إلى التفكير العلمي الذي أنجزته التكنولوجيا.

مهمة التُّراث والتَّجديد حل طلاسم الماضي مرة واحدة وإلى الأبد، وفك أسرار الموروث حتى لا تعود إلى الظُّهور أحياناً على السَّطح وكثيراً في القاع. مهمته هي القضاء على معوقات التَّحرر، واستئصالها من جذورها. وما لم تتغير جذور التَّخلف النَّفسية؛ كالخرافة، والأسطورة، والانفعال، والتَّأليه، وعبادة الأشخاص، والسَّلبية والخنوع؛ فإنَّ الواقع لن يتغير. وما أسهل أن يتبدل الشَّبح بالآلة، والعفريت بالمحرك فكلاهما يؤدي الغرض نفسه. فاستعمال السَّاذج للآلة لن يقضي على إيمانه بالجن والأشباح إلا إذا أعيد بناؤه النَّفسي، ومن ثم القضاء على طلاسم الماضي وأسراره إلى الأبد(طرابيشي، ١٩٩١، ٢٤٤).

مازال الصِّراع حول التُّراث صراعاً أيديولوجياً مفارقاً غير مطابق، وليس صراعاً اجتماعياً وتاريخياً موضوعياً. يتبين لنا أنَّ التَّعامل مع التُّراث يجب أن يتحدَّد بالوعي النَّقدي التَّاريخي، فالتُّراث كما يقول علي أومليل: ليس كتباً قديمة وحسب، بل هو استمرار ما للماضي في الحاضر. لذلك فإنَّ نقد المثقف للتُّراث هو نقد للمجتمع الذي لم ينفصل بنيوياً من تراثه، أو مازال فيه الماضي يحكم الحاضر؛ لذلك فإنَّ المثقف ناقد التُّراث له دور في إنجاح عملية انفكاك الحاضر من أسر الماضي.(بعبدلاوي، ٢٠١١، ٥٧).

إنَّ ما ندعو إليه: هو التَّخلي عن الفهم التُّراثي للتُّراث؛ أي: التَّحرر من الرَّواسب التُّراثية في عملية فهمنا للتُّراث، وعلى رأس هذه الرَّواسب القياس النحوي – الفقهي – الكلامي في صورته الآلية اللَّاعلمية التي تقوم على ربط جزء بجزء ربطاً ميكانيكياً. فالقطيعة التي ندعو إليها ليست القطيعة مع التُّراث بل القطيعة مع نوع العلاقة مع التُّراث، القطيعة التي تحولنا من " كائنات تراثية" إلى كائنات لها تراث؛ أي: إلى شخصيات يشكل التُّراث أحد مقوماتها. (الجابري، ١٩٩٣،).

إنَّ نجاح الغرب في التَّخلص من الإرث الغيبي والأسطوري في تراثهم لم يكن وليد الصُّدفة، بل كانت هناك تضحيات جسيمة حتَّى توصلوا للتَّفكير العلمي الذي بدأ على يد كوبرنيكوس وغاليليو مروراً بديكارت وبيكون إلى باشلار وبوبر ..... الذين هزت نظرياتهم واكتشافاتهم حصون الفكر الدِّيني والميتافيزيقي. وهذا ما لم يحدث في البلاد الإسلامية، فحتى الآن تدرس التَّربية الدِّينية كتفسير غيبي، وليست كظاهرة تاريخية، ولم تتعرض النُّصوص المقدسة لنقد تاريخي من أجل طرحه كحدث تاريخي، وهذا يفسر حالات انتشار التَّطرف والأصولية في البلاد العربية والإسلامية أكثر من كل دول العالم مجتمعة، هذه الأصولية التي حجبت النور عن عقل الإنسان.

لكلِّ أمةٍ تراثٌ وماضٍ يفتخر به أبناؤها، وهي تشكل مقومات تلك الأمة، ولكن المشكلة في الأمة التي تأخذ تراثها كمنهج يصلح لكل الأزمنة والأمكنة، فيتحول المجتمع إلى مجتمع جامد اجتراري لكل ما ورد في التُّراث.

الفصل الرابع– الدِّين:

١– مفهوم الدِّين:

يُعتَبر موضوع العقل والدِّين من أقدم المواضيع التي شغلت العقل الإنساني منذ ظهور البوادر الأولى للتَّفكير الإنساني في الحضارات المختلفة التي عرفها التَّاريخ الطَّويل للإنسانية. وقد كانت هذه العلاقة منذ البداية علاقةً متوترةً مليئةً بالصِّراع، تعبِّر عن حقيقة الطَّبيعة الإنسانية في حدِّ ذاتها، كطبيعةٍ متجاذبةٍ بين قطبين مختلفين في جوهرهما وتوجههما. وقد وصلت حدَّة هذا الصِّراع في المجتمعات الغربية إلى ذروتها في عصر الأنوار وبداية عصر النَّهضة، ووصول العلم إلى مستوى كان باستطاعته فيه أن يدخل في معارك ضارية مع الدِّين في شكل ثوراتٍ وردود فعلٍ عنيفةٍ من الطَّرفين، انتهت في آخر المطاف في الكثير من الدُّول الأوربية بانتصار العلم والقضاء على السُّلطة السِّياسية للدِّين. (هابرماس، وراتسنغر، ٢٠١٣، ٢٢)

وحتَّى الآن لم تحسم هذه المعارك في المجتمع العربي بين العقل والدِّين، فهي تطفو على السَّطح على شكل أصوليَّةٍ وتطرُّفٍ وخاصَّة في حالة الحروب والأزمات؛ وذلك لعدم قدرة المنظومة الفكرية العربية أن تفصل بين الدِّين ومجمل الحياة الاجتماعية، فنرى الدِّين ممزوجاً في الإعلام والسِّياسة والتَّعليم.

يرى دوركهايم:(أنَّ الدِّين عبارة عن نظامٍ متضامنٍ من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالمقدَّسات؛ أي: المنفصلة والممنوعة، إنَّ هذه المعتقدات والممارسات توحّد جميع من يعتنقها في مجتمعٍ معنويٍّ واحدٍ يُسمَّى الكنيسة) إنَّ المقدَّسات (الأشياء المقدَّسة) هي ما تحميه الممنوعات وتعزله، أمَّا الدُّنيويات؛ فهي ما تطبق عليه الممنوعات، وما يجب أن يظلَّ بعيداً عن المقدسات . إنَّ المعتقدات الدِّينية هي تصوُّراتٌ تعبِّر عن طبيعة المقدسات وعلاقاتها في ما بينها أو مع الدُّنيويات، أمَّا الشَّعائر؛ فهي قواعد السُّلوك التي تحدِّد كيفيَّة التَّعامل مع المقدَّسات. (ويليم، ٢٠٠١، ٢٥-٢٦)

٢– آراء المعتزلة وابن رشد حول موضوع الدِّين والعقل:

–المعتزلة: ظهرت نزعة المعتزلة كردٍّ فعلٍ لفكرة الجبر والإرجاء التي كانت من الرَّكائز الفكرية التي اعتمدت عليها الدَّولة الأموية لتغطية وتبرير سياساتها التي خرجت عن نمط سياسة الخلفاء الرَّاشدين بحجة أنَّ ذلك من باب القضاء والقدر. ونادت فكرة المعتزلة بمبدأ تحميل الإنسان مسؤولية تصرفاته كافة مادام مزوداً بطاقةٍ عقليةٍ تميّز له بين الحسن والقبح، وبين النَّفع والضَّرر، وبين الصِّحة والخطأ، وبنى المعتزلة فلسفتهم على أساس دور العقل في حياة الإنسان . وقد وثق أنصار هذه الفلسفة بحكم العقل على أساس التَّحسين والتَّقبيح دونما حاجة إلى النُّصوص والمأثورات. ومن مبادئ المعتزلة، أنَّ من المستحيل أن يأتي الشَّرع بما يحيله العقل أو يبطله، وأنَّ ما يأتي به الرُّسل لا يكون إلَّا تفصيلاً لما تقرَّرت جملته في العقل . (العلي، ١٩٩٨، ٣٦– ٣٧)

دافع المعتزلة عن دور العقل وقدرته على التَّمييز بين الخطأ والصَّواب في حياة الإنسان، ورفضوا فكرة القضاء والقدر المؤدلجة التي كانت تبرِّر سياسات الدُّول في تلك المرحلة، فكانت حركة المعتزلة بمثابة نقطة بداية لأرضية عقلية انفتاحية قادرة على جعل الدِّين يوائم كلَّ العصور لكن ما لبثت أن أخمدت تلك الحركة في مهدها.

ففي رأي الجاحظ: أنَّ آراء الإنسان وعقائده ليست إرادية ، بل هي مفروضة عليه فرضاً، وأنَّها نتيجةٌ حتميةٌ لكيفية تكوين عقله وما يعرض عليه من الآراء. (الوردي، ١٩٩٤، ٤٦)

بولادة الإنسان ضمن أسرةٍ معينةٍ يحدِّد عقائده الدِّينية التي يدافع عنها، وتصبح جزءاً من هويته وثقافته التي لا يستطيع التَّخلي عنها بسهولة.

–ابن رشد: ينطلق ابن رشد في عملية تصحيح العقيدة من منطلقٍ منهجيٍّ: هو الفصل بين الدِّين والعلم (الذي كان في عصره جزءاً من الفلسفة) . العلم مهمته النَّظر في الموجودات بهدف فهمها كما هي أولاً، ثمَّ استخلاص العبرة منها بعد ذلك . فالأولوية هنا للعلم على العمل (والمقصود بالعمل هنا السُّلوك الدِّيني والأخلاقي). أمَّا الدِّين؛ فمقصده الأول هو العمل، والعلم فيه هو من أجل العمل .

ثمَّ إنَّ الدِّين هو للنَّاس كافة، والأغلبية العظمى من النَّاس ليست على درجة من العلم والمعرفة بحيث نطالبها بالعمل انطلاقاً من العبرة التي يستخلصها الرَّاسخون في العلم. (الجابري، ١٩٩٨، ١١٣)

يرى ابن رشد بضرورة الفصل بين العلم والدِّين؛ فالعلم مهمته كشف الحقائق، والنَّظر في الموجودات، وهذه مهمة العلماء والفلاسفة وليس رجال الدِّين، أمَّا الجانب الرُّوحي من طقوس وشعائر دينية؛ فهو متاحٌ للجميع، ويستطيع أن يمارسه أيُّ شخصٍ.

٣- آراء علماء الاجتماع حول قضية الدِّين والعقلانية العلمية :

-موقف كارل ماركس Marx.K (١٨١٨ -١٨٨٣):يرى ماركس أنَّ الإنسان هو الذي ينتج الدِّين، وليس الدِّين هو الذي ينتج الإنسان . إنَّ الدِّين هو الإنجاز الرَّائع للكائن البشري؛ لأنَّ الكائن البشري لا يمتلك واقعاً حقيقياً . النِّضال ضد الدِّين بالتَّالي هو النِّضال غير المباشر ضد هذا العالم الذي يعتبر الدِّين عبيره الرُّوحي . الحاجة إلى الدِّين هي في جانبٍ منها تعبيرٌ عن الحاجة الواقعية، ومن ناحيةٍ أخرى احتجاجٌ على الخطر الواقعي ، الدِّين هو أفيون الشُّعوب. ويؤكِّد ماركس على أنَّ الصُّورة الدِّينية عن العالم الواقعي لا يمكن أن تختفي إلَّا عندما تقدِّم ظروف العمل والحياة العملية للإنسان علاقات شفَّافة وعقلانية مع أقرانه ومع الطَّبيعة، ذلك يعني تحرير الحياة من هذا الضَّباب الرُّوحاني الذي يحجب عنها الرُّؤية. (ليجيه، وويليم، ٢٠٠٥، ١٨-٢٠)

من وجهة نظر ماركس الإنسان البدائي الذي عجز عن تفسير ظواهر الكون بصورةٍ حقيقيةٍ أوجد فكرة الدِّين لكي يشبع حاجةً لديه؛ هي الحاجة لمعرفة الواقع من حوله، كما تستمرُّ هذه الحاجة لدى الإنسان في معرفة أسرار الكون حين تتقدَّم علاقات الحياة العملية وتصبح علاقات اجتماعية عقلانية بين البشر، وتستطيع إعطاء تفسيرٍ عقلانيٍّ أكثر تطوراً من التَّفسيرات التي سبقتها عن الطَّبيعة .

كما يرى ماركس أنَّ للدِّين دوراً محدَّداً في عملية القمع والاستغلال، وقال: إنَّ الدِّين ليس شيئاً سيئاً في ذاته، ولكنَّه يساعد في تسهيل عمليات الاستغلال، يفعل الدِّين ذلك من خلال تغطية الحقائق الاقتصادية والسِّياسية القاسية للحياة بوهجٍ يبعث على المزيد من الدِّفء والرَّاحة ، لولا الدِّين لرأت الطَّبقة العاملة استغلالها بوضوحٍ أكثر .(ناي، ٢٠٠٩، ٩٢)

ويرى ماركس بأنَّ الدِّين يلعب دوراً بعملية استغلال العمال، وذلك من خلال القناعة بما وجدوا عليهم وشعورهم بأنَّ هذا الاستغلال قدرٌ محتومٌ عليهم، وفي الوقت نفسه يعطيهم جو الألفة بينهم وبين مستغليهم .

–فيورباخ Feurbach (١٨٠٤– ١٨٧٢):الشُّعور بالتَّبعية عند الإنسان هو مصدر الدِّين، ولكن موضوع هذه التَّبعية ؛ أي: التي يشعر الإنسان بتبعيته لها، هي في الأصل ليست إلا الطَّبيعة، فالطَّبيعة هي الموضوع الأصلي الأول للدِّين، كما يبرهن على ذلك تاريخ كلِّ الدِّيانات والأمم بدرجةٍ كافيةٍ .التَّأكيد بأنَّ الدِّين فطريٌّ وطبيعيٌّ بالنِّسبة للإنسان تأكيدٌ زائفٌ إذا كان الدِّين يتطابق مع التَّأليه، لكنَّه صحيحٌ تماماً إذا كان الدِّين لا يعتبر شيئاً سوى هذا الشُّعور بالتَّبعية الذي يكون فيه الإنسان مدركاً تقريباً بأنَّه لا يوجد ولا يستطيع الوجود دون كائنٍ آخر مختلف عنه ، وأنَّ وجوده لا ينشأ في ذاته. وإذا كان فهمنا هكذا فإنَّه يكون ضرورياً للإنسان كضرورة النُّور للعين، أو الهواء للرِّئتين، أو الطَّعام للمعدة . (عطية، ١٩٩١، ٤١ –٤٢)

إنَّ تبعية الإنسان لدينٍ نشأت نتيجة ما يحدث في الكون من ظواهر طبيعية؛ كالكوارث، والفيضانات، والبراكين، والزلازل التي لم يكن بوسع الإنسان أن يعطي تفسيراً حقيقياً لها، ففسر تلك الظَّواهر الطَّبيعية بأنَّها نتيجة وجود آلهة تتحكَّم في مشيئة النَّاس والطَّبيعة.

– دوركهايم Emile Durkhem (١٨٥٨–١٩١٧): يقول دوركهايم: "عندما أدفع بمهمتي كأخ، كزوج، أو كمواطن، عندما أنفِّذ الالتزامات التي تعاقدت عليها؛ فإنَّني أؤدي واجباتي التي تحدَّدت بعيداً عني وعن أفعالي، الواجبات التي تحدَّدت في القانون وفي

الأعراف. على الرَّغم من أنَّها متوافقةٌ مع مشاعري الخاصَّة، وأنَّني أشعر داخلياً بأنَّها حقيقة، إلا أنَّ هذه العلاقات لا تكشف عن أنَّها علاقاتٌ موضوعية ؛ لأنَّني لست أنا الذي صنعتها، إنما تلقيتها من خلال التَّعليم، كذلك فإنَّ المعتقدات والممارسات الخاصَّة بالحياة الدِّينية، وجدها المؤمن عند ولادته، وإذا كانت موجودة قبله؛ فذلك يعني أنَّها موجودة خارجة عنه، ذلك يعني أنَّ كلَّ ما كان موجوداً في السَّابق يمكن أن يتكرر بالنِّسبة لكلِّ واحدٍ منهم. هكذا إذن ثمَّة طرق للفعل، للتَّفكير، وللشُّعور تمثِّل الخاصية الهائلة التي توجد خارج مجمل الوعي الفردي". (ليجيه، ووليم، ٢٠٠٥، ٢٠٠-٢٠١)

عندما يقوم الإنسان بتنفيذ واجباته اتِّجاه أقربائه أو أبناء مجتمعه، أو يقوم بممارسة الشَّعائر الدِّينية؛ فإنَّ هذه الأفعال والممارسات مستمدةٌ من بيئةٍ اجتماعيةٍ سابقةٍ على وجود الفرد الذي يقوم بتنفيذها دون أيِّ شعور من عدم صحتها، فقد تلقاها من خلال التَّعليم في الأسرة و المدرسة ودور العبادة . وبعد انفصال الدِّين عن مجمل الحياة الاجتماعية في الغرب لم يكن هناك بديلٌ أخلاقيٌّ يحلُّ محلَّ الدِّين، فكانت هناك حاجةٌ ماسَّةٌ إلى جانبٍ روحيٍّ يتكامل مع الجانب المادي خاصَّة بعد شيوع العقلانية العلمية .

إنَّ أزمة المجتمع المعاصر بالنِّسبة إلى إميل دوركهايم ارتبطت بعدم وجود بديلٍ لعلم الأخلاق التَّقليدي المبني على الدِّيانات. من وجهة نظره كان ينبغي على علم الاجتماع أن يؤدِّي إلى إعادة تشكيل علم أخلاق يتجاوب مع متطلبات العقلية العلميّة. من هنا يأتي اهتمامه بعلم الأخلاق العلماني، والتزامه بالنَّشاط التَّربوي في الجمهورية الفرنسيّة.(ويليم، ٢٠٠١، ٩-١٠)

-ماكس فيبر Max Weber: الدِّين بالنِّسبة لفيبر هو نوعٌ خاصٌّ من أشكال العمل الجمعي أو الطَّائفي لا يتناولها فيبر باعتبارها نظماً من المعتقدات، إنَّما ينظر إليها باعتبارها أنساقاً لتنظيم الحياة. بالنِّسبة لفيبر المسألة المطروحة تتمثل في مشكلة لا عقلانية العالم، وبخاصَّة عدم التَّوافق بين ما هو مقدَّر وبين ما تصير إليه الأمور، بين واقع المعاناة التي

يعيشها البشر وحقيقة الموت الذي كان القوة الدَّافعة لتطور جميع الدِّيانات، الحاجة العقلانية لقوةٍ ربانيَّةٍ (لاهوت رباني) تفسر معاناة وآلام البشر وقبول حقيقة الموت، ألوهية قادرة على ممارسة فعل قوى ممارسةً خارقةً للعادة.(ليجيه، ووليليم، ٢٠٠٥، ٩٢)

إنَّ فكرة الموت كانت من العوامل الرَّئيسيَّة التي دفعت بالإنسان لتصور آلهة، وإعطاء تفسيرات غيبية لظاهرة الموت التي تحدث للإنسان – الذي لم يستطع معرفة ماذا سيحلُّ بروحه بعد الموت– كما أعطت تلك التَّفسيرات الغيبية راحةً للإنسان أمام تلك التَّحديات، وشكَّلت بذلك منظومةً قادرةً على تنظيم الحياة الاجتماعية.

٤– العلاقة الصِّراعية بين العقلانية العلمية والدِّين :

حدث صراعٌ بين الكنيسة والعلماء في الغرب انتهت بانتصار العلم خاصة بعد الاكتشافات التي حققها العلم في ميادين الفيزياء والفلك والتي دحضت التَّصورات الدِّينية حول الكون، وهذه الاكتشافات مستمرَّةٌ في تفنيدها للتَّصورات الدِّينية، لكنَّ الوضع في العالم الإسلامي كان على شكل أسلوبٍ توفيقيٍّ بالتَّوفيق بين العقل والنَّقل؛ أي: بين النُّصوص المقدسة وبين التَّأويل العقلي للواقع، وعلى الرَّغم من بعض المحاولات في العالم العربي بترجيح العقل على النَّقل ظلَّ الشَّكل الأكثر انتشاراً هو التَّوفيق بين العقل والنَّقل والذي استمرَّ حتَّى عصر النَّهضة العربية.

إنَّ العقل الغربي قد تحرَّر من القيود، ووقف في علاقةٍ مباشرةٍ مع الطَّبيعة؛ حيث زالت الموانع القديمة، فاستطاع أن يحقِّق التَّقدم العلمي في جميع المجالات، في حين إنَّ الثَّقافة الإسلامية لا تضع العقل في علاقةٍ مباشرةٍ مع الطَّبيعة، بل من خلال آخر هو الدِّين والإيمان، الأمر الذي أدَّى إلى عرقلة التَّقدُّم العلمي. (العلي، ١٩٩٨، ٣٧٨)

إنَّ الفصل بين الدَّولة والكنيسة في أوروبا قد جعل العلم يخاصم الكنيسة فأصبح بذلك طرفاً في الصِّراع ، أمَّا في الإسلام حيث لا كنيسة؛ فلم يكن العلم خصماً مباشراً، وبالتَّالي لم يكن طرفاً في الصِّراع . وكان الصِّراع يكتسي صورة ممارسة السِّياسة في الدِّين والدِّين في السِّياسة

. فهو لم يساهم في تغذية العقل العربي ولا في تجديد قوالبه وفحص قبلياته و مسبقاته ، فبقي الزَّمان الثَّقافي العربي هو هو . (الجابري، ١٩٩٠، ٦١)

منذ بداية تأسيس الدَّولة الإسلامية امتزجت السُّلطة السِّياسية والدِّينية مع بعضها على شكل منظومةٍ اجتماعيةٍ سياسيةٍ تدافع عن الوضع القائم بشكله الغيبي البعيد عن الفكر النَّقدي، في حين شهدت أوروبا صراعات بين الكنيسة ورجال العلم.

فها هو رجل الكنيسة الدومينيكاني كاسيني يدعو المناصرين لآراء جاليليو إلى الابتعاد عن النَّظر إلى السَّماء بقصد معرفة المزيد من حقائق علم الفلك؛ لأنَّ في ذلك جرماً عظيماً، وكان هذا يرى أيضاً بأنَّ علم الهندسة من عمل الشَّيطان، وأنَّ الرِّياضيات حصيلة فكر الملحدين ، أمَّا الأب لوريني؛ فقد صرَّح بأنَّ مذهب جاليليو كفر، وأنَّ في تعاليمه إلحاداً، وأنَّ جزاءه القتل لا محالة. (العمر، ١٩٨٣، ٣٢)

لكن بعد اكتشاف الحقائق العلمية وانتشارها بين النَّاس حيث أصبحت واقعاً لا يمكن إنكاره اضطرت الكنيسة إلى الاعتراف بهذه الحقائق العلمية، ممَّا دفعها إلى عدم الاستمرار في الوقوف ضد العلم مباشرةً، وأصبح التفكير العلمي ينتشر على حساب تقلص التَّفكير الغيبي، وانسحاب الدِّين من مجمل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسِّياسية؛ أي: انتقلت من المفهوم العام إلى المفهوم الخاص، فاعتبر الدِّين مسألة شخصية في حين لم يكن الواقع كذلك في المجتمع العربي حيث يُعتَبر الدِّين هو الرَّكيزة الأساسية في مجمل الحياة الاجتماعية .

وما كان للكنائس الأوروبية إلَّا محاربة الإلحاد، ومحاربة التَّحولات الاجتماعية والعقلية وغيرها التي كان من شأنها تهميش السِّلك الكنسي في الفعل الاجتماعي. ولكن في جميع الأحوال، كما في التَّاريخ العربي الحديث، ثبتت العلمانية في الفكر والمجتمع دون أن تخوض بالضَّرورة معركة مع الكنيسة التي فقدت مواقعها الاجتماعية بفعل الصَّيرورات الاجتماعية التي تجاوزتها، ونشوء مؤسَّسات مدنية صارت حاكمةً لقطاعات الفكر والثَّقافة والسِّياسة. (المسيري، وعظمة، ٢٠٠٠، ١٧٤)

لكن في العالم الإسلامي لا يزال هذا الصِّراع بين العقل والدِّين في بدايته؛ حيث إنَّ عملية التَّكرار للأفكار السَّائدة التي تقوم بها الأجيال العربية منذ أكثر من ألف سنة لم تتعرَّض لأيِّ نقدٍ بنَّاءٍ، وما نشاهده من تطوُّرٍ ظاهريٍّ سواءٌ من النَّاحية العمرانية أو باقتناء تكنولوجيا فاخرة هو عبارة عن عملية استيراد تكنولوجيا وآلات من الغرب؛ لذلك فالعقلية السَّائدة في البلاد العربية لم تخرج من تلك الدَّوامة الدِّينية.

يقول أركون : إنَّ التدجين الاجتماعي للفرد الإسلامي لا يزال مستمراً حتَّى اليوم كما كان عليه الحال قبل ألف وأربعمائة سنة ! أقصد بأنَّ أنماط الإدراك والتَّصور، وأنماط المحاجَّة والتَّأويل ورؤية العالم لا تزال هي هي. (أركون، د.ت.ن. ١٠٣)

ويُعتَبر رجل الدِّين اللَّاعب الأساسي بدعم الأفكار السَّائدة واستمرارها ونقلها من جيلٍ إلى جيلٍ آخر من خلال حجج يُعتَبر تجاوزها جريمةً وانتهاكاً للمقدَّس استناداً على مقولة: إنَّ النُّصوص المقدسة لا يمكن تأويلها حسب كلِّ عصر بل يجب الاحتفاظ بقدسية هذه النُّصوص وترجمتها إلى الواقع كما هي بحكم أنَّها الحقيقة المطلقة، وهي المنهج الصَّالح لكلِّ زمان ومكان، وهذا ما كان سائداً في العصور الوسطى في الغرب؛ حيث كانت الكنيسة تدير شؤون عامَّة الشَّعب دون أيِّ نقدٍ .

يتذرَّع رجال الدِّين –بمعنى السُّلطة على الجمهور، والارتباط بالسُّلطة – بثقافةٍ قدسيةٍ، فوق الجمهور، فوق التَّغيير، (صالحة لكلِّ زمانٍ ومكانٍ) أي: لكلِّ الأجيال وحتَّى للجيل العلمي نفسه. وهذا ما يوهم بأنَّ الجمهور هم أمام (ثقافة مطلقة)، أعلى من كلِّ ثقافات العصر وعلومه، وبهذا الوهم يتوجه الجمهور إلى تناول طقسي شعائري لثقافةٍ متعاليةٍ، (ربما كانت متناسبة مع عصر) ويقال له: إنَّها مناسبةٌ لعصره هذا و لكلِّ عصرٍ قادمٍ. أمَّا الحجة المؤثرة في هذا الجمهور المُخوَّف من حركة التَّغيير التي يصعب عليه أن يكتشف بنفسه معنى حدوثها؛ فهي إقناعه بأنَّ ثقافة الدِّين مطلقة، ثابتة. (خليل، ٢٠٠٥، ١٧)

وبحكم البيئة الاجتماعية العربية المهيأة للقبول بالأفكار الدينية دون أيِّ محاولةٍ لنقد تلك الأفكار **يقول الشَّرابي :إنَّ إنسان مجتمعنا البرجوازي – الإقطاعي لا يحتاج إلى مزاج ديني للقبول بقول القرآن (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) فالإنسان قليل الشَّأن، والدين يعلمه يومياً أنَّه قد خلق كائناً ضعيفاً (وخلق الإنسان ضعيفاً) الفرد يعيش في عالمٍ يعرف مسبقاً أنَّه لا يستطيع السَّيطرة عليه، وأنَّ مصيره فيه أمرٌ محتومٌ (كل من عاش مات، وكل من مات فات، وكل ما هو آتٍ آت). وفي النِّهاية كما في البداية فإنَّ الله حقٌّ على كلِّ شيء: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) ومن الواضح أنَّ أيديولوجية كهذه تغذي استمرار السُّلطة القائمة في المجتمع وتدعم هيمنتها على أعضائه.** (شرابي، ١٩٨٤، ٧١)

فعملية التَّكرار والاجترار التي تقوم بها الجماعات المتدينة تجعل منهم يدورون في حلقة مفرغة لا تستطيع أن تقوم بأيِّ تغييرٍ في طريقة تفكيرهم، فعند قيام أيِّ شخصٍ في هذه الجماعات بطرح فكرةٍ جديدةٍ؛ يصبح موضع اتِّهامٍ وشذوذٍ من قبل الجماعة .

سوسيولوجياً نفهم ما الذي جمّد الفكر في الجماعة المتدينة: إنَّه التَّكرار، التَّقليد الجماعي، عبادة المألوف كأنَّه من صنع مجهول، تقديس الاعتقاد والخوف منه حتَّى البكاء أو الانتحار الذي يُسمَّى استشهاداً باسم المقدس في سبيل الله. (خليل، ٢٠٠٥،٢١٦ – ٢١٧)

بالإضافة إلى دور رجال الدِّين في الحفاظ على الوضع القائم نجد ظاهرة استغلال الدِّين من قبل السِّياسيين في البلاد العربية سواءٌ عبر شبكات الإعلام أو عن طريق المناهج التَّعليمية أو الخطابات التي تُلقَى أثناء الأزمات والحروب ... إلخ؛ وذلك لشحذ همم الشَّباب وزجهم في حروب أو أمور أخرى؛ كالانتخابات في سبيل وصول جهة معينة إلى غاياتها دون النظر إلى الوضع الكارثي الذي سينتج عنه فيما بعد شخصية تمتلك عقلية دوغمائية إقصائية ترفض الآخر، ويظن بأنَّه الوحيد على الصَّواب ويملك الحقيقة المطلقة، وبأنَّه من الفرقة النَّاجية، والدَّليل على هذا وجود حاضنٍ اجتماعي لجماعاتٍ أصوليَّةٍ متطرفةٍ في بعض البيئات العربية .

لقد بينت بعض التَّجارب في العالم الإسلامي أنَّ إدغام النَّشاط السِّياسي بالدِّين المؤدلج ينطوي على قوة هائلة، وأنَّ اندماج الدِّين بالنَّزعة القومية ينطوي على قوة أكبر. أمَّا مركب الثَّلاث فيتميز بقدراتٍ خارقةٍ على صعيد الفعل. وهو ما يتَّضح بجلاء خلال أزمة الخليج . ولكنَّ الأزمة نفسها تبين أيضاً، من جانبٍ آخر، إلى أيِّ مدى يتعطل التَّفكير العقلي، أو يلجم ذلك. وهذا ما فتح الأبواب أمام الأصولية للعب دورها في العالم العربي. (عبد الجبار، ١٩٩٢، ٨٩ – ٩٠)

فنتائج مزج الممارسات السِّياسية بالمسائل الدِّينية ينتج عنها لاحقاً عقلية اجتماعية تعتبر نفسها صاحبة اليقين المطلق.

فهناك مواقف تعتبر أنَّ الحقيقة واحدةٌ يمتلكها طرفٌ واحدٌ لا غير، وهذا هو معنى الحديث عن الفرقة النَّاجية، الأمر الذي يرشح عنه التَّسلط، والاستبداد يعني السَّعي دائماً إلى الجمع بين ملكية السُّلطة المطلقة وملكية الحقيقة المطلقة. (بنعبدلاوي، ٢٠١١، ٣٣) فهذه العقلية الغيبية صاحبة اليقين المطلق يصبح وجودها في المجتمع عائقاً أمام أي تغييرٍ، فهم يملكون أفكاراً مطلقة سواءٌ أكانت قد فُسِّرت بطريقةٍ صحيحةٍ أم قد تمَّ استغلالها لغاياتٍ سياسيةٍ.

يقول علي عبد الرَّازق: إنَّ الدِّين الإسلامي بريءٌ من نظام الخلافة الذي عمل على تأخير المسلمين في سيرهم نحو التَّقدم، والدِّين لم يقيّد المسلمين بأيِّ نوعٍ من أنواع الحكم، وإنَّما ترك لنا أن نختار منها أحدث ما أنتجته العقول البشرية.(الشوملي، ٢٠٠٨، ١٣٥)

ولو تساءلنا عن مفهوم (الحضارة الإسلامية) كما يذكر في المناهج العربية ووسائل الإعلام وكتب التُّراث ومن قبل المثقفين العرب هل كان هناك حضارة فكرية ؟ وهل كانت هذه الحضارة ناتجة عن الحكم الدِّيني؟ سنجد في التَّاريخ الإسلامي معظم المفكرين والفلاسفة من المعتزلة إلى الفارابي إلى ابن رشد إلى الكندي إلى أشهر الشُّعراء والأدباء؛ كالمعري، والفرزدق، والمتنبي الذين عاصروا تلك المرحلة تعرَّض للظُّلم والاضطهاد والنَّفي، واتُّهموا بالزَّندقة من قبل رجال الدِّين والحكم، وخاصَّة التَّيار الأصولي في تلك المرحلة والذي يمتدُّ إلى المرحلة الحالية، و الذين يتناقضون مع أنفسهم

ويدَّعون بأنَّ هؤلاء العلماء كانوا من منجزات الفكر الدِّيني؛ لذلك تجدهم الآن يطالبون المسلمين بإعادة خلافة دينية لاستعادة أمجاد الماضي الزَّائفة في حين كان فكر المعتزلة وابن رشد والمعري هو إنجاز العقلانية الذي يقف على تضادٍّ مع الغيبية.

إنَّ التَّطور في الكثير من المجالات، فضلاً عن العلوم التَّجريبية ، كان في الحضارة الإسلامية بثمن العدول عن الأحكام والتَّعاليم الدِّينية . أسوق مثالاً بسيطاً جدَّاً، إذا أردنا استعراض مفاخر الحضارة الإسلامية ، فلا شك أنَّ الشُّعراء سيتربَّعون على رأس القائمة، حيث إنَّ ازدهار الشِّعر كان على حساب أحكام الإسلام وتعاليمه .

فالأحكام الإسلامية، إن لم تكن سلبية المنحى اتِّجاه الشُّعراء؛ فهي لا توحي بنظرةٍ إيجابيةٍ . المثال الثَّاني أسوقه من رموزنا الذين نفخر بهم في حقل الفلسفة؛ كالفارابي، وابن سينا، وأضرابهم ممَّن نتباهى بهم وبمنجزاتهم الفكرية، بينما لم يكن الدِّين برأي يوافق الفلسفة ويشجع عليها، وقد تأتت مكتسباتنا الفلسفية بعد أن دفعنا لها الثَّمن، عدولاً عن تعاليم الدِّين وتوصياته ابتداءً من خواتيم القرن الثَّاني الهجري وحتَّى القرن الخامس. (ملكيان، ٢٠١٠، ٣٥٣ – ٣٥٤)

لذلك عندما تُعطى فرصة مناسبة لكي يتمكن العقل من القيام بعملية النَّقد في ما يجري من حوله من أفكار خاطئة تعلمها من محيطه الاجتماعي؛ فمن الممكن أن نصل إلى بيئةٍ تتيح الانتقال من عقلية غيبية إلى عقلية ديناميكية تتلاءم مع الأوضاع الجديدة التي توصل إليها العالم المتمدن.

لكننا نلاحظ أنَّ الدِّيانات تخضع للمحيط الاجتماعي سواءٌ أكانت منفتحة أم منغلقة، وأنَّ (الإنسانية هي آلة لصنع آلهة) وعليه فإنَّ انتقال التَّدين من الانغلاق إلى الانفتاح رهن بأوضاعه المجتمعية، بمعنى أنَّ التَّطور الدِّيني يتبع الاجتماعي في أغلب أحواله.(خليل، ٢٠٠٥، ٢١٥– ٢١٦) فالبيئة الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في عملية الجمود أو الحركة للعقل الإنساني؛ للانتقال من التَّفكير الغيبي إلى التَّفكير العلمي.

٥– أمثلة عن الظَّاهرة الدِّينية في المجتمع العربي :

يدخل الدِّين في مجمل الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي، ويمتزج مع الأسطورة والسِّحر والشَّعوذة في بعض الحالات، ومع السِّياسة والقومية في حالاتٍ أخرى، وبالنَّتيجة جميعها تؤدي إلى إعاقة انتشار التَّفكير العلمي في المجتمع .

يقول غيرتز: إنَّه التقى بعالم مسلم وأخبره هذا أنَّ في القرآن توجد كل المعارف الإنسانية، بما فيها حقوق الإنسان وأسرار العلم النووي، فيتوصل غيرتز إلى النَّتيجة التَّالية: بهذا يعرض الإسلام نفسه بديلاً عن الحداثة، دون أن يعرّض نفسه لمتطلبات الحداثة ، فيقدم ما لا يستطيع عليه وما لا يقدر على فهمه. (شرابي، د.ت.ن. ٤٣)

انتشرت كتب الإعجاز العلمي للكتب الدِّينية في المراكز والمكتبات العربية حتَّى أصبحت معروضة في الشَّوارع للبيع دون رقابة للدَّور الذي تلعبه تلك الكتب في إعاقة نشر التَّفكير العلمي مع العلم أنَّه لا يوجد أيُّ دليلٍ على صحة تلك الآراء، فمنهج العلم يختلف كلَّ الاختلاف عن التَّصورات الدِّينية، فالاكتشافات العلمية التي حدثت في العالم هي نتيجة خطوات علمية مرتبطة بالمنهج العلمي .

يقول صادق جلال العظم: **يصنف السَّيد مروة الآية التَّالية تحت علم الفيزياء: "إنَّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السَّماء"، ويصنف الآية التَّالية تحت علم الذَّبذبات الصَّوتية: "إنْ كانت إلاّ صيحة واحدة فإذا هم خامدون"، ويدرج الآية التَّالية تحت علم الانفجارات النَّووية:" فارتقب يوم تأتي السَّماء بدخان مبين . يغشى النَّاس هذا عذاب أليم"، أما الآية المشهورة "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يراه. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يراه" فيدخلها تحت علم الذَّرة** . (العظم، ٢٠٠٣، ٣٦- ٣٧)

هناك العديد من الأمثلة التي تدل على أنَّ طريقة التَّفكير ومعالجة الأمور لدى شريحة واسعة من المجتمع العربي لا تزال رهينة الأسطورة والمسائل الغيبية .

يبرز الكاتب عينات على دور التَّدين الشَّعبي؛ أولاً هناك الأسطورة التي راجت في تونس (نقلتها صحيفة الغارديان اللَّندنية) عن امرأة رأت في المنام هاتفاً يقول إنَّها لو عثرت على

شعرة في القرآن الكريم عند سورة معينة لكان النَّصر حليف العراق. ووجدت المرأة في الصَّباح التَّالي الشَّعرة عند السُّورة المحددة، واشتعل الجمهور حماسةً ويقيناً من أنَّ النَّصر قاب قوسين أو أدنى .

وفي الأردن انتشرت موجات الخرافات والتَّفسيرات الغيبية، وتمثلت في التَّفسيرات والفتاوى الدِّينية التي تقدم في بعض المساجد أحياناً، وأحياناً أخرى خارجها، والتي رفعت من بعض القيادات إلى مرتبة أعلى من مرتبة البشر . إلى جانب الفتاوى أخذ عشرات الأشخاص وبعض وعاظ المساجد يتحدثون عن الأحلام التي شاهدوها وعن زيارة الأنبياء لهم تؤكد جميعها على انتصار العراق. (عبد الجبار، ١٩٩٢، ٨٥- ٨٦)

يقول صادق جلال العظم: في الواقع حاول سماحة الشَّيخ التَّصدي في إحدى المناسبات لمسألة الملائكة والجن، ومدى انسجام الاعتقاد بها مع العلم الحديث ومعارفه عن الكون، ولا أدري ما هي طبيعة العلاقة التي يجدها سماحة الشَّيخ بين نظرية الضَّوء من ناحية ووجود الجن والملائكة من ناحيةٍ أخرى؟ يقول علم الفيزياء: إنَّ سرعة موجات الضَّوء ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثَّانية، وهذه التَّموجات هي أحداث فيزيائية (مادية) طبيعية خاضعة للقياس الرِّياضي الصَّارم، فهل يقصد سماحته التَّلميح إلى إمكان وجود أجهزة علمية لاقطة لتموجات ضوئية ملائكية وجنية تحدد لنا بوضوح رياضي وتجريبي طبيعة هذه الكائنات. (العظم، ٢٠٠٣، ٢٦)

يقول أركون: كنا قد ذكرنا كتاب ح . الطواتي الذي يتحدث فيه عن المتعلمين، والأولياء الصَّالحين، والسَّحرة المشعوذين الذين كانوا يملؤون المغرب الكبير في القرن السَّابع عشر، في الواقع إنَّ هؤلاء موجودين في جميع المجتمعات التي مسّها الحدث الإسلامي أو تغلل فيها، فهم عبارة عن الوكلاء الذين يتكفلون بإعادة إنتاج نظامٍ معرفيٍّ خليط أو مركب، ثمَّ يكررونه على مسامع الشَّعب وينشرونه ويطبقونه عملياً. (أركون. د.ت.ن. ١٠١)

لكن المشكلة لا تقف عند الأولياء والسَّحرة في المجتمع العربي بل تتعدى كل المرجعيات الدِّينية لتصل إلى المؤسسات الحديثة في الدَّولة وتبنيها للأفكار الغيبية والأسطورية.

في مصر حيث تبنت أجهزة الدَّولة – بصحافتها ووسائل إعلامها ووزاراتها – قصة ظهور العذراء واحتضنتها وروجت لها واستنتجت منها ما أرادت من المغازي السياسية والكفاحية والسِّياحية، فحولتها بذلك إلى هستيريا دينية اجتاحت قسماً كبيراً من المواطنين . (العظم، ٢٠٠٣، ٩٩)

فالكثير من المقولات الإيديولوجية التي يسمعها ويرددها الفرد العربي منذ طفولته وحتى مماته تجعله بعيداً كلَّ البعد عن التَّفكير العلمي في حين تكون هذه المقولات ذات طابع سياسي من أجل المحافظة على الوضع القائم؛ (كالمقولة الإيديولوجية الذَّاهبة إلى أنَّ العلماء ورثة الأنبياء وخلفاؤهم بعد زوال دولة الخلافة والتي تفيد بوصاية هذه الطَّائفة – أو هذا الصِّنف، إن اعتمدنا هذه العبارة الصِّناعية والمهنية التي تستمد مصداقيتها من علمٍ، ومن اعتبار ابن خلدون العلم صناعة أو حرفة معاً _ على العوام من النَّاس، أو على العلمانيين بالتَّعبير المسيحي الذي يفصل ما بين الكنيسة وبين ما هو خارجها، وعلى مسلكياتهم وعقائدهم). (المسيري، والعظمة، ٢٠٠٠، ١٧١)

عند معرفة الإنسان بالعلم ومناهجه القائمة على خطوات منهجية المتمثلة بالفروض، والملاحظة، والتَّجربة يدرك بأن ليس هناك أية علاقة بين الاكتشافات العلمية والنُّصوص المقدسة، ففي حالة جمود العقل وعدم قيامه بوظيفته في تحليلٍ منطقيٍّ للظَّواهر، ومن ثم عدم المقدرة على تغييرها، يرضخ العقل للأفكار الغيبية.

من يراجع تاريخ العلم الحديث يكتشف بسرعة أنَّ واضعي دعائمه وفلاسفته شنُّوا حرباً لا هوادة فيها على إقحام العلل الغائية والمفاهيم الأخلاقية في التَّفسير العلمي لظواهر الطَّبيعة، ورفضوا النَّظرة الغائية للكون رفضاً تامَّاً؛ لأنَّهم اعتبروها من إنتاج خيال الإنسان الأسطوري،

ولأنَّها تعيق تقدم العلم وانتشار تفسيراته للظَّواهر الطَّبيعية مهما كان نوعها. (العظم، ٢٠٠٣، ٢٧)

لكن إذا عدنا إلى الحالة الاجتماعية النَّفسية التي يعيشها الفرد العربي نتيجة الاستبداد من ناحية، والهزائم والانكسارات التي مني بها العرب؛ نجد بأنَّ هناك أرضية مهيأة لتقبل تلك الأفكار اللاعقلانية التي تعوض الإنسان بشيء من فقدانه للقيمة والمعنى.

يقول الحجازي: من آليات الدِّفاع المنتشرة في الأوساط الشَّعبية ضد الهدر والتَّهميش الاحتماء بالمقدس، واللُّجوء إلى حلقات الذِّكر وشعائر التَّصوف. في هذه الحالة تقلب دلالة الوجود من الفراغ والخواء والفشل وما يصاحبها من انعدام القيمة والمعنى إلى الامتلاء من خلال الذَّوبان في القوة الماورائية الإلهية المتسامية والمتعالية على الشَّقاء الأرضي . (حجازي، ٢٠٠٥ ، ٣٠٧) A

وينتج عن التَّدين الشَّعبي، وممارسات الشَّعائر، والطُّقوس الدِّينية تكوين عقلية تحمل خليطاً من الأفكار الغيبية النَّاتجة عن المنظومة الغيبية بمؤسساتها ومرجعياتها وخطبائها والأفكار العلمية النَّاتجة عن المؤسسات الحديثة؛ كالمدارس والجامعات، فتتشكل منظومة اجتماعية يتعايش فيها القديم مع الجديد فتنتج بدورها شخصية انفصامية ازدواجية لا يستطيع الشَّخص أن يعبّر عن آرائه بحرية، فتراه تارةً يجامل الوسط الدِّيني، وتارةً يطالب بتغيير الواقع.

٦- الأطروحات الفكرية لحلِّ أزمة التَّفكير الغيبي في المجتمع العربي.

تعدَّدت المواقف والآراء حول كيفية الانتقال من التَّفكير الغيبي إلى التَّفكير العلمي في المجتمع؛ فمنهم من يرى بفصل الدِّين عن السِّياسة والعلم، وإقامة المؤسسات الحديثة لكي تحلَّ محلَّ المؤسسات التَّقليدية المتبنيّة للمواطن، ومنهم من يرى بنقل الدِّين من مفهومه العام إلى المفهوم الخاص؛ أي: باعتباره حالة شخصية، ومنهم من رأى بضرورة توضيح حقيقة الأفكار الدِّينية بشكلٍ نقديٍّ للنُّصوص المقدسة دون أية مراوغةٍ أو أسلوبٍ توفيقي.

إنَّ ما يسميه فكراً دينياً هو ليس فكراً، بمعنى نتاج العقل، بل هو معاملة، علاقة اجتماعية، تقليد وعادة، جرت تقويتها بجمهور يتداولها، يستعملها، يكررها، وبسياسة توظفها لمصالح أصحابها. إنَّ إنتاج المجتمع الزراعي لسلوك اجتماعي، ومنه السُّلوك الدِّيني، لا يتغير إلا بنتاج مجتمع آخر؛ كالمجتمع الصِّناعي والتِّكنولوجي. في الغرب تغيرت العادات الاجتماعية، الدِّينية وغير الدِّينية، واستمرت الكنيسة كعقيدة، وما يحدث في بلاد الإسلام هو أنَّ المجتمع لا يتطور أو يتقدم نحو حضارة علمية. (خليل، ٢٠٠٥، ٢٥٢- ٢٥٣)

ويفرق أركون بين الحداثة الفكرية والحداثة المادية، ويرى أنَّ استيراد التُّكنولوجيا والآلات لا يكفي، وإنما ينبغي تحديث العقليات، ولأننا فشلنا في هذا التَّحديث، وأهملناه فشلت الحداثة العربية أو الإسلامية كلها. وإذن فلنعد نقطة الصِّفر؛ إلى تحديث العقل والفكر، من هنا نبدأ وينبغي أن نبدأ. (أركون، ١٩٩٩، ٢٢٥)

إنَّ ظاهرة التَّدين أصبحت مسألةً شخصيةً بين الفرد والله في الكثير من المجتمعات الغربية دون تدخُّلٍ من رجال الدِّين أو المؤسسات الدِّينية أو عامة الناس .

وبانسحاب الدين من مجال العموم الاجتماعي إلى مجال الخصوص الفردي، العبادي والاعتقادي، الذي لا نتائج اجتماعية وسياسية فعلية له إلاّ ما اندرج من الطُّقوس الدِّينية في الطقوس الاجتماعية، كالزَّواج والأعياد والمعمودية والختان والجنّاز والدَّفن. فجرى مبدأ "الدِّين لله والوطن للجميع" فكانت العلمانية صورة الصَّيرورة التَّاريخية للأزمنة الحديثة. (المسيري، والعظمة، ٢٠٠٠، ١٧٥)

لكن بالمقابل في العالم الإسلامي أخفقت الحكومات والنُّخب الفكرية في جعل مسألة الدِّين يتمحور في المجال الخاص، فما زال الدِّين في مجاله العام؛ أي: يدخل في كل التَّفاصيل الدَّقيقة في حياة الإنسان من مسألة الحلال والحرام إلى مسألة خرق الحدود الشَّخصية، عندما يُسأل الشَّخص وكأنَّه في محكمة بأدائه الشَّعائر الدِّينية أم لا، وهذا ما جعل من الصَّعب على أيِّ شخصٍ مثقفٍ أن يفصح عن أفكاره خشية أن يصبح منبوذاً، أو يتعرض للخطر أو الإهانة.

إنَّ الدِّين أمرٌ يتعلق بالمجال الخاص؛ أي: أنَّه يتعلق بالعلاقة بين الإنسان وخالقه، ولكن الممارسات السِّياسية الحياتية تدلُّ على أنَّ الدِّين ليس كذلك. فثمَّة حضورٌ قويٌّ للدِّين في الميدان العام يكاد يصل إلى حدِّ المراقبة والتَّتبع. ويصل هذا الحضور إلى درجة أنَّ المتحدث في ندوة عامة أو قناة تلفزيونية يكون حذراً – بل خائفاً – من أن يتتبعه رقيب، أو أن يهاجمه متطرف. إنَّ الدَّولة المدنية تتأسس على عقلانية ورشد الخطاب، وعقلانية ورشد الممارسة، والاستقلال النِّسبي بين مجالات الحياة المختلفة . (زايد، ٢٠١١، ٢٣)

بالنِّسبة إلى بريان ويلسن، وهو أحد أهم المدافعين عن مقولة التَّمدين في علم اجتماع الأديان، فإنَّ التَّمدين يعني (العملية التي تؤدِّي إلى خسارة المؤسسات، والأفكار، والممارسات الدِّينية أهمِّيَّتها (مغزاها) الاجتماعية) وهي عملية تمس بمكانة الدِّين في النِّظام الاجتماعي. ويرى ويلسن أنَّ التَّمدين ناتجٌ أساساً عن عملية عقلنة المنظمات العصرية، والاستقلالية المتزايدة للمؤسسات الاجتماعية بالنِّسبة إلى الدِّين، مما يسمح للمرء أن يغيّر ظروف حياته ومجتمعه. وإن أحد المؤشرات المهمة للتَّمدين، حسب قوله، هو التَّراجع الكبير في نسبة الثروة التي يخصصها المجتمع للخوارق.(ويليم، ٢٠٠١، ١٤٥-١٤٦)

فإنَّ استقلالية جوانب الحياة الاجتماعية عن الدِّين، ودخولها في مؤسسات مستقلة، بالإضافة إلى إعطائه طابع عقلاني علمي لتلك المؤسسات كان له دورٌ في إضعاف مكانة الدِّين في المجتمع ودوره في الحياة الاجتماعية.

فقد ذهب هابرماس إلى أنَّ العقلانية والتِّكنولوجيا والنَّزعة العلمية قد أثرت تأثيرات سلبية على المعتقدات الدِّينية، وعلى الممارسات التَّقليدية. وقد ارتبطت هذه التَّحولات بآفاق جديدة للمعنى قدمت مفهوم العلم ومفهوم العقل على مفهوم الدِّين، وأصبح المجتمع يستمد شرعيته من الدَّور الذي تؤديه فيه الجوانب العقلية التِّقنية وليس من الجوانب العقيدية الدِّينية. (زايد، ٢٠١١، ٣)

عندما انفصل الاقتصاد والسِّياسة والعلم عن الدِّين رفع عنها الطَّابع الغيبي؛ حيث تطورت تلك الجوانب وأصبحت أكثر واقعية مرتبطة بالعالم الحقيقي.

يقول دوركهايم: المجتمعات الحديثة التي تحكمها العقلانية العلمية وتقسيم العمل هي مجتمعات معلمنة بشكلٍ نهائيٍّ. إنَّها تشكل عملية تقليص متتالٍ للدِّين الذي يمتزج مع تاريخ الإنسانية ذاته. ويذكر في كتابه تقسيم العمل الاجتماعي في الأصل كان الدِّين يمتد إلى كل شيء، كل ما هو اجتماعي هو ديني؛ الكلمتان دائماً كانتا مترادفتين. ثم بعد ذلك خرجت الوظائف السِّياسية، والاقتصادية، والعلمية شيئاً فشيئاً من إطار الوظيفة الدِّينية، تمَّ تشكلها بعيداً عن الدِّين، كما اتخذت طابعاً دنيوياً واضحاً بتزايدٍ.(ليجيه ، ووليم، ٢٠٠٥، ٢٣٠)

أمَّا في ما يختص (بالعقلية)فينبغي التَّنبه إلى ناحيتين أساسيتين؛ من جهة، نجد عملية البيروقراطية التي تنتشر في المجتمع الشَّامل، وتطال المنظمات الدِّينية وغيرها من المنظمات، من جهة أخرى نجد عملية عقلنة الدِّين، إنَّ الانعكاسية التَّلقائية تولّد علاقات حرجة مع التَّقاليد عبر مساءلة جميع الممارسات، وإذا كان المجتمع قد تمدّن بتحرره من الوصايا الدِّينية فالدِّيانات تتمدَّن أيضاَ بالانفتاح الشَّديد نسبياً أمام التَّفكير النَّقدي وروح هذا القرن. (ويليم، ٢٠٠١، ١٥٥– ١٥٦)

مع كل توسع لعقلانية العلم التَّجريبي، يستبعد الدِّين بشكلٍ متزايدٍ أكثر فأكثر من مجال ما هو عقلاني ويدفع نحو مجال اللاعقلاني، ويصبح بناءً على ذلك بكل بساطة بمثابة القوة اللاعقلانية أو القوة المنافية للعقل. عملية سلب العقلانية من الدِّين هي نتيجة للعقلنة العلمية للعالم. في مواجهة هيمنة العقل، يتمثل خط دفاع الدِّين كما يقول فيبر: بأن ما قدمه العقل لن يكون أقصى معرفة فكرية تتعلق بالمجال القياسي المعياري، إنما هو عبارة عن اتخاذ موقف نهائي من العالم، بمقتضى الإمساك الفوري على معنى هذا العالم ومغزاه. يساهم ذلك في أنَّ كل ما يكون ويشكل المضمون الدَّاخلي لما هو ديني يبدأ في أن يكون غير واقعي،

ويبتعد عن كل شكلٍ من أشكال الحياة المنظمة. هذا السَّلب للعقلانية عن الدِّين يرتبط بشدة بسلب الصِّفة المؤسساتية عنه.(ليجيه، وويليم، ٢٠٠٥، ١٠٦- ١٠٨)

إنَّ نتائج العلم التَّجريبي دحضت الكثير من المسائل التي كانت تُفسَّر على أساس غيبي وذلك على حساب تقليص مؤسسة الدِّين التي كانت تحكم العالم برؤيتها الغيبية، كما قامت بعملية عقلنة علمية لكثير من جوانب الحياة الاجتماعية التي كانت سابقاً تحت سيطرة رجال الدِّين، وهذه العقلانية العلمية خلعت صفة المؤسساتية عن الكنيسة وأعطت ظاهرة التَّدين طابعاً شخصياً.

لذلك فهناك مواقف صارمة في التَّعامل مع حالة التَّفكير الغيبي، وتعتبر أي محاولة توفيقية بين العلم والنُّصوص المقدسة تهدف للحفاظ على الوضع السَّائد، والذي ينتج عنها شخصية ازدواجية بعيدة عن روح العصر.

إنَّ محاولة طمس معالم النِّزاع بين الدِّين والعلم ليست إلاّ محاولة يائسة للدِّفاع عن الدِّين، يلجأ إليها كلما اضطر الدِّين أن يتنازل عن موقع من مواقعه التَّقليدية، أو كلما اضطر لأن ينسحب من مركز كان يشغله في السَّابق . إنَّ نمط هذه العملية معروف جيداً، إنَّها تبدأ بصدام شديد بين النَّظرة العلمية الجديدة حول موضوع ما، وبين النَّظرة الدِّينية السَّائدة إلى الموضوع ذاته، وبعد نزاع قد يستمر سنين طويلة تنتصر النَّظرة العلمية الجديدة وتسود بين كبار المفكرين، وتنتشر بين الفئات المثقفة تماماً عندما يوشك العلم أن يتجاوزها إلى نظرة أفضل. (العظم، ٢٠٠٣، ١٧)

فنقطة التَّحول الحاسمة من التَّفكير الدِّيني إلى التَّفكير الغيبي بدأت في الغرب بنقد التُّراث الدِّيني بما فيه النُّصوص المقدسة استناداً على المبدأ العلمي بعدم وضع سقف معين للنقد.

يقول طرابيشي: يؤدي استعمال منهج النَّص إلى إحساس باليقين المطلق والحق المسبق، فيؤدي إلى التَّعصب وعدم الاستعداد للتَّنازل عن شيء، أو تغيير الموقف، أو الفهم المتبادل، أو السَّماع للغير. وكثيراً ما يؤدي إلى القطيعة في النَّظر. يوجه السُّلوك فيؤدي إلى الامتثال والتَّحزب والتَّكفير. (طرابيشي، ١٩٩١، ٢٤٧)

لذلك تبقى المحاولات التَّوفيقية بين العلم والدِّين علاجاً غير مجدٍ على المدى البعيد؛ لأنَّ الأصولية ستطفو على السَّطح بمجرد أن تسنح لها الفرصة، ولأنَّ منهج العلم يختلف عن التَّصورات الدِّينية يرى هوبز بأن لا نخلط بين العقيدة والعقل، فحيث ينتهي الثَّاني يبدأ الأول، وحيث ينتهي العلم يبدأ الإيمان .

في الواقع يفتقر كلام الموفقين الخطابيين بين الدِّين والعلم حتى لأكثر أدوات التَّحليل الفكري بدائية، كما يفتقر إلى أبسط القواعد المنهجية في التَّمحيص والتَّفكير العلمي.(العظم، ٢٠٠٣، ٢٥)

فإن كانت الحضارة الأوربية هي التي انفردت بصياغة مفهوم التَّقدم؛ فلأنها الحضارة الوحيدة التي انفردت حتى الآن بالانتقال من التَّمركز حول الله إلى التَّمركز حول الإنسان . (طرابيشي، ١٩٩١، ٢٥٧)

يقول شرابي: مجابهة التَّيار الدِّيني الأصولي مجابهة صريحة وكلية تشكل جزءاً لا يتجزأ من مهمة الحركة النَّقدية الحديثة. (شرابي، د.ت.ن. ١٧)

لكن هذا النقد يحتاج إلى تهيئة بيئة اجتماعية مناسبة لتقبل فكرة نقد النُّصوص الدِّينية، وقدرته على تبني الفكر العلمي .

ضمن سياق نقد الفكر الدِّيني، والتَّفكير الدِّيني، والتَّصور الدِّيني للعالم، يفرض نقد النص ومنهج النص وسلطة النص نفسه باعتباره لازمة منطقية، وتتمة ضرورية لإشهار الطَّلاق بين العقل والنقل. (طرابيشي، ١٩٩١، ٢٤٥)

يقول د.عزيز عظمة: إنَّ العلمانية ليست وصفة أو صيغة جاهزة قد تختار جماعة معينة رفضها أو تطبيقها، بل هي جملة عمليات موضوعية في التَّاريخ ومنه. فالعلمانية تستند إلى تقديم العقل على النَّقل في أمور التَّشريع والتَّنظيم السِّياسي والاجتماعي . (الشوملي، ٢٠٠٨، ١٥٤)

إنَّ العقائد الدِّينية الدُّوغمائية الممجدة للزُّهد، والتي تدفع الإنسان إلى التَّفكير بالآخرة دون الأخذ بالحياة الواقعية تجعل من الشَّخص يعيش في قوقعة الألم وعذاب حياة الآخرة فتبعده عن أيِّ عملٍ خلَّاقٍ مبدعٍ يساعد على تقدم البشرية.

كما أنَّ كافة العقائد المتطرفة تؤدي إلى الضَّرر، وهذا واضح عندما تحاول هذه العقائد التَّنافس مع عقائد متطرفة أخرى؛ لأنَّها في تلك الحالة تلجأ إلى تشجيع الكراهية والخصام.

ولكن ذلك صحيح حتى عند وجود عقيدة متطرفة واحدة في الحلبة، فهي لا تسمح بإجراء تحقيقٍ نزيهٍ مثلاً؛ لأنَّ ذلك قد يزعزع قبضتها، ولا بدَّ لها من معارضة التَّقدم الفكري. وإذا كانت هذه العقيدة كما هي الحال في معظم الأحيان تتضمن طبقة الكهنة؛ فإنَّ ذلك سيعطي قوة عظيمة لطبقة مكرّسة بالاحتراف؛ للمحافظة على الوضع الفكري السَّائد، والادِّعاء بامتلاك الحقيقة في حين لا توجد حقيقة. (راسل، ٢٠٠٨، ١٢٤– ١٢٥)

ويؤكد لوك على التَّسامح فيقول: إنَّ التَّناقض بين الكنائس حول حقيقة وصدق مبادئهم العقائدية ونقاء عبادتهم هو أمرٌ يتساوى في الكل مع أنَّه لا يوجد في أيِّ مكانٍ في الأرض من يستطيع أن يحدد ما هو الصَّواب وما هو الخطأ، وبذلك يكون التَّسامح حماية لحقوق الفرد وحريته في التَّفكير، والاختلاف حماية لأهل العقائد المختلفة في كلِّ الأديان. (خليفة، ٢٠٠٥، ٨١)

فالفكر الدِّيني: هو عبارة عن مجموعة تصورات أعطيت لتفسير مجمل الحياة الاجتماعية والطَّبيعية، في مرحلةٍ سابقةٍ لم يكن العلم باستطاعته أن يعطي تفسيرات علمية حول حركة الكواكب والفيضانات والبراكين٠٠٠ إلخ، كما ارتبطت كلُّ مرحلةٍ من مراحل التَّاريخ البشري بسلوكٍ اجتماعيٍّ يتميز عن سابقه، فالثَّورات العلمية والتّكنولوجية والمعلوماتية كانت ناتجة عن عوامل اجتماعية، وهذا كان له بالغ الأثر في تغيير طريقة التَّفكير لدى الإنسان الغربي. كما إنَّ نتائج الاكتشافات العلمية دحضت الكثير من المسائل التي كانت تُفسَّر على أساسٍ غيبي، كما انعكس أثرها في كل مناحي الحياة الاجتماعية، فبدأ العلم بسحب البساط من تحت أقدام رجال الدِّين

والسَّحرة والمشعوذين في الكثير من المجالات؛ كالفلك، والاقتصاد، والطب – ومن الأمثلة في الحياة الاجتماعية؛ الانتقال من العلاج عند رجال الدِّين أو المشعوذين إلى الطِّب الحديث – مما دفع بالإنسان أن ينتقد الكثير من العادات التي ارتبطت بالدِّين من ثم محاولته تغيير تلك الممارسات؛ لذلك فالتَّطور في جانب ما كان له تأثير في المنظومة بأكملها، كما خلعت صفة المؤسسة عن دور العبادة. لكن بقيت مسألة الدِّين من أعقد القضايا التي يواجها العقل البشري؛ فهي لم تنتهِ بانتهاء فترة الحكومات الدِّينية في العصور الوسطى، ولا ببروز مرحلة التَّفكير العلمي بل كل ما حدث هو انتقال فكرة الدِّين من المفهوم العام إلى المفهوم الخاص، وتمَّ فصل السِّياسة عن الدِّين في المجتمعات المتقدمة.

لكنّ البيئة الاجتماعية العربية تشكل الأرضية المناسبة لاستمرار حالة الانغلاق الدِّيني نتيجة فشل الحركات الدِّينية الإصلاحية، وفشل الحكومات العربية في فصل الدِّين عن السِّياسة، وفي تكريس مبدأ المواطنة الذي ينقل الفرد من المؤسسات التَّقليدية إلى المؤسسات الحديثة، وقلة النُّخب الفكرية التي تعمل على تهيئة الأجواء؛ لنقل العقل العربي من العقل الغيبي إلى العقل العلمي المنفتح.

ما نستطيع قوله إنَّ الحقيقة المطلقة لا يملكها أحد فجوهر جميع المذاهب والتَّيارات الدِّينية تدور حول فكرة الخير والشَّر التي تتوافق مع قيم أي مجتمعٍ سليمٍ متسامحٍ؛ أي: هناك قاسم مشترك أساسي بينهم، أمَّا كل ما يشذّ عن القاعدة الأساسية؛ فهو الابتعاد عن جوهر الدِّين.

الفصل الخامس: غياب المجتمع المدني وضعف مبدأ المواطنة.

أولاً– المجتمع المدني

١– مفهوم المجتمع المدني:

تشير معظم الدِّراسات إلى أنَّ مفهوم المجتمع المدني هو فكرةٌ جديدةٌ على الرَّغم من جذورها الموغلة في القدم، فهي ظهرت ظهوراً بارزاً في عصر النَّهضة والتَّنوير عصري التَّحولات الكبيرة، الاجتماعية، والاقتصادية، والسِّياسية، التي شهدها الغرب. ولعلّ أبرز هذه التَّحولات تمثلت في : حركات الإصلاح الدِّيني وما نجم عنها من اعتبار الإرادة الشَّعبية مصدراً للحكم بدلاً من الحق الإلهي، والتَّجربة الدِّيمقراطية بعد نشوء الرَّأسمالية، وبالتَّالي ظهور حركاتٍ إنسانيةٍ اهتمت بحقوق الإنسان وحريته وكرامته.

مفهوم المجتمع المدني: لقد وضعت ندوة المجتمع المدني التي نظَّمها مركز دراسات الوحدة العربية عام(١٩٩٢ م) تعريفاً للمجتمع المدني على أنَّه : المؤسسات السِّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثَّقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال عن سلطة الدَّولة؛ لتحقيق أغراضٍ متعددةٍ: منها أغراض سياسية؛ كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني والقومي؛ ومثال ذلك الأحزاب السِّياسية، ومنها أغراض نقابية؛ كالدِّفاع عن مصالح أعضائها، ومنها أغراض ثقافية؛ كما في اتحادات الكتاب والمثقفين والجمعيات الثَّقافية التي تهدف إلى نشر الوعي الثَّقافي. (الفالح، ٢٠٠٢، ٢٢)

٢- العقبات الاجتماعية التي تقف أمام بناء المجتمع المدني :

تعددت الآراء حول العوامل الدَّافعة لبناء المجتمع المدني عبر تطورها التَّاريخي من تقسيم عمل إلى أسباب أخلاقية واجتماعية، لكن يبقى التّفكير العقلاني العامل الجوهري في بناء المجتمع المدني بمعزل عن أي مرحلة تاريخية، فالعقل البشري هو الذي يبحث عن حلول لمشاكل البشر ويحاول تخليص المجتمع من حالة الفوضى إلى حالة أكثر تنظيماً وتمدناً، فبتقسيم العمل وتعدد الوظائف والاختصاصات في المجتمع يتم الانتقال من الحالة الريفية البسيطة إلى الحالة المدنية.

استند المجتمع المدني عند أفلاطون إلى تقسيم العمل، وكان عند أرسطو متشكّلاً من قدرات طبيعية وأخلاقية مختلفة. فقد اعتمد شيشرون على القدرة الإنسانية الشاملة على المشاركة في العقل القويم الذي يتناغم مع الطبيعة، ويوجد مستقلاً عن التاريخ الإنساني، وينظم الكون. إن الفوضى المتأصلة في عالم المصالح الخاصة والأحكام الشخصية يمكن التغلب عليها عن طريق تنظيم المجتمع المدني طبقاً لمبادئ العقل.(إهرنبرغ، ٢٠٠٨، ٦٤ – ٦٥)

إن النزعة البشرية اتجاه الحقوق الطبيعية؛ كحق التملك والحفاظ من أجل البقاء أدت إلى حالات صراع بين البشر، فكان لابدّ للعقل البشري أن يبحث عن حلول من أجل الوصول إلى مجتمع ينهي هذا الصراع بين البشر، فكانت بداية الدعوة لبناء المجتمع المدني.

لكن لوك يستدرك في وصف حالة الطبيعة الأولى فيقول: فقد تنشأ في حالة الطبيعة بعض الحالات الشاذة من النزاع لا يمكن أن تحل من قبل فرد أو أفراد هم أصلاً متساوون من دون أن يحصل انحياز، وربما حصول نوع من الفوضى والعنف. وأن العلاج المناسب لذلك لا يكون إلاّ بقيام حكومة مدنية فحسب؛ لأن غاية المجتمع هي الحفاظ على الحقوق الطبيعية الثلاثة: (حق الحياة – حق الحرية – حق الملكيّة) لكل فرد من أفراد المجتمع. (الشماس، ٢٠٠٨، ١٥)

إن المصلحة الذاتية العقلانية هي حافز فعل الفرد وبقاء الجماعة. فهي تقع في صميم الحياة الإنسانية في حالة الطبيعة، وتتيح لنا اشتقاق قانون الطبيعة الأول، وتستلزم قيام المجتمع المدني. إن الانتقال من البربرية إلى الحضارة يجلب إلى التاريخ الإنساني الصناعة، والزراعة، والملاحة، والعلم، والأخلاق، والثقافة.(إهرنبرغ، ٢٠٠٨، ١٥٢)

ولتسويغ الثقافة المدنية، وإضفاء شرعية العقل عليها كمطلب ضروري مقترن ببناء النسق الاجتماعي الجديد ينقد هوبز الثقافة المدرسية، ونقدها يهدف إلى تحقيق أمرين ؛ الأمر الأول: هدم الفلسفة المدرسية؛ لكونها المسؤولة عن إشاعة الخرافة بين البشر بما أقامته من

خلط بين أفكار أرسطو والدين . والأمر الثاني: كشف أثر الثقافة المدرسية في إضعاف سلطة الدولة السياسية ، وتمزيق المواطن بين سلطتي : الكنيسة والدولة .(خليفة، ٢٠٠٥، ٧٤)

ساندت الفلسفة المدرسية في الغرب الكنيسة التي بقيت أسيرة القياس الأرسطي طيلة القرون الوسطى، والتي اعتمدت على مقدمات يقينية للوصول إلى نتائج يقينية؛ مما جعلها تقف كعقبة أمام العقلانية العلمية، وبانتقالها إلى المنهج العلمي برزت الاكتشافات العلمية في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية، والتي بدورها ساهمت في تكوين المجتمع المدني.

لم يكن في الإمكان وضع قانون علمي عقلاني ومستقل إلاّ من خلال انعتاق الأفراد من جميع الروابط التي تربطهم بالعائلة والأرض والمدينة التي تقيدهم بالخرافات والإيمان والتقاليد والعادة والواجب. ويعني هذا التحرر سقوط الحياة الاجتماعية البسيطة للأسر في القرية والبلدة وانهيار المجتمع الزراعي .

وقد توصل تونيس من ملاحظاته أن الرغبة العقلانية والمجتمع قد حلا مع مرور الوقت محل الرغبة الطبيعية والمجتمع المحلي. (إيبرلي، ٢٠٠٣، ١٩٨)

لكن عملية بناء المجتمع المدني، من جانب آخر ليست عملية معملية تتم وفقاً لخطة مرسومة أو إجراءات منضبطة، بل هي عملية حركية معقدة تتداخل فيها العديد من العناصر والمتغيرات على مختلف الأصعدة والمستويات، وهي عملية تراكمية تتم على مدى زمني طويل نسبياً. إن المجتمع المدني ليس مجرد هياكل فقط بل هو قيم قبل كل شيء ومن هذا المنطلق، لا بدَّ من التركيز على القيم المدنية بدل الاكتفاء بالهياكل وقصر النظر عليها. (عبد الباقي، ٢٠٠٦، ٨٤)

إن استيراد هياكل وخطط جاهزة من مجتمعات أخرى وتطبيقها على المجتمع العربي قد لا تفضي إلى النتائج المرجوة؛ لذلك ينبغي على كل مجتمع أن يبحث عن العوائق الحقيقية التي تقف في وجه التغيير، والوصول إلى المجتمع المنشود.

إنّ معيقات بناء المجتمع المدني العربي متنوعة، بعضها يضرب في أعماق البنية الذهنية والفكرية للمجتمع العربي، وبعضها يرتد إلى المستوى العملي الواقعي. فمن المعيقات المتصلة بالمستوى الفكري، يمكن ذكر:

أ- ضعف التأصيل النظري لمفهوم المجتمع المدني في الوطن العربي.

ب- الاختلاف في تكييف طبيعة المجتمع المدني، حيث يستخدمه البعض مقابلاً للدولة (السلطوية غالباً)، والبعض يستخدمه مقابلاً للدين، ويستعمله آخرون نقيضاً للعسكري.

إن قلة المعرفة وانتشار الأمية والتخلف بين أبناء المجتمع يؤدي إلى خلط المفاهيم في الذهنية العربية.

أما بالنسبة للعوائق العملية ذات الصلة بالمستوى الواقعي كثيرة منها:

أ- الازدواجية داخل المجتمعات العربية التي تُمثَّل أساساً، في وجود بعض مكونات المجتمع التقليدي ورموزه إلى جانب بعض مكونات المجتمع الحديث ورموزه، وقد تصل العلاقة بينهما، في بعض الأحيان، حد التوتر والصراع والانفجار.

تتداخل رموز النظام القديم بمؤسساته التقليدية التي تقوم بدورٍ كبيرٍ في المجتمع مع المؤسسات الحديثة، وهذا يؤدي إلى حالة صراع لا تنتهي إلاّ بزيادة نسبة التعليم ونشر المعرفة العلمية لكي تصبح الكفة الراجحة في المجتمع للأفراد الأكثر إيماناً بالعلم والعقل في إدارة المجتمع، وبناء مجتمع مدني يحقق مصالح الجميع .

ب- عدم إمكانية بناء مجتمع مدني في ظل غياب أو ضعف دولة القانون والمؤسسات.(عبد الباقي، ٢٠٠٦، ٩٧- ٩٨)

ولكن قد يتساءل سائل بأن التقدم والتحديث يتطلبان إضعاف الولاءات القديمة ذات الدوائر الضيقة وتلاشيها؛ ليحل محلها الولاء للدولة المركزية ؛ أي: الأمة، وذلك يعني اختفاء

علاقات اجتماعية كانت نابعة من تلك الدوائر، الأمر الذي يضعف العلاقات الاجتماعية، فيصبح الفرد وحيداً في المجتمع، وذلك ضرر وخسارة اجتماعية ذات علاقة وثيقة بالصحة النفسية للمواطن واطمئنانه وراحته. لكن ذلك لا يعني أن المجتمع الجديد عاجز عن إيجاد البدائل من تلك العلاقات، فالمجتمع المدني في ظل الدولة، حيث يتحرر الفرد من الروابط القديمة لحساب الرابطة الجديدة بالأمة وبالدولة، يستطيع أن يبني علاقات جديدة من خلال النشاط المدني الجديد، حيث تزدهر النوادي، والجمعيات العلمية، والمؤسسات الخيرية، ومنظمات العمل الوطني، والخدمة العامة. (العلي، ١٩٩٨، ٣٨٠)

لقد ادعى علم الاجتماع الغربي أن المجتمع الإسلامي كان يفتقر إلى مؤسسات المجتمع البرجوازي المستقلة، التي كسرت قبضة الإقطاع العنيدة على الغرب. وطبقاً لوجهة النظر هذه، كان المجتمع الإسلامي يفتقر إلى المدن المستقلة، والطبقة البرجوازية المستقلة، والبيروقراطية العقلانية، والمحاسبة القانونية، والملكية الشخصية، ومجموعة الحقوق التي تجسد الثقافة البرجوازية. إن المبنى الاجتماعي للعالم المشرقي تميز بغياب المجتمع المدني؛ أي: بغياب تلك الشبكة من المؤسسات المتوسطة بين الفرد والدولة. (بشارة، ٢٠١٢، ٣١٤ – ٣١٥) إن انتصار أفكار البرجوازية في الغرب على الإقطاع، ومجابهة تدخل الكنيسة في الحياة العامة للبشر قام بدورٍ مهمٍّ في تكوين منظمات المجتمع المدني والتي استمرت في تطورها حتى وصل مفهوم المجتمع المدني إلى ما هو عليه، ولكن هذا لا يعني بأن تخوض الشعوب العربية تجربة الغرب بالخطوات نفسها حتى تحقق فكرة المجتمع المدني.

وبسبب عدم وجود تنظيم سياسي يرقى إلى مستوى الدولة في أية بقعة من بقع هذه المنطقة (الخليج – المحيط) ظلت ظاهرة " المدن " كمراكز تجمع حضرية متحضرة غائبة تماماً. كانت الحياة الاجتماعية على طول هذه المنطقة وعرضها حياة بدوية ولم تكن مدنية. إضافة إلى غياب التنظيم العقلاني للفكر والسلوك. إن غياب الدولة والمدينة يستتبع حتماً غياب العقلانية.(الجابري، ١٩٩٠، ١٢١)

فالفهم الخاطئ للدين، والابتعاد عن مقاصد الدين الحقيقية، يجعل من المجتمع عبارة عن تكتلات دينية تستهدف بعضها بعضاً، فتحاك المؤامرات ضد أبناء المجتمع الواحد باسم الدين، وتجعل من قيام المؤسسات المدنية؛ كمؤسسات ضاغطة على السلطة مسألة في غاية الصعوبة.

ومن أهم العوامل التي يرى لوك أنها سبب يضعف المجتمع المدني: هو التعصب الديني الذي يدفعه بأهله إلى ممارسة العنف، والتخريب، والقتل، والتدمير، واضطهاد البشر وتعذيبهم، وجميعها أمور مناقضة تماماً (للمقاصد الحقيقية من الدين، وهي تنظيم حياة البشر استناداً إلى قواعد الفضيلة والتقوى) (خليفة، ٢٠٠٥، ٦٤)

كما أن غياب حرية التعبير وثقافة الحوار يجعل من الصعب انتشار الأفكار المدنية بين أبناء المجتمع العربي. يؤكد هابرماس لتحقيق الإجماع العقلاني يجب تساوي الأفراد في عملية الحوار، ولذلك فإنّ المشاركين في الحوار يكونون غير مقيدين في حوارهم وأقوالهم سواء بقوة داخلية أو خارجية؛ ولذلك فإن شروط التخاطب المثالي هي شروط المجتمع الحر المنظم بطريقة عقلية. (أبو النور حسن، ٢٠٠٩، ١٥٥)

يقول فؤاد زكريا عن الديمقراطية: إنها مناخ إنساني في ما تفرضه من عقلانية وروح نقدية، وترتكز إلى المناقشة الحرة، تزيل من عقول الناس مفهوم السلطة المطلقة التي لا تناقش. وبهذا جعل العقلانية النقدية من ثمار الديمقراطية. (العلي، ١٩٩٨، ٣٥٥)

وإن قيم ومبادئ المبادرة، والحرية، والإرادة، والتعددية، والعقلانية تعتبر من المقومات والمرتكزات الأساسية لبناء وتفعيل المجتمع المدني ومؤسساته.(عبد الصادق، ٢٠٠٧، ٧٣)

ويرى الحجازي أن أزمة الديمقراطية لا تتصل بالتعبير عن الرأي، والمشاركة في صنع القرار السياسي أو تنفيذه. (القهر هو الأسلوب السائد في العلاقات الاجتماعية، علاقة تسلط من الأعلى إلى الأسفل، عن طريق التماهي بالمتسلط من الأدنى؛ لأن مثل هذا التسلط يلغي

دور العقل وقيمه، ويحوله إلى كائن يجتر ذاته، ويكرر خبراته وأفكاره. (العلي، ١٩٩٨، ٣٥٩)

إنّ غياب المجتمع المدني لا يعود للاستبداد السياسي فقط، بل هناك جملة من المتغيرات الاجتماعية ضمن العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي التي تتداخل مع بعضها، والتي تعمل على خلق عقبات أمام فكرة بناء مجتمع مدني.

٣- العلاقة الجدلية بين العقلانية العلمية والمجتمع المدني :

تتجه العلاقة بين المجتمع المدني والعقلانية نحو علاقة جدلية تؤثر كل منهما بالأخرى، تلك العلاقة التي أفرزت مواطناً متحرراً من سلطة رجال الدين التي كانت تكبل العقل البشري، وتجعله مقتنعاً بعبوديته لأفراد آخرين مثله، وتنزع عن الفرد صفة المواطنة والتي هي بدورها تعيق بناء المجتمع المدني.

إنّ انتقال الإنسان من حالة المجتمع المحلي إلى المجتمع المدني مقترن بعملية التغيير في طريقة التفكير، فكان محور اهتمام الإنسان شهواته الجسدية، والافتخار بنسبه وعشيرته، وخضوعه لسياسة القبيلة، ثم انتقل بعدها إلى التفكير العقلاني؛ وذلك ببناء ذاته التي هي ركيزة أساسية في بناء المجتمعات المتمدنة.

إن الانتقال من حال الفطرة إلى الدولة المدنية يحدث تغييراً ملحوظاً في طبيعة الإنسان، وذلك عن طريق إحلال العدالة محل الغريزة في سلوكه، فتضفي على أفعاله بعداً أخلاقياً كان يفتقر إليه سابقاً. وحينذاك فقط، عندما يحل صوت الواجب محل الحافز الجسدي، والحقّ محل الشهوة؛ يجد الإنسان نفسه، الذي فكّر حتى ذلك الوقت بنفسه فقط، مجبراً على أن يتصرف طبقاً لمبادئ أخرى، وأن يأخذ المشورة من عقله قبل الانصراف إلى نوازعه. (إهرنبرغ، ٢٠٠٨، ٢٩٢)

نشأ المجتمع المدني نتيجة اتفاق عقلاني بين أفراد مجتمعٍ يحقق مصالح الجميع؛ لأن تحقيق مصلحة الفرد بالنتيجة ستؤدي إلى ازدهار المجتمع الذي يعود بالنفع على الكل، كما أن فكرة المجتمع المدني

هي من صنع البشر، غير مستمدة من القانون الأخلاقي المتمثل بالدين أو بالأعراف الذي يحصر المنفعة لطبقة واحدة متمثلة بطبقة الكهنة أو الحكم .

إن جوهر الطبيعة الإنسانية ينزع نحو المصلحة الذاتية الناتجة عن تفكير عقلاني، والتي كانت من إسهامها عبر التاريخ هو الوصول إلى حالة المجتمع المدني الذي ينقل المجتمع من حالة الفوضى إلى التنظيم. لكن كيف تتحقق المصلحة العامة ضمن مجتمع مدني قائم على المصلحة الذاتية ؟.

يجيب هيوم بأنه لا يمكن الكشف عن الصالح العام من خلال التفكير الخلقي، كما أنه لا يوجد بمعزل عن مجموع المصالح الفردية. فالقواعد التي يسير وفقها المجتمع المدني غير مستمدة من القانون الخلقي الطبيعي؛ فهي مصطنعة، والمجتمع المدني ليس غير تنظيم اتفاقي بغرض السعي وراء الأهداف الخاصة؛ لأن العقل الذرائعي يساعد الأفراد على تشخيص مصالحهم، ويدلهم على السبيل الأفضل لتطمينها. لقد حلت الخبرة والعادة محل المبدأ الأخلاقي والفضيلة القبليين بوصفهما معيار للحقيقة. فالمجتمع المدني لا يتشكل بغير تفاعلات خارجية بين عقلانيين ساعين إلى مصالحهم الذاتية. (إهرنبرغ، ٢٠٠٨، ٢١٧)

تتجه العلاقة بين المجتمع المدني والعقلانية نحو علاقة جدلية تؤثر كل منهما بالآخر، تلك العلاقة التي أفرزت مواطناً متحرراً من سلطة رجال الدين التي كانت تكبل العقل البشري، وتجعله مقتنعاً بعبوديته لأفراد آخرين مثله، وتنزع عن الفرد صفة المواطنة والتي هي بدورها تعيق بناء المجتمع المدني.

فالمجتمع المدني مؤسس على العقلانية، والعلمانية باعتبارها سيرورة تاريخية معقدة شكّلت انفصال الإنسان الديني عن الإنسان المطلق، في اللحظة الجدلية الكبرى، أو خطوتها الأولى . (الشماس، ٢٠٠٨، ٢٧)

وهناك أمثلة في الواقع العربي تعبّر عن جدلية التفكير العلمي والمجتمع المدني؛ نأخذ مثالاً عن التجربة الفلسطينية في المنظمات الأهلية :

إنّ تأثير المنظمات الأهلية قد نبع من كونها أو أغلبها تقوم بشكل دوري بإجراء انتخابات داخلية لاختيار قياداتها ،وإن شكلاً من المحاسبة كان يجري في صفوفها، كما تدلّ على ذلك عملية تدوير السلطة التي كانت تتم من خلال الانتخابات. كما نبع أيضاً بسبب وجود درجة معينة من التعليم الجامعي والثقافة العامة لدى العاملين في هذه المنظمات، الأمر الذي فرّخ نوعاً من النخب الثقافية والمهنية ونخب التكنوقراط، وهي النخب الأكثر حماساً في الدفاع عن مقولات العقل ونشرها، والأكثر استعداداً وقابلية لممارسة الديمقراطية في مجال عملها وفي عموم المجتمع، وكان من أبرز نتائج دورها شيوع ظاهرة الانتخابات في معظم المؤسسات الوطنية، كما ساهمت في انتشار القيم الاجتماعية المدنية، إضافة إلى انتشار أبعاد اجتماعية وثقافية على مقولة التعددية، وأضعفت بالتالي من ثقافة العنف في حل النزاعات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الفلسطيني. (الشوملي، ٢٠٠٨، ٥٨)

أما السير في طريق عقلنة الحياة العربية بمختلف مظاهرها فضرورة تاريخية كذلك، ليس فقط لأن الحضارة المعاصرة تقوم كلها على التنظيم العقلاني لكل مرافق الحياة، بل أيضاً لأن العقل العربي المعاصر مازال يحمل بين طياته رواسب كثيرة متنوعة من صنوف اللامعقول الموروث عن عصور الانحطاط في الحضارات السابقة. (الجابري، ١٩٩٠، ١٢٥)

إذا كانت العلمانية تستلزم الديمقراطية، وإذا كانت الديمقراطية تمثل واحداً من أهم مكونات وعناصر العلمانية، فإن العلاقة بين العلمانية والديمقراطية تغدو في المحصلة علاقة اقتران جوهرية، وفي الفحوى فإن العلمانية التي تعمل وفق قوانين العقل والدنيا، والديمقراطية التي تعمل وفق إرادة الشعب كمصدر للسلطات، تمشيان على أرض واحدة هي أرض الدنيا والإنسان، وعقله، وروحه، وقيمه، وإرادته، وأفعاله المختلفة .تصبح العلمانية والديمقراطية في ترابطهما، ليس فقط أسلوباً للنظام السياسي والاجتماعي اللازم للمجتمع الفلسطيني، وإنما التعبير الأشد إنسانية عن حاجة المجتمع إلى صيغة جديدة تفكّ قيود قهره وانسحاقه واستلابه المادي والاجتماعي والروحي. (الشوملي، ٢٠٠٨، ٢٨٠ – ٢٨٨)

لكن ذلك لا يعني أن شكل المجتمع الذي سبق المجتمع المدني كان مجتمعاً لا عقلانياً بكل جوانبه، بل إن المجتمع المدني هو الشكل الأرقى الذي توصل إليه العقل البشري.

لم يفترض تونيس عند وصفه المجتمع بالرغبة العقلانية أن المجتمع المحلي غير عقلاني على الإطلاق، فقد أشار حقيقة إلى أن مجموعات المجتمع المحلي تبدي جوانب عقلانية، ووضع العائلة والجوار والصداقة في ترتيب يتناسب مع مستوى ازدياد العقلانية لديها، وبالنسبة لتونيس فإن الصداقة هي أعلى أشكال المجتمع المحلي؛ لأنها تقوم على علاقة متحررة من الإكراه . (إيبرلي، ٢٠٠٣، ١٩٧)

قد لاحظ ماركوس أورليوس ما يلي: إن طبيعتي الخاصة طبيعة عاقلة ومدنية، فانا لي مدنيتي وبلدي، ولي روما بوصفي ماركوس، ولي الكون بوصفي كائناً إنسانياً، وتبعاً لذلك فإن ما هو نافع لهذه الجماعات هو الخير الوحيد بالنسبة لي. (إهرنبرغ، ٢٠٠٨، ٦٢)

فالإنسان المتمدن لا تقف إنسانيته ضمن بلدٍ واحدٍ، بل تتجاوز كل الحدود، كما تتجاوز الكثير من العادات والتقاليد والأوهام التي كانت عالقة بأذهان البشر طوال السنوات الماضية، وهذا ما جعل من الإنسان كائناً عاقلاً مفكراً.

ثانياً– المواطنة:

١ – مفهوم المواطنة:

يعدّ مفهوم المواطنة من المفاهيم التي مرّت بمراحل تاريخية متعددة منذ الحضارة الرومانية واليونانية، إلى مرحلة عصر النهضة والتنوير في الغرب، المرحلة التي تبلورت فيها المفاهيم بصورة أكثر وضوحاً.

مفهوم المواطنة: هي الصفة التي تحدد حقوق المواطن وواجباته اتجاه وطنه وفقاً لميزان العدالة الاجتماعية والمساواة أمام القانون، كما تقوم على قاعدة الولاء والانتماء للوطن، والعمل على خدمته في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق

العمل المؤسساتي والفردي، الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو إليها الجميع، وتوحد من أجلها الجهود، وترسم الخطط ، وتوضع لها الموازنات. (بدوي ، ١٩٩٢، ٦٠ – ٦٢)

٢–العقبات الاجتماعية التي تقف أمام ترسيخ مبدأ المواطنة :

نتج عن عملية تغيير انتماء الفرد من المؤسسات التقليدية (الأسرة – دور العبادة)إلى المؤسسات الحديثة (الأحزاب – مؤسسات الحكومية) ترسيخ مبدأ المواطنة في الغرب فأصبحت الدولة هي المسؤولة عن جميع احتياجات المواطن من رعاية اجتماعية، وخدمات (صحة – تعليم – عمل – سكن ٠٠٠إلخ)، وترسيخ العدالة الاجتماعية، ومبدأ تكافؤ الفرص.

فقد أتاح عقل التنوير تشكيل الدولة القومية الحديثة؛ أي: الدولة العلمانية الديمقراطية التي تعامل مواطنيها كلهم على قدم المساواة أياً كانت أصولهم العرقية أو الدينية أو المذهبية. كما أتاح تحقيق تقدم كبير في مجال البحث العلمي، والانتقال من العصبيات العشائرية أو القبليّة أو الطائفية الضيقة إلى عصبية واحدة موحدة موسعة : هي عصبية التعاقد الاجتماعي بين الدولة والمواطنين. لم يعد المواطن منتمياً إلى طائفته أو عشيرته أولاً، وإنما إلى الدولة ومؤسساتها الديمقراطية الحديثة. هكذا تغيرت العصبية جذرياً مع الانتقال إلى مرحلة الحداثة.(أركون، د.ت.ن. ١٥٤)

لم يستطع المجتمع العربي أن يتجاوز التركيب العشائري والعرقي والطائفي الذي يسيطر عليه، والذي انتقل بدوره إلى مؤسسات الدولة الحديثة مما جعلها تفقد صفتها المؤسساتية والعقلانية الرشيدة.

في حالة العصبيات يقيد الانتماء ويحصر، وبالتالي يحجر الانطلاق في المدى الكوني الرحب. يتدهور مفهوم الوطن أو يغيب ما دام الوجود والمرجعية تظلان للقبيلة أو العشيرة أو الطائفة أو المنطقة. إنها حالة حصار تفرض على الإنسان عضو هذه العصبية. وهذه الوضعية

أحد الأسباب الكبرى التي تحول دون تحوّل الدول إلى أوطان بمعنى الكيان والمرجعية الفوقيين اللذين يتجاوزان الانتماءات الضيقة. (حجازي ٢٠٠٥، ٣٢) A

فالمجتمع الحديث لا يعرف تصنيف المواطنين عل أساس اللون أو النوع أو الدين أو العرق، هذه كلها تعبر عن سمات المجتمع التقليدي، ولكن يعرف المجتمع الحديث التمايز والاختلاف على أساس الموقع السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي، حيث يصبح رجال الأعمال مهما اختلفت مذاهبهم ومشاربهم فريقاً واحداً تجمعهم مصالح مشتركة. (فوزي، ٢٠٠٧، ٧١)

إن عدم التزام الدولة بواجباتها في تأمين احتياجات الفرد، وعدم قدرة الفرد على ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الدستور؛ كحرية التعبير، والانتخاب، وحصر مبدأ المواطنة لدى شريحة معينة؛ يعني هشاشة مبدأ المواطنة في هذا المجتمع، وهذا ما تعانيه معظم الدول العربية.

يعدّ فشل الدولة في إشباع الحاجات الأساسية لمواطنيها من التحديات التي تواجهها المواطنة، ومن مظاهر هذا الفشل عدم حصول المواطن على حقوقه المختلفة، وعدم تأمين سلامة وحماية الضرورات للإنسان ، فضلاً عن توفير الخدمات العامة للجميع بدون استثناء، وحصر الولاء والمواطنة على أساس عشائري أو قبلي أو طائفي أو عرقي أو طبقي، وهذا يعني أن المواطنة في حالة أزمة. (لية، ٢٠٠٧، ١٠٦)

عندما يفقد الإنسان صفة المواطنة داخل وطنه يدفعه شعور بالعودة إلى المرجعيات التقليدية؛ كدور العبادة، ورجال الدين، والأسرة التي تعطيه قدراً من الثقة والحماية لا يجدها في مؤسسات الدولة، وهذا بدوره يعزز فكرة الأصولية التي لا تعترف بحدود دولة أو جنسية بلد، فهي تعتبر كل البلدان من حقها وأن تقيم حكم الله على الأرض – كما يوهم لها – لذلك تجد في صفوف التيار الأصولي مجندين من كل دول العالم، فالتحدي الأكبر التي تواجه البلدان العربية والإسلامية هي مجابهة هذا الفكر المتطرف، والعمل على إعادة الثقة بمؤسسات الدولة.

يقول فوزي: إن أحد أهم التحديات التي تعترض سبيل المواطنة هو شيوع ما يمكن أن نطلق عليه الأممية الدينية التي تتخطى حدود الوطن ذاته، وتربط الإنسان بوشائج وروابط كونية إن صح التعبير. (فوزي، ٢٠٠٧، ٧٣)

كما تقوم الأسرة بدورٍ مكملٍ لدور مؤسسات الدولة في تغييب فكرة المواطنة، فشريحة كبيرة من الآباء يعانون من الأمية والتخلف في المجتمع العربي، كما أن مرجعيتهم تعود للعشيرة ورجال الدين؛ لذلك فعظم المعلومات التي يحصل عليها الطفل لا تتوافق مع معلومات المدرسة ووسائل الإعلام؛ لذلك نجد تناقضاً بين التربية الأسرية والتربية المدرسية، فتنتج شخصية ازدواجية غالباً تساير مسألة الولاءات والمحسوبية القبلية والطائفية التي تقف عقبة في وجه مبدأ المواطنة.

فقد ربط / كونفوشيوس / بين التربية الأسرية والمواطنة الصالحة؛ حيث أرجع فساد الحكم إلى غياب المواطنة الصالحة نظراً لاختلال الأسرة وعجزها عن تلقين الأبناء معاني الفضيلة، والحب المتبادل، والخير العام. (الشماس، ٢٠٠٨، ٦٤)

يرتبط الشعور بالانتماء إلى الوطن بالتكامل الاجتماعي؛ يعني ذلك إذا شعر الأفراد – المختلفون في الدين والمذهب والثقافة والخلفية الاجتماعية والارتباط السياسي – بالانتماء للوطن ؛ فإن ذلك يؤدي – تلقائياً – إلى اندماج وانصهار كل المواطنين معاً في كيان سياسي واحد دون تفرقة بينهم . أما إذا غاب أو ضعف الشعور بالانتماء إلى الوطن؛ فإن ذلك ينعكس سلباً على التكامل الاجتماعي. في هذه الحالة يشعر الأفراد بأن الوطن لم يعد لهم، والهوية الوطنية لم تعد تستوعبهم، فيتجهون مباشرة إلى ما نطلق عليه الولاء الأضيق؛ أي: الاحتماء بالقبيلة، والعشيرة، والجماعة الدينية، والمسجد ، والكنيسة . يصبح الانتماء إلى الجماعة الإسلامية يسمو على الانتماء للوطن بالنسبة للمسلم، وتتحول الكنيسة إلى عالم مصغر يعيش فيه المسيحي ، يتعلق به ، وينتمي إليه على حساب الانتماء الوطني الشامل. (فوزي، ٢٠٠٧، ١٨ – ١٩)

إن فشل مؤسسات الدولة في توفير الحماية للمواطن وعدم قدرتها على تعزيز مبدأ المواطنة تدفع بالمواطن إلى العودة لمرجعيته التقليدية؛ كالأسرة، والقبيلة، ورجال الدين، والمشكلة لا تقف عند هذا الحد فعودة الفرد إلى المؤسسات التقليدية، وعدم ثقته بالمؤسسات الحديثة تدفعه نحو التفكير اللاعقلاني في كثير من الأحيان .

٣– العلاقة الجدلية بين مبدأ المواطنة والعقلانية العلمية :

يساهم التفكير العلمي مساهمةً كبيرةً في ترسخ مفهوم المواطنة، وبدوره مبدأ المواطنة يزيد في تعميق التفكير العلمي لدى أبناء المجتمع؛ أي هناك علاقة جدلية بين طرفي مبدأ المواطنة والتفكير العلمي . حيث نشأت فكرة المواطنة لدى العديد من المجتمعات نتيجة فعل عقلاني سياسي بين الحكماء، كما في حضارات روما وبابل والإغريق وغيرها، وإن لم تكن مشابهة تماماً لمفهوم المواطنة الحالي؛ فقد كانت خطوة على الطريق الصحيح، كما أن تعميمها كانت نتيجة عقد اجتماعي بين الناس.

رأى المفكرون الإغريق أن علم الأخلاق والسياسة نشأ من الفعل العقلاني للرجال المتنورين الذين نشدوا حياة مستقلة خلقياً وتقديراً عاماً. لم تكن تلك الفضيلة حقيقة من حقائق الوحي، كما أن المتطلبات الخارجية لم تضع معياراً للاعتقاد والسلوك الإنسانيين. فالناس كانوا قادرين على تنظيم المجتمع المدني وفق المبادئ الأخلاقية التي أرسوها لأنفسهم . وكان فهم أرسطو أن المواطنة تعني التشاور المتعقل، والتشريع الحصيف، والطاعة الطوعية. (إهرنبرغ، ٢٠٠٨، ٧٤)

فهناك علاقة جدلية بين مفهومي المواطنة والوعي، فكلاهما يؤثر في بعضهما، وذلك من خلال العقل النقدي البناء الذي يشكل جوهر الوعي، والذي بدوره يكرس فكرة المواطنة التي تقوم على المساواة في الحقوق والواجبات، وهناك أمثلة عديدة من الدول التي تعاني من ضعف مبدأ المواطنة نتيجة غياب الوعي والعقلانية العلمية في حين تقوى في مجتمعات يزداد فيها الإيمان بالعلم.

والحال أن سياق المواطنة، ومحاولة الدولة عبر الإيديولوجيا الدولانية التحديثية والمجانسة القانونية والتربوية، كانت موضع التحديث الأساسي. ولما كانت مكملاته العقلية والثقافية

علمانية في المصاف الأول؛ كانت العلمانية ومازالت موضع وعي التحول والترقي، وتالياً موضع إمكان إعادة إنتاجه: فالعلمانية المكمل الأساسي لمحاولة بناء الوطن على أساس يموضع المواطنة في مركز الصدارة، وقد أتى ذلك حكماً على حساب الولاءات الطائفية والعشائرية التي ضمنتها النظم القانونية المتقادمة، وفي سبيل حشد الطاقات الاجتماعية والسياسية والعقلية اتجاه بناء الوطن المتقدم على حساب مجتمع الطوائف الأهلية والدينية والحرفيّة والاجتماعية. إن العلمانية ليست خياراً إيديولوجياً بقدر ما هي واقع تاريخي موضوعي وعالمي في آنٍ.(المسيري، وعظمة، ٢٠٠٠، ١٦٧- ١٦٨)

تحتاج ممارسة المواطنة بشتى صورها إلى الوعي ، المواطنة القانونية؛ أي: المساواة في الحقوق والواجبات تحتاج إلى إلمام بالحقوق المكفولة للمواطن. والمواطنة السياسية؛ أي: المشاركة في الشأن العام. تتطلب معرفة بالخريطة السياسية للأحزاب، والجماعات السياسية، والقضايا المتداولة، والمواطنة الاجتماعية؛ أي: السعي للحصول عل الخدمات الاجتماعية تستدعي معرفتها أولاً ثم السعي إلى المطالبة بها. إذن يشكل الوعي البنية الأساسية للمواطنة الذي بدونه يظل المواطن متفرجاً حتى لو كان شغوفاً بالمشاركة. ويحتاج الوعي إلى عقل نقدي يستقي المعلومة، يحللها، ويصنفها، ويمارس النقد عليها. (فوزي، ٢٠٠٧، ٦٩- ٧٠)

يشكل الوعي البنية الأساسية للمواطنة الذي بدونه تظل المواطنة غير مؤثرة، فالوعي الناضج يمكّن المواطن من الوصول إلى المعلومة، وتحليلها، وتصنيفها، وممارسة نقدها، للتأكد من دقتها قبل اتخاذها أساساً لتكوين الرأي أو السلوك لديه . فمثلا أهمية وجود الوعي المناسب لدى الشباب حيال خطر أحاسيس ، أو مشاعر المغالاة والغلو في الدين أو في السلوك الاجتماعي والاقتصادي والثقافي برمته ، وعلى مسلك الوسطية التي تمثل سمة تميز الجميع في شؤون حياتهم. (الخطيب، ٢٠٠٦، ١٤٤-١٤٥)

بغياب مبدأ المواطنة يعود الفرد من الولاء الوطني إلى الولاء الأضيق المتمثل بالقبيلة والجماعة الدينية، وهذا بدوره يعزز الأفكار اللاعقلانية في المجتمع، وتفعيل التفكير الغيبي والأسطوري المتمثل بأن كل فئة تمتلك الحقيقة المطلقة ولها الحق في كل شيء والتي من الممكن أن تحدث صراعات وأزمات في المجتمع .

تتجه العلاقة بين المجتمع المدني والعقلانية نحو علاقة جدلية تؤثر كل منهما بالآخر، تلك العلاقة التي أفرزت مواطناً متحرراً من سلطة رجال الدين التي كانت تكبل العقل البشري، وتجعله مقتنعاً بعبوديته لأفراد آخرين مثله، وتنزع عن الفرد صفة المواطنة، والتي هي بدورها تعيق بناء المجتمع المدني. فالمواطن الذي لديه معرفة بكل الحقوق والواجبات المترتبة عليه، ولديه معرفة بالآخر المخالف له في المجتمع من الجنس الآخر إلى الدين إلى العرق الآخر سيكون له دورٌ إيجابيٌّ في تكريس مبدأ المواطنة؛ لأن الوعي والمعرفة التي يمتلكها الإنسان تبعده عن رفض الآخر المخالف وهذا ما يؤكده القانون النفسي، بأن الاتجاهات السلبية نحو فئة معينة غالباً ما تعود إلى قلة المعلومات والمعرفة التي يمتلكها الإنسان حول هذه الفئة؛ لذلك نادراً ما نجد في المجتمعات المتقدمة حالات رفض الآخر مقارنة بالمجتمعات المتخلفة، وهذا له علاقة كبيرة بمسألة المحسوبيات، والولاءات، والنعرات التي تحدث في المجتمعات المتخلفة حتى ضمن المؤسسات القانونية، وهذا ما يؤثر سلباً على مبدأ المواطنة ويفقده معناه.

الباب الثاني: الإطار الميداني

الفصل الأول: الإجراءات المنهجية المتعلقة بجمع وتحليل معطيات البحث

أولاً: منهج البحث:

يعد هذا البحث من الأبحاث الوصفية التحليلية والتي تعتمَّد على المنهج الوصفي التحليلي "والذي يهدف كخطوة أولى إلى جمع بيانات كافية ودقيقة عن الظاهرة، وتحليل ما تمَّ جمعه من بيانات بطريقة موضوعية كخطوة ثانية، تؤدي إلى تعرف العوامل المكونة والمؤثرة على الظاهرة كخطوة ثالثة. يضاف إلى أنه يعتمَّد لتنفيذه على مختلف طرق جمع البيانات، ومراحله تتلخص بمرحلتين أساسيتين: الأولى يطلق عليها مرحلة الاستطلاع، والثَّانية مرحلة الوصف الموضوعي". (عبيدات، ١٩٩٩، ٤٦-٤٧).

ويعتمَّد البحث الحالي على المنهج الوصفي التحليلي، لمعرفة دور العوامل الاجتماعية المتمَّثلة بالتَّفكير الدِّيني، السحر، العادات والتَّقاليد(كالثَّأر والنّسب والنَّظرة التقليدية للمرأة) ،التَّمسُّك بالتُّراث ، وغياب مبدأ المواطنة في إعاقة التَّفكير العقلاني العلمي كما يستند هذا المنهج إلى سلسلة إجراءات منهجية تهدف إلى جمع المعطيات الواقعية عن موضوع البحث.

ثانياً: متغيرات البحث:

أ- المتغيرات المستقلَّة:

التَّفكير الدِّيني، الاعتقاد بالسحر، العادات والتَّقاليد (عادة الثَّأر- النّسب)، النَّظرة للمرأة، التُّراث، إدراك المواطنة، الجنس، الإقامة، التَّخصص.

ب- المتغير التَّابع: التَّفكير العقلاني العلمي:

ثالثاً: فرضيات البحث:

الفرضيات الرَّئيسية:

الفرضيَّة الأولى: هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة (0.05) بين المعوقات الاجتماعية ومتغيرات الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

الفرضيَّة الثَّانية: هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة (0.05) بين التَّفكير العقلاني العلمي ومتغيرات الجنس والإقامة والكلِّيَّة.

الفرضيَّة الثَّالثة: هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة (0.05) بين المعوقات الاجتماعية والتَّفكير العقلاني العلمي.

ويتفرع عنها الفرضيات الفرعية الآتية:

١- هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين التَّفكير الدِّيني و التَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

٢- هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05)بين الاعتقاد بالسِّحر والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

٣- هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) والتَّفكير العقلاني العلمي.

٤- هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي.

٥- هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي.

٦- هناك علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين وعي الطَّالب بالمواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي.

رابعاً: التَّعريفات الإجرائية:

- الطَّالب الجامعي: هو كلُّ طالبٍ سوريٍّ مقيمٍ (ذكر- أنثى) مسجلٍ في إحدى كليات جامعة دمشق – ضمن القبول العام أو الموازي- للعام الدِّراسي2014 - 2015.

- العادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب): وهي الدَّرجة التي يتمَّسك بها الطَّالب الجامعي حسب المقياس المعد بالحفاظ على ظاهرة الثَّأر والنّسب ومكانة المرأة التَّقليدية في المجتمع.
- الاعتقاد بالسِّحر: هو اعتقاد الطَّالب بطقوسٍ وأساليبَ حركيةٍ تقع خارج نطاق سيطرة الإنسان العادي.
- التَّفكير الدِّيني: وهو قناعات وآراء الطَّالب الجامعي حول القضايا المرتبطة بالإنسان والمجتمع والكون منطلقاً من الكتب الدِّينية والأحاديث المرتبطة بالأنبياء متخذاً منهجاً للتَّفسير.
- الوعي بمبدأ المواطنة: وهو إدراك الطَّالب لضرورة مبدأ المواطنة (الولاء والانتمَّاء لمؤسسات الدَّولة) على مستوى الفكر وعلى مستوى الواقع المعاش.
- التَّفكير العقلاني العلمي: هو قناعات وآراء الطَّالب حول القضايا المرتبطة بالإنسان والمجتمع والكون متخذاً من المنهج العلمي الأساس في التَّفسير.
- التُّراث: هو تمَّسك الطَّالب بالتُّراث العربي الإسلامي، واعتباره منهجاً يصلح لجميع الأزمنة والأمكنة.
- النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة في المجتمع: هو قناعات وآراء الطَّالب الجامعي بالحفاظ على دور المرأة في المجتمع منطلقاً من عادات وتقاليد المجتمع.

خامساً: مجالات البحث:

تمَّ تحديد المجتمع الأصلي للدِّراسة بالاستناد إلى النُّقاط التَّالية:

أ- الاقتصار على الطُّلاب الجامعيِّين المسجلين في كليات جامعة دمشق للعام الدِّراسي2014 - 2013 ضمن القبول العام والموازي فقط.

ب- استبعاد جميع الكلِّيَّات التَّابعة لمحافظة درعا، والسويداء؛ بهدف تحديد المجال المكاني للدِّراسة؛ تجنباً لازدياد التَّشتت.

ت- استبعاد الطُّلاب المسجلين في المعاهد المتوسطة، ومرحلة الدُّبلوم، والدِّراسات العليا؛ بسبب قصر العيِّنة على كليات جامعة دمشق

(المرحلة الجامعية الأولى) فقط؛ وذلك لعدم تناسب عدد سنوات الدِّراسة مع المرحلة الجامعية.

ث- وبذلك تشكل كليات جامعة دمشق المجال المكاني(المزة- البرامكة)، ويشكل طلبة هذه الكلِّيَّات مجالها البشري.

ج- حيث تمَّ إنجاز البحث خلال عام 2015- 2014 وهذا يمثل المجال الزَّماني.

سادساً: مجتمع البحث الأصلي، والخصائص الضَّابطة لعينته:

أ- مجتمع البحث: تشكل جامعة دمشق مجتمع الدِّراسة الأصلي ومجالها المكاني، ويشكل طلبة كليات جامعة دمشق مجالها البشري، وذلك في العام الدِّراسي 2014 - 2015، ولقد تمَّ اختيار جامعة دمشق كمجتمع أصليٍّ للعينة لأسبابٍ عديدةٍ منها: أنَّها هي الأقدم من حيث النَّشأة والتَّأسيس، وهي الأكبر من حيث عدد الطُّلاب المسجلين فيها وعدد الكلِّيَّات الموجودة ضمنها، وهي من أكثر المناطق أمناً وقرباً لعمل الباحث، إضافةً إلى أنَّها توجد في العاصمة دمشق الأمر الذي سيؤدي إلى تنوعٍ في مجتمع الدِّراسة واختلاف أشكال التَّفكير، وهذا يعطي قدرةً كبيرةً على تفسير نتائج الدِّراسة، وهذا ما سنلاحظه في نتائج الدِّراسة الميدانية؛ وقد بلغ حجم المجتمع الأصلي بعد اتباع الخطوات المنهجية للعينة المتعددة المراحل(45134) طالب وطالبة. وقد شكل الطَّالب المداوم وحدة العيِّنة، أما فيما يخص وحدة التَّحليل الإحصائية هي الطَّالب.

ب- العيِّنة: أمَّا حجم العيِّنة؛ فقد بلغ 1% من حجم المجتمع الأصلي؛ وذلك لأسبابٍ تتعلق بالوقت والتَّكلفة. وقد بلغ حجم العيِّنة (455) مفردة؛ حيث إنَّ وحدة العيِّنة (المفردة) في هذه الدِّراسة هي الطَّالب الجامعي (ذكر- أنثى) المسجل في إحدى كليات جامعة دمشق – ضمن القبول العام أو الموازي- للعام الدِّراسي 2015 – 2014 م. وقد كانت عينة الدِّراسة عينةً عشوائيةً متعددة المراحل؛ حيث تمَّ تقسيم طلبة جامعة دمشق كمجتمع أصليٍّ للدِّراسة إلى تسعة أجزاء(الآداب والعلوم الإنسانية، الطِّب، الإعلام، التَّربية، الحقوق، الهندسة، العلوم، العلوم السِّياسية، الاقتصاد)، ثمَّتمَّ اختيار عينةٍ عشوائيةٍ ضمَّت تسع كلياتٍ تمثِّل كلُّ كلِّيَّة جزءاً من الأجزاء التِّسعة السَّابقة، وقد شملت هذه العيِّنة طلاب(كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية – كلِّيَّة طب

الأسنان- كلِّيَّة الإعلام –كلِّيَّة التَّربية- كلِّيَّة الحقوق-كلِّيَّة الهندسة المعلوماتية- كلِّيَّة العلوم- كلِّيَّة العلوم السِّياسية - كلِّيَّة الاقتصاد)، وبعد ذلك تمَّ اختيار عينةٍ عشوائيةٍ احتوت على طلبة تسعة أقسام يمثل كل منها طلبة كلِّيَّة من الكلِّيَّات التِّسع، وهذه الأقسام حسب التَّرتيب السَّابق: طلاب(أدب إنكليزي، طب أسنان، الإعلام، إرشاد نفسي، الحقوق، هندسة معلوماتية، الفيزياء، العلوم السِّياسية، الاقتصاد).

وبعدها تمَّ تقسيم الأقسام الجامعية التِّسعة إلى تطبيقي ونظري، وقد تمَّ تحديد عدد المفردات الواجب سحبها من كلِّ طبقةٍ بما يتناسب مع حجم هذه الطبقة بالنّسبة للمجتمع الأصلي؛ بحيث تمَّ سحب العيِّنة كعينةٍ طبقيةٍ متناسبةٍ؛ بحيث يؤخذ عددٌ من كلِّ طبقةٍ يتناسب مع حجم المجتمع الأصلي.

الجدول رقم (1) يبين خطوات توزع عينة البحث من الأجزاء المختارة من المجتمع الأصلي

طلبة جامعة دمشق								
الآداب والعلوم الإنسانية	**الطِّب**	**الإعلام**	**التَّربية**	**الحقوق**	**الهندسة**	**العلوم**	**العلوم السِّياسية**	**الاقتصاد**
طلبة كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية	**طلبة كلِّيَّة طب الأسنان**	**طلبة كلِّيَّة الإعلام**	**طلبة كلِّيَّة التَّربية**	**طلبة كلِّيَّة الحقوق**	**طلبة كلِّيَّة هندسة المعلوما تية**	**طلبة كلِّيَّة العلوم**	**العلوم السِّياسية**	**الاقتصاد**
طلبة الأدب الإنكليزي	**طلبة كلِّيَّة طب الأسنان**	**طلبة كلِّيَّة الإعلام**	**طلبة الإرشاد النَّفسي**	**طلبة كلِّيَّة الحقوق**	**طلبة كلِّيَّة هندسة المعلوما تية**	**طلبة الفيزياء**	**العلوم السِّياسية**	**الاقتصاد**

جدول (2) توزيع أفراد العيِّنة حسب الكلِّيَّات وفق نسبتهم من مجموع طلاب جامعة دمشق

طلبة كليات جامعة دمشق المسجلين في السنة الأولى (تعليم عام / تعليم موازي) للعام الدِّراسي ٢٠١٣ – ٢٠١٤			
الاختصاص	القسم	توزع الطُّلاب في المجتمع الأصلي	توزع الطُّلاب في العيِّنة
تطبيقية	طلبة طب الأسنان	2578	27
	طلبة هندسة المعلوماتية	1886	21
	طلبة الفيزياء	2354	24
	طلبة الاقتصاد	9095	92
	المجموع	**15913**	**164**
نظرية	طلبة الأدب الإنكليزي	10602	106
	طلبة الإعلام	1260	13
	طلبة الحقوق	13622	135
	طلبة العلوم السِّياسية	2325	23
	طلبة الإرشاد النفسي	1412	14
	المجموع	**29221**	**291**
المجموع الكلي		45134	455

استناداً إلى التَّحديد السَّابق بلغ حجم المجتمع الأصلي للدِّراسة (45134)طالباً وطالبةً من التَّعليم العام والموازي، المسجلين في كليات جامعة دمشق للعام الدِّراسي 2013 - 2014 م.

أ- إنَّ حجم العيِّنة المطلوب اعتمَّاداً على هامش الخطأ المسموح به.

جدول (3) يبين حجم الخطأ المسموح بالنّسبة لحجم المجتمع الأصلي

حجم المجتمع الكلي	هامش الخطأ المسموح به (Margin of error)			
	5%)	%3	2 %	1 %
100000	383	1056	2345	8762
1000000	384	1066	2395	9513

(**Saunders, Mark,lewis, Philip,& Thornhill,2007,p.212.**)

سابعاً: تصميم الاستمَّارة :

على الرّغم من وجود العديد من المقاييس النَّفسية التي تهتمَّ بالتَّفكير العقلاني واللَّاعقلاني إلَّا أنَّ الباحث لم يستطع الاستفادة منها في البحث الحالي؛ وذلك لأنَّها تعمل على حلِّ مشكلةٍ نفسيةٍ من خلال تناولها متغيراً نفسياً وعلاجها عبر تصميمات تجريبية؛ لذلك أعدَّ الباحث مقياسين يحاول من خلالهما تحقيق أهداف الدِّراسة؛ الأوَّل: مقياس المعوقات الاجتماعية، والثَّاني: مقياس التَّفكير العقلاني العلمي.

تتضمن استمَّارة البحث ثلاثة أقسام :

أ- القسم الأوَّل: بياناتٌ شخصيةٌ عن الطَّالب الجامعي.

ب- القسم الثَّاني: المعوقات الاجتماعية للتَّفكير العقلاني.

ت- القسم الثَّالث: التَّفكير العقلاني العلمي.

فقد ضمت الاستمَّارة 77 عبارةً؛ وذلك لضمان اشتمَّالها على جميع جوانب الموضوع، وعدم إغفال أيِّ جزئيةٍ منه، وقد راعى الباحث في صياغة عبارات المقياس في صورته الأوَّلية سهولة العبارات، ومناسبتها لعينة الدِّراسة الحالية، وأن تعبِّر عن جميع جوانب الموضوع، ولا تحتوي على عباراتٍ جازمةٍ.

مقياس المعوقات الاجتماعية للتَّفكير العقلاني:

- يتكون من ٥٧ عبارةً موزعةً على ستة أبعادٍ هي:

١- التَّفكير الدِّيني : ويتكون من(10)عبارات: (1-2-3-4-5-6-7-8-9- 10)

٢- الاعتقاد بالسِّحر: ويتكون من (8) عبارات: (11- 12-13-14-15- 16-17-18)

٣- التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثأر – النسب):ويتكون من (5)عبارات(19- 20-21-22-23-)

٤- النَّظرة لمكانة المرأة:

ويتكون من (10) عبارات(25-26-27- 30-31-32-3324- 28-29-)

٥- التُّراث: ويتكون من (7) عبارات(34-35-36-37-38-39-40)

٦- الوعي بمبدأ المواطنة: ويتكون من (17) عبارة وهي:

(41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53- 54-56-57-58)

وصف مقياس التَّفكير العقلاني العلمي: يتكون من (20) عبارة وهي:

(59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70- 71-72-73-74-75-76-77)

طريقة تصحيح مقياس التَّفكير العقلاني:

أ- لكلِّ عبارةٍ من عبارات المقياس خمسة بدائل وهي: (موافق بشدة– موافق– حيادي– غير موافق– غير موافق بشدة)، وتأخذ هذه العبارات الدَّرجات التَّالية على التَّوالي(5 - 4- 3 - 2 - 1) وذلك في حال كانت العبارات إيجابيةً، وتقلب الدَّرجات في حال كانت العبارات سلبيةً فتصبح (1 - 2 – -34- 5)على التَّوالي. وتتراوح درجات المقياس بين (77 - 385)؛ حيث كلما ارتفعت الدَّرجة؛ دلَّ ذلك على وجود تفكير عقلاني علمي، وكلما انخفضت الدَّرجة؛ دلَّ ذلك على عدم وجود تفكير عقلاني علمي.

ب- وبالنِّسبة لاتِّجاه العبارات فإنَّ جميع العبارات إيجابيةٌ ما عدا رقم: (26- 27- 43- 45- 46- 47- 48- 53- 54- 55- 56- 24- 5825) فهي سلبيةٌ، وتحتاج لقلب الدَّرجات عند المعالجة الإحصائية.

الصِّدق وثبات المقياس:

أولاً: الصِّدق الظَّاهري:

عُرِض المقياس في صورته الأوَّلية على بعض الأساتذة المحكمين المتخصصين في مجال علم الاجتمَّاع للإدلاء بآرائهم حول صياغة العبارات، واتجاهها، ومدى مناسبتها للمحور الذي تقيسه، ومدى مناسبته للمفحوصين الذين سيطبق عليهم المقياس، وحذف غير المناسب، وكان من نتيجة التَّحكيم حذف العبارات العامة والمكررة، وتصحيح بعض العبارات؛ فتمَّ حذف العبارة (٩) (أؤيد رجال الدِّين في الكثير من آرائهم)؛ بحكم أنَّه سؤالٌ عام. وحذف السُّؤال (٢٦) (يجب قتل كلِّ فتاةٍ تمَّارس الجنس بطريقةٍ غير شرعيةٍ)؛ لأنَّه اعتُبِر سؤالاً صارخاً. وحذف السُّؤال(٣٨) (يمكن الاستغناء عن أفكار العلوم الحديثة، والاعتمَّاد على كتب التُّراث العربي)؛ بحكم أنَّه سؤالٌ مكررٌ بصيغةٍ

أخرى. وحذف السُّؤال (٦٢) (أواجه المشكلات التي تعترضني بطريقةٍ علميةٍ)؛ لأنَّه سؤال عام. أمَّا السُّؤال (٦٥) (الظَّواهر الطَّبيعية كالزَّلازل والبراكين تخضع لقوانين علمية لا علاقة لها بالدِّين)؛تمَّ تعديله إلى: (الظَّواهر الطَّبيعية كالزَّلازل والبراكين تخضع لقوانين علمية)؛ لأنَّه اعتُبِر سؤالاً إيحائياً. انظر ملحق رقم (١)

ثانياً :صدق أداة البحث: للتَّأكد من صدق أداة البحث، فقد تمَّ تطبيق المقياس على عينة استطلاعية عددها (46) طالباً وطالبةً من كليات جامعة دمشق المجتمع الأصلي للبحث الحالي.

أ- الصِّدق العاملي:

تمَّ استخدام اختبار التَّحليل العاملي لمعرفة مدى صدق المقياس؛ أي: هل يقيس ما وضع لأجله. من الاختبار نجد أنَّ هذا المحور ينقسم داخلياً إلى عاملين وفقاً لاختبار التحليل العاملي (وتمَّ تحميل جميع العبارات على هذين العاملين)

في حال كانت قيمة التَّباين المشترك أقل من 0.30 % يفضل استبعاد العبارة من المحور. وبعد إجراء التَّشبعات؛ أي: تدوير العوامل، وتقريب العبارات، وتحميلها على العوامل سيتمَّ حذف العبارة اليتيمة؛ أي: العبارة الواحدة التي تُحمَل على عاملٍ واحدٍ فقط.

نسبة التَّفسير: مدى مساهمة العامل في تفسير التَّغير الكلي في المقياس

الجذر الكامن: إذا لم يبلغ الجذر الكامن لعامل ما مقداره (١) لا يفرد له عاملٌ مستقلٌّ، وتُحمَل العبارات عليه.

١-صدق المحور الأوَّل (التَّفكير الدِّيني):

جدول (4)يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور التَّفكير الدِّيني .

	العبارات	قيم التَّباين المشترك	العامل الأوَّل	العامل الثَّاني
١-	**أرى بأن الدِّين منظومة متكاملة عن الإنسان والحياة والمجتمع.**	0.63	**0.79**	-0.12
٢-	**الدِّين هو الحل لكل مشكلاتنا.**	0.61	**0.77**	0.15
٣-	**معتقداتي الدِّينية في الواقع معياري في الحكم على الأمور.**	0.53	**0.70**	0.22
٤-	**أؤمن بالقضاء والقدر.**	0.48	**0.69**	-0.03
٥-	**أرى في الكتاب (القرآن، الإنجيل) علاجاً للكثير من الأمراض الجسدية.**	0.54	**0.57**	0.46
٦-	**أؤمن بعالم الملائكة والجن.**	0.31	**0.55**	-0.13
٧-	**يحتاج مجتمعنا إلى علماء الدِّين أكثر من حاجته إلى علماء الطَّبيعة.**	0.38	**0.50**	0.36
٨-	**إنَّ رجلاً عابداً في صومعته خيرٌ من عالمٍ في مخبره.**	0.67	0.00	**0.82**
٩-	**تحصل البركة بزيارة قبور الأوَّلياء.**	0.56	-0.16	**0.73**
١٠-	**الكثير من الإنجازات العلمية تعود للكتاب (القرآن ، الإنجيل).**	0.49	0.46	**0.53**
	نسبة التَّفسير		32.851	19.314
	الجذر الكامن		3.285	1.931

يتَّضح من الجدول (4) أنَّ كلَّ تشبعٍ بلغت قيمته أكبر من 0.30% . وبلغ الجذر الكامن لكلِّ عاملٍ أكبر من (1)على المقياس. وكذلك قيم التَّباين المشترك أكبر من 0.30%، وبالتَّالي تُعد جميعها قيماً مقبولةً.

٢- صدق المحور الثَّاني (الاعتقاد بالسِّحر):

جدول (5) يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور الاعتقاد بالسِّحر

العبارات		قيم التَّباين المشترك	العامل الأوَّل	العامل الثَّاني
١١-	يمكن للعرافين التَّنبؤ الصحيح ببعض الأحداث.	0.65	0.80	0.10
١٢-	يمكن أن ألجأ للعرافين عند تعرضي لبعض المصائب.	0.59	0.77	0.06
١٣-	يمكن لقراءة الطَّالع أن تكشف بعض الأمور المستقبلية.	0.58	0.71	0.27
١٤-	بعض الحجب تحمي من الإصابة بالعين الحاسدة.	0.45	0.59	0.31
١٥-	يستطيع بعض رجال الدِّين استحضار الأرواح والتَّواصل معهم.	0.37	0.48	0.38
١٦-	نجح رجال الدِّين في علاج بعض الأمراض المستعصية على الطِّب الحديث.	0.66	-0.3	**0.81**
١٧-	يستطيع العراف أن يؤذي أيَّ شخصٍ يريد.	0.57	0.30	**0.69**
١٨-	يمكن إيقاع رجلٍ وامرأةٍ في الحب بتأثير السِّحر.	0.57	0.34	**0.68**
نسبة التَّفسير			31.619	24.059
الجذر الكامن			2.530	1.925

يتَّضح من الجدول (5) أنَّ كلَّ تشبعٍ بلغت قيمته أكبر من 0.30% . وبلغ الجذر الكامن لكل عاملٍ أكبر من (1)على المقياس. وكذلك قيم التَّباين المشترك أكبر من 0.30%، وبالتَّالي تُعد جميعها قيماً مقبولةً.

٣- صدق المحور الثَّالث (التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد):

جدول (6) يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور العادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) .

	العبارات	قيم التَّباين المشترك	العامل الأوَّل	العامل الثَّاني
١٩-	**يجب الحفاظ على عادات وتقاليد مجتمعنا.**	0.68	**0.82**	0.01
٢٠-	**يجب الخضوع لرأي الكبار في العائلة.**	0.68	**0.80**	0.18
٢١-	**شخص يثأر لأخيه بقتل أخو الجاني.**	0.31	**0.56**	0.04
٢٢-	**من حق الذي ينتمَّي إلى عائلةٍ ذات نسبٍ أن يكون له مكانةٌ مرموقةٌ في المجتمع.**	0.74	-0.04	**0.86**
٢٣-	**نسب العائلة يهمني في اختيار الشَّريك.**	0.66	0.21	**0.78**
	نسبة التَّفسير		33.650	27.736
	الجذر الكامن		1.683	1.387

يتَّضح من الجدول (6) أنَّ كلَّ تشبعٍ بلغت قيمته أكبر من 0.30% . وبلغ الجذر الكامن لكلِّ عاملٍ أكبر من (1)على المقياس. وكذلك قيم التَّباين المشترك أكبر من 0.30%، وبالتَّالي تُعد جميعها قيماً مقبولةً.

٤- صدق المحور الرَّابع (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة):

جدول (7) يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة .

العبارات		قيم التَّباين المشترك	العامل الأوَّل	العامل الثَّاني	العامل الثَّالث
٢٤-	**تستطيع المرأة قيادة أعلى المناصب في الدَّولة.**	0.70	**0.79**	0.24	0.15
٢٥-	**بالإمكان أن نساوي بين الرَّجل والمرأة في الحقوق والواجبات.**	0.60	**0.76**	0.07	-0.17
٢٦-	**يجب أن تكون فرص التَّعليم والعمل للمرأة متساوية مع الرَّجل.**	0.66	**0.72**	0.37	0.07
٢٧-	**من حق الفتاة أن تختار الشَّخص الذي تريده حتَّى وإن عارض الأهل.**	0.46	**0.60**	-0.10	0.29
٢٨-	**من المعيب أن يستشير الرَّجل المرأة.**	0.62	0.03	**0.79**	-0.05
٢٩-	**يكفي تعليم الفتاة لمرحلة الإعدادي.**	0.54	0.17	**0.71**	0.09
٣٠-	**لا أرسل ابنتي بعثة خارج القطر.**	0.59	0.17	**0.68**	0.32
٣١-	**يجب على المرأة أخذ موافقة أهلها في كل الأمور الهامة في حياتها.**	0.61	-0.06	-0.01	**0.78**
٣٢-	**على المرأة أن تسمع كلام زوجها.**	0.47	0.10	0.06	**0.68**
٣٣-	**أرى أن تلتزم المرأة المتزوجة بأعمال المنزل ورعايتها لأطفالها.**	0.49	0.15	0.21	**0.65**
نسبة التَّفسير			21.682	18.422	17.334
الجذر الكامن			2.168	1.842	1.733

يتَّضح من الجدول (7) أنَّ كلَّ تشبعٍ بلغت قيمته أكبر من 0.30% . وبلغ الجذر الكامن لكلِّ عاملٍ أكبر من (1) على المقياس. وكذلك قيم التَّباين المشترك أكبر من 0.30%، وبالتَّالي تُعد جميعها قيماً مقبولةً.

٥- صدق المحور الخامس(درجة التَّمسُّك بالتُّراث):

جدول (8) يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور التَّمسُّك بالتُّراث.

	العبارات	قيم التَّباين المشترك	العامل الأوَّل	العامل الثَّاني	العامل الثَّالث
٣٤-	كل إنجازات الغرب تعود للحضارة العربية الإسلامية.	0.73	**0.86**	-0.02	0.04
٣٥-	نحن بغنى عن علوم الغرب؛ لأنَّ تراثنا وتاريخنا يفيض بعطاءات العلم.	0.66	**0.74**	0.22	0.24
٣٦-	توجد الحقيقة الكاملة في تراث الآباء والأجداد.	0.48	**0.58**	0.33	-0.18
٣٧-	الأفكار التي تأتي من الغرب تتعارض مع معتقداتنا.	0.75	0.16	**0.85**	-0.05
٣٨-	أرفض الأفكار التي تأتي من الغرب.	0.79	0.13	**0.85**	0.24
٣٩-	الحياة أجمل بدون التّكنولوجيا الحديثة.	0.82	-0.01	0.02	**0.90**
٤٠-	يمكن الاستغناء عن العلوم الحديثة، والاعتمَّاد على إحياء التُّراث العربي الإسلامي.	0.60	0.44	0.40	**0.50**
	نسبة التَّفسير		26.512	25.175	17.343
	الجذر الكامن		1.856	1.762	1.214

يتَّضح من الجدول (8) أنَّ كلَّ تشبعٍ بلغت قيمته أكبر من 0.30% . وبلغ الجذر الكامن لكل عاملٍ أكبر من (1)على المقياس. وكذلك قيم التَّباين المشترك أكبر من 0.30% وبالتَّالي تُعد جميعها قيماً مقبولةً.

٦- صدق المحور السَّادس (درجة الوعي بمبدأ المواطنة)

جدول (9) يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور درجة الوعي بالمواطنة .

العبارات		قيم التَّباين المشترك	العامل الأوَّل	العامل الثَّاني	العامل الثَّالث	العامل الرَّابع
٤١-	توفر العدالة الاجتماعية والمساواة للجميع في بلدي.	0.70	**0.81**	0.17	0.09	0.10
٤٢-	تكافؤ الفرص متاحٌ للجميع في بلدي.	0.70	**0.80**	0.18	0.17	-0.05
٤٣-	تقليد المناصب في الدَّولة متاحٌ للجميع دون استثناء.	0.56	**0.63**	0.36	0.10	0.16
٤٤-	يتمَّتع الفرد بحقوقه في بلدي .	0.68	**0.63**	0.49	0.11	0.17
٤٥-	أثق بمؤسسات الدَّولة.	0.51	**0.50**	0.26	0.12	0.43
٤٦-	إذا تشاجرت مع ابن مسؤول ستكون المحكمة حيادية في الإقرار بالحكم.	0.32	**0.41**	0.03	0.04	0.39
٤٧-	أحرص على التقيد بالأنظمة والقوانين بدافع الرَّقابة الذَّاتية.	0.56	0.15	**-0.71**	0.16	-0.06
٤٨-	القانون في بلدي يحمي المواطن.	0.61	0.39	**0.67**	0.02	0.10
٤٩-	فرص الأحزاب متساوية في تولي المسؤوليات في إدارة الدَّولة.	0.59	0.35	**0.66**	0.15	-0.05
٥٠-	أتقيد بالأنظمة والقوانين؛ لأنَّها تطبق على الجميع على قدم المساواة.	0.57	-0.26	**-0.66**	-0.09	-0.25
٥١-	التَّقديم لوظيفةٍ من أجل العمل يقوم على الكفاءة والخبرة.	0.54	0.37	**0.53**	0.35	010
٥٢-	منظمات المجتمع المدني تقوم بدورٍ كبيرٍ بالضَّغط على الحكومة من أجل المواطن	0.37	0.27	**0.53**	0.14	0.03
٥٣-	أموري تمَّضي بسرعة في الدَّوائر الحكومية عندما يكون أحد أفراد عائلتي مسؤولاً في الدَّولة.	0.70	0.02	0.07	**0.84**	-0.02

٥٤-	انتشار الوساطة والعلاقات الشَّخصية في مؤسسات الدَّولة.	0.63	0.33	0.06	**0.72**	0.04
٥٥-	ليس لدي ولاء لمؤسسات الدَّولة.	0.61	0.14	0.00	-0.20	**0.74**
٥٦-	لا وجود لمنظمات المجتمع المدني في بلدي.	0.26	-0.03	0.12	0.4	**0.49**
٥٧-	ينتشر الفساد الإداري والمحسوبيات في مؤسسات الدَّولة.	0.35	0.27	0.01	0.028	**0.44**
٥٨-	ولاء الموظف لعائلته أكثر من الوطن.	0.50	-0.29	0.38	0.35	**0.39**
نسبة التَّفسير			18.645	16.981	9.606	9.071
الجذر الكامن			3.356	3.056	1.729	1.633

يتَّضح من الجدول (9) أنَّ كلَّ تشبعٍ بلغت قيمته أكبر من 0.30%. وبلغ الجذر الكامن لكلِّ عاملٍ أكبر من (1) على المقياس. وكذلك قيم التَّباين المشترك أكبر من 0.30%، وبالتَّالي تُعد جميعها قيماً مقبولةً باستثناء العبارة (لا وجود لمنظمات المجتمع المدني في بلدي) تمَّ استبعادها؛ لأنَّها أقل من 0.30.

٧- صدق المحور السَّابع (درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي)

جدول (10) يوضِّح معاملات الارتباط بين العبارة والدَّرجة الكلِّيَّة لمحور هذه العبارات

	العبارات	قيم التَّباين المشترك	العامل الأوَّل	العامل الثَّاني	العامل الثَّالث	العامل الرَّابع	العامل الخامس	العامل السَّادس
٥٩-	يمكن الاعتمَّاد على العلوم الحديثة في مجمل الحياة الاجتماعية.	0.66	**0.80**	0.03	0.10	-0.01	-0.04	0.08
٦٠-	العلم قادرٌ على حل مشكلات الإنسان.	0.62	**0.76**	-0.06	0.06	0.05	0.18	-0.05
٦١-	النَّظريات العلمية تصلح لإدارة المجتمع.	0.52	**0.61**	0.17	-0.01	0.32	0.16	0.03
٦٢-	يمكن للقيم العلمية أن تحل محل القيم الموروثة.	0.60	**0.56**	0.20	0.45	-0.19	0.03	-0.01

٦٣-	يجب فصل الدِّين عن السِّياسة.	0.67	0.01	**0.78**	0.11	0.19	0.11	-0.08
٦٤-	أرى بأنَّ العلمانية أفضل النظم السِّياسية.	0.63	0.19	**0.76**	0.03	-0.03	-0.09	0.09
٦٥-	يجب أن يصبح الدِّين مسألةً شخصيةً.	0.59	-0.12	**0.72**	0.11	-0.07	0.05	0.19
٦٦-	حكومة التِّكنوقراط (النّخب العلمية) أفضل من الحكومة الدِّينية.	0.39	0.18	**0.45**	0.17	0.03	0.36	-0.01
٦٧-	أنظر للثَّقافات الأخرى نظرةً موضوعيةً.	0.53	0.00	0.07	**0.68**	0.10	0.16	-0.13
٦٨-	القيم العلمية أفضل من القيم الموروثة.	0.58	0.36	0.27	**0.58**	0.01	-0.20	0.00
٦٩-	لا يمكن قيام حضارة مدنية بدون العلم.	0.59	0.16	0.01	**0.53**	0.08	0.46	0.27
٧٠-	معتقداتي العلمية في الواقع هي معياري بالحكم على الأمور.	0.60	0.31	0.12	**0.50**	0.40	-0.27	0.08
٧١-	القاتل بدافع الشَّرف يجب أن يحاسبه القانون.	0.47	-0.23	0.22	**0.41**	-0.26	0.00	0.36
٧٢-	نتائج العلم تعود بالنَّفع على الإنسانية بأكملها.	0.37	0.05	-0.09	**0.38**	0.32	0.34	-0.05
٧٣-	اختياري للفرع الجامعي بناءً على رغبتي الشَّخصية.	0.58	-0.05	-0.01	-0.01	**0.75**	0.08	0.05
٧٤-	اختياري للشَّريك استناداً لنظرتي العلمية دون الأخذ بأيِّ اعتبارٍ آخر.	0.61	0.23	0.20	0.29	**0.58**	-0.31	-0.08
٧٥-	الظَّواهر الطَّبيعية كالزَّلازل والبراكين والفيضانات تخضع لقوانين علمية.	0.44	0.17	0.20	-0.02	-0.01	**0.61**	-0.06
٧٦-	ليس هناك أية علاقة بين الإنجازات العلمية والنُّصوص الدِّينية.	0.48	0.23	0.33	-0.18	0.18	**-0.42**	0.28
٧٧-	لا يمكن لأية نظرية أن تكون صالحة لكل زمان ومكان.	0.61	-0.05	0.08	-0.05	-0.06	-0.17	**0.75**
٧٨-	أعتقد بأنَّ قوانين العلم هي التي تتحكم بمصير البشر.	0.63	0.28	0.03	0.03	0.33	0.33	**0.57**
نسبة التَّفسير			12.564	11.662	10.154	7.876	7.311	6.378
الجذر الكامن			2.513	2.332	2.031	1.575	1.462	1.276

يتَّضح من الجدول (10) أنَّ كلَّ تشبع بلغ قيمته أكبر من 0.30%. وبلغ الجذر الكامن لكلِّ عاملٍ أكبر من (1)على المقياس. وكذلك قيم التَّباين المشترك أكبر من 0.30%، وبالتَّالي تُعد جميعها قيماً مقبولةً.

ثانياً: اختبار ثبات المقياس:

أولاً: ثبات المقياس.

تمَّ اختبار ثبات للاتِّساق الدَّاخلي لأبعاد البحث باستخدام معامل ألفا كرونباخ على عيِّنةٍ استطلاعيةٍ، وذلك لمعرفة مدى صلاحية وثبات الاستمَّارة والحصول على النَّتائج نفسها فيما لو طبقت على جميع الخاضعين للبحث. ومعامل ألفا كرونباخ هو أحد أشكال معامل الارتباط α تتراوح قيمته بين (٠ -١) حيث انخفاض قيمته عن ٠,٦ دليل على انخفاض الثَّبات الدَّاخلي للاستمَّارة. وتمَّ تطبيقه على كلِّ محورٍ على حدة.

١- المحور الأوَّل (التَّفكير الدِّيني)

الجدول (11) اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الأوَّل (التَّفكير الدِّيني) لعينةٍ استطلاعيةٍ (ن- 45)

ألفا كرومباخ	عدد العبارات
0.76	10

يتَّضح من الجدول (11) أنَّ قيمة الثَّبات (ألفا كرونباخ) بلغت 0.76 فثبات المقياس جيد. ويلاحظ أنَّ معاملات الثَّبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لبعد التَّفكير الدِّيني موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى المعنوية (0.05) فقد أعطت مؤشِّراً جيداً على ثبات المقياس.

٢- المحور الثَّاني (الاعتقاد بالسِّحر):

الجدول (12) اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الثَّاني (الاعتقاد بالسِّحر)

ألفا كرونباخ	عدد العبارات
0.80	8

يتَّضح من الجدول (12) أنَّ قيمة الثَّبات (ألفا كرونباخ) بلغت 0.80 فثبات المقياس جيد جداً. ويلاحظ أنَّ معاملات الثَّبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لبعد الاعتقاد بالسِّحر موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى المعنوية (0.05) فقد أعطت مؤشِّراً جيداً على ثبات المقياس.

٣- المحور الثَّالث (العادات والتَّقاليد)

الجدول (13) اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الثَّاني (العادات والتَّقاليد)

ألفا كروميخ	عدد العبارات
0.60	5

يتَّضح من الجدول (13) أنَّ قيمة الثَّبات (ألفا كرونباخ) بلغت 0.60 فثبات المقياس مقبول. ويلاحظ أنَّ معاملات الثَّبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لبعد العادات والتَّقاليد موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى المعنوية (0.05) فقد أعطت مؤشِّراً جيداً على ثبات المقياس.

٤- المحور الرَّابع (النَّظرة لمكانة المرأة)

الجدول (14) اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الرَّابع (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة)

ألفا كرونباخ	عدد العبارات
0.72	10

يتَّضح من الجدول (14) أنَّ قيمة الثَّبات (ألفا كرونباخ) بلغت 0.72 فثبات المقياس جيد. ويلاحظ أنَّ معاملات الثَّبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لبعد النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى المعنوية (0.05) فقد أعطت مؤشِّراً جيداً على ثبات المقياس.

٥- المحور الخامس (التَّمسُّك بالتُّراث):

الجدول رقم (15) اختبار الثَّبات بالنّسبة لعبارات المحور الخامس (التَّمسُّك بالتُّراث)

ألفا كرونباخ	عدد العبارات
0.71	7

يتَّضح من الجدول (15) أنَّ قيمة الثَّبات (ألفا كرونباخ) بلغت 0.71 فثبات المقياس جيد. ويلاحظ أنَّ معاملات الثَّبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لبعد التَّمسُّك بالتُّراث موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى المعنوية (0.05) فقد أعطت مؤشِّراً جيداً على ثبات المقياس.

٦- المحور السَّادس(الوعي بمبدأ المواطنة):

الجدول (16) اختبار الثَّابت بالنّسبة لعبارات المحور السَّادس (الوعي بمبدأ المواطنة)

ألفا كرونباخ	عدد العبارات
0.69	18

يتَّضح من الجدول (16) أنَّ قيمة الثَّبات (ألفا كرونباخ) بلغت 0.80 فثبات المقياس مقبول. ويلاحظ أنَّ معاملات الثَّبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لبعد الوعي بمبدأ المواطنة موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى المعنوية (0.05) فقد أعطت مؤشِّراً جيداً على ثبات المقياس.

٧- المحور السَّابع (التَّفكير العقلاني العلمي) :

الجدول (17) اختبار الثَّباتبالنّسبة لعبارات المحور السَّابع (التَّفكير العقلاني العلمي)

ألفا كرونباخ	عدد العبارات
0.75	20

يتَّضح من الجدول (17) أنَّ قيمة الثَّبات (ألفا كرونباخ) بلغت 0.75 فثبات المقياس جيد. ويلاحظ أنَّ معاملات الثَّبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ لبعد التَّفكير العقلاني العلمي موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى المعنوية (0.05) فقد أعطت مؤشّراً جيداً على ثبات المقياس.

وممَّا سبق نستنتج ثبات الاستمَّارة وصلاحيتها للدِّراسة.

ثامناً: الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث الميداني.

بعد الانتهاء من جمع بيانات الدِّراسة، تمَّ إدخالها -بعد ترميزها- إلى الحاسب الآلي، ثم جرت معالجتها وتحليلها واستخراج النَّتائج الإحصائية باستخدام برنامج "الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية" والمعروف باسم **SPSS** اختصاراً لـ: **Statistical Package for the Social Sciences**، وذلك باللُّجوء إلى المعاملات والاختبارات والمعالجات الإحصائية التَّالية:

١- التَّكرارات البسيطة والنّسب المئوية.

٢- المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.

٣- الوزن النّسبي (أو المئوي) والذي يحسب من المعادلة التَّالية:

المتوسط الحسابي × ١٠٠ ÷ الدَّرجة العظمى للإجابة على العبارة

٤- معامل ارتباط بيرسون (**Pearson Correlation Coefficient**) لدراسة شدة واتجاه العلاقة الارتباطية بين متغيرين من مستوى المسافة أو النّسبة(**Interval**

Or Ratio). وقد اعتبرت العلاقة ضعيفة إذا كانت قيمة المعامل أقل من ٠.٣٠، ومتوسطة ما بين ٠.٣٠-٠.٧٠ ، وقوية إذا زادت عن ٠.٧٠ .

٥- اختبار (ت) للمجموعات المستقلَّة (**Independent-Samples T-Test**) لدراسة الدَّلالة الإحصائية للفروق بين متوسطين حسابيين لمجموعتين من الخاضعين للبحث في إحدى المتغيرات من نوع المسافة أو النّسبة(**Interval Or Ratio**) .

٦- اختبار (ت) للمجموعات المرتبطة (**Paired Samples T-Test**) لدراسة الدَّلالة الإحصائية للفروق بين متوسطين حسابيين لمجموعتين مرتبطتين بالخاضعين للبحث في إحدى المتغيرات من نوع المسافة أو النّسبة(**Interval Or Ratio**) .

٧- اختبار (ت) لمجموعةٍ واحدةٍ (**One Samples T-Test**) لدراسة الدَّلالة الإحصائية للفرق بين متوسط حسابي مقرر مسبقاً مع المتوسط الحسابي لإحدى متغيرات المسافة أو النّسبة(**Interval Or Ratio**) في المجموعة.

٨- اختبار فريدمان (**Friedman Test**) لدراسة الدَّلالة الإحصائية للفرق بين أكثر من متوسط ترتيبي في مجموعةٍ واحدةٍ من الخاضعين للبحث أو الحالات المدروسة.

٩- التَّحليل العاملي (**Factor Analysis**) لتحديد العوامل الكامنة التي تفسر نماذج الارتباط بين مجموعة من المتغيرات الملاحظة، ولاستنباط عددٍ قليلٍ من العوامل التي تفسر معظم التَّباين الملاحظ في عدد أكبر من المتغيرات الظَّاهرة، كما يستخدم للتَّثبت من الصِّدق العاملي للمقاييس. وقد استخدمت طريقة المكونات الأساسية لهوتلينج (**Principal Components**) لاستخلاص العوامل مع أسلوب الفاريماكس(**Varimax**) لتدويرها.

١٠- معامل ألفا كرونباخ(**Alpha Cronbach**) لتحليل ثبات المقاييس (**Reliability Analysis**) بتقدير الاتِّساق الدَّاخلي بين العبارات المكونة للمقياس عن طريق حساب متوسط الارتباطات بين عبارات المقياس وبعضها.

وقد تمَّ قبول نتائج الاختبارات الإحصائية عند درجة ثقة ٩٥% فأكثر؛ أي: عند مستوى معنوية ٠.٠٥ فأقل.

الفصل الثاني: النَّتائج العامة للبحث:

أولاً : الخصائص العامَّة لأفراد عينة البحث:

١- الجنس:

جدول (18) يبيِّن توزع عينة البحث حسب متغير الجنس.

الجنس	التَّكرارات	النّسبة
ذكور	188	41.3%
إناث	267	58.7%
المجموع	455	100%

أشارت النَّتائج في الجدول (18) توزع أفراد عينة الدِّراسة حسب متغير الجنس حيث بلغ نسبة الذكور (41.3%) من إجمالي العيِّنة، وبلغ نسبة إناث 58.7% من إجمالي العيِّنة.

الشكل رقم (١) يوضح توزع أفراد العينة حسب متغير الجنس

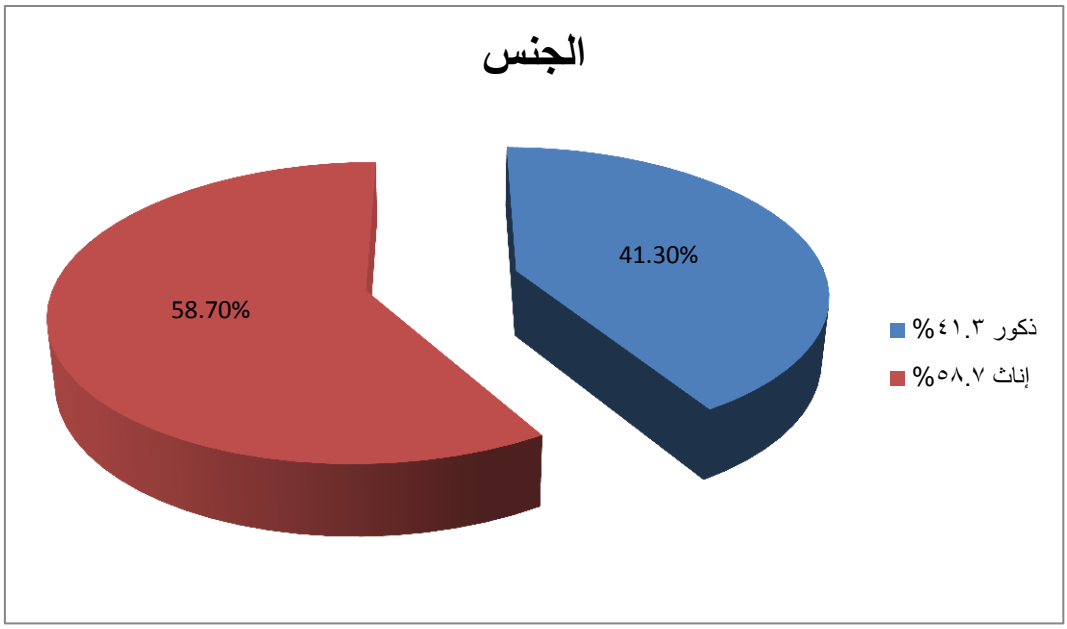

٢- مكان الإقامة:

جدول (19) يبين توزع عينة البحث حسب متغير مكان الإقامة.

الإقامة	التّكرارات	النّسبة
الرّيف	157	34.5%
المدينة	298	65.5%
المجموع	455	100%

أشارت النّتائج في الجدول (19) توزع أفراد العيّنة حسب مكان الإقامة حيث بلغ نسبة الطّلبة من أبناء الريف 34.5% من إجمالي العيّنة، وقد بلغ نسبة الطّلبة من أبناء المدينة 65.5% من إجمالي العيّنة.

ويتبيّن من هذا التّقسيم أنّ نسبةً عاليةً من طلاب جامعة دمشق هم من سكان المدينة.

الشكل رقم (٢) يوضح توزع أفراد العينة حسب متغير الإقامة

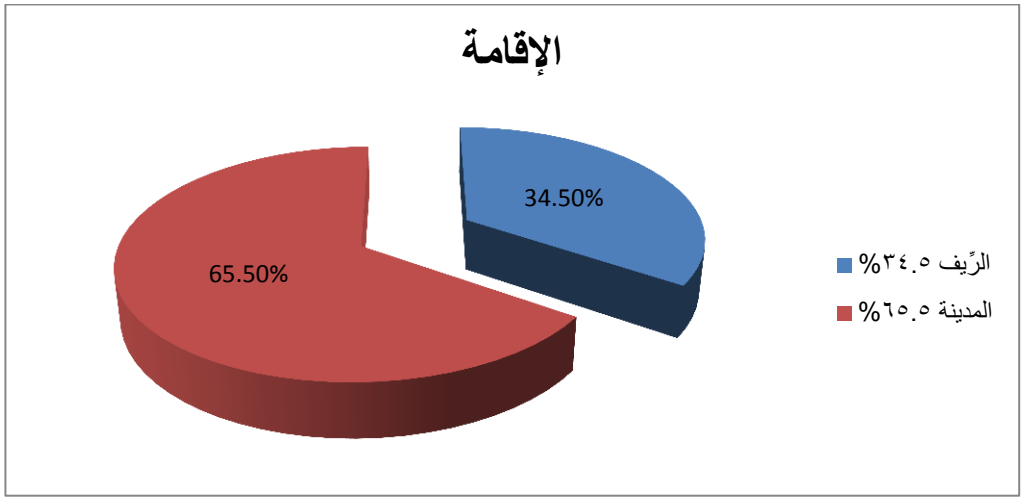

٣- الكلِّيَّة:

جدول رقم (20) يبين توزع عينة البحث حسب متغير الكلِّيَّة.

الكلِّيَّات	التَّكرارات	النّسبة
النظريَّة	291	64.0%
التطبيقيَّة	164	36.0%
المجموع	455	100%

أشارت النَّتائج في الجدول (20) توزع أفراد العيِّنة حسب الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة في جامعة دمشق، فقد بلغت نسبة الطَّلبة من الكلِّيَّات النظريَّة 64.0% من إجمالي العيِّنة، وقد بلغ نسبة الطَّلبة من الكلِّيَّات التطبيقيَّة 36.0% من إجمالي العيِّنة.

ويتوافق هذا التَّقسيم مع نسبة طلاب التَّخصصات المختلفة داخل المجتمع الأصلي للبحث.

الشكل رقم (٣) يوضح توزع أفراد العينة حسب متغير الكلية

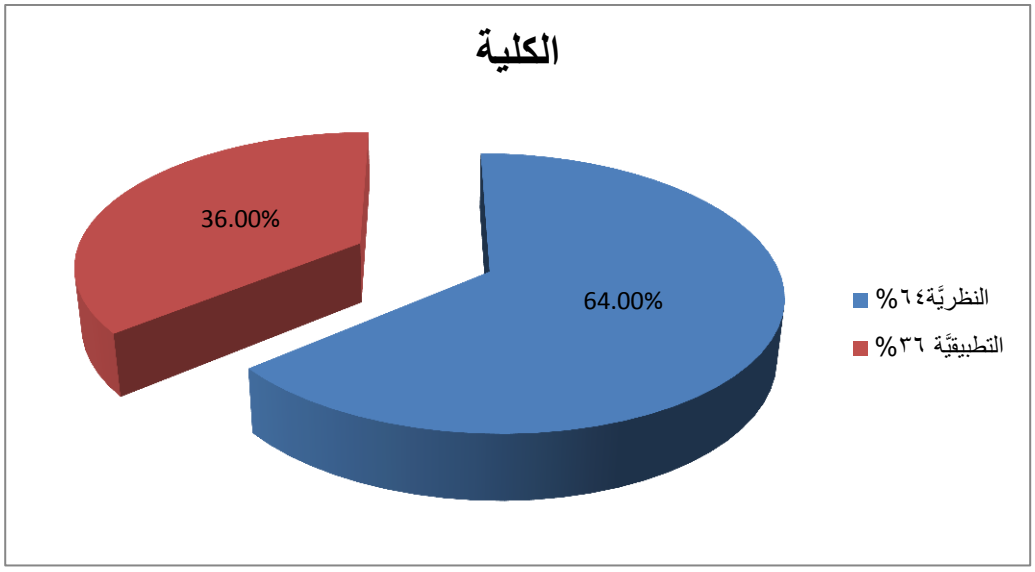

ثانيا: التَّوزيعات التَّكرارية، والمتوسطات الحسابية، والوزن المئوي، وآراء عيِّنة البحث لمتغيِّرات محاور البحث، وتوزيع المستويات الثَّلاثة لأبعاد المقياس:

١- المحور الأوَّل (التَّفكير الدِّيني):

أ- ولقياس التَّفكير الدِّيني لدى الطَّلبة الجامعيِّين تمَّ تصميم مقياس بطريقة ليكرت الخماسي، وقد تضمَّن المقياس 10 عبارات، وبعد تجميع المقياس تمَّ إجراء العمليات الإحصائية؛ حيث استخرجت النّسب المئوية والتَّكرارات إضافة إلى المتوسط الحسابي والوزن النّسبي لكلِّ عبارة وهذا ما يظهر في الجدول التَّالي.

الجدول رقم (21) يبين تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الأوَّل (التَّفكير الدِّيني) والمتوسط الحسابي و الوزن المئوي لكلِّ عبارة.

العبارة		موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		غير موافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النّسبي %
		التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة			
١-	أؤمن بالقضاء والقدر.	324	71.2	112	24.6	16	3.5	0	0.0	3	0.7	4.66	0.61	93.14
٢-	أرى بأنَّ الدِّين منظومةٌ متكاملةٌ عن الإنسان والحياة والمجتمع.	231	50.8	154	33.8	47	10.3	19	4.2	4	0.9	4.29	0.88	85.89
٣-	أؤمن بعالم الملائكة والجن.	199	43.7	191	42.0	36	7.9	9	2.0	20	4.4	4.19	0.98	83.74
٤-	أرى في الكتاب (القرآن، الإنجيل) علاجاً للكثير من الأمراض الجسدية.	195	42.7	163	35.8	73	16.0	22	4.8	2	0.4	4.16	0.89	83.16
٥-	الكثير من الإنجازات العلمية تعود للكتاب (القرآن، الإنجيل).	176	38.7	166	36.5	73	16.0	34	7.5	6	1.3	4.04	0.98	80.75
٦-	الدِّين هو الحل لكل مشكلاتنا	140	30.8	155	34.1	89	19.6	57	12.5	14	3.1	3.77	1.11	75.38
٧-	معتقداتي الدِّينية في الواقع معياري في الحكم على الأمور.	77	16.9	195	42.9	111	24.4	61	13.4	11	2.4	3.58	1.00	71.69
٨-	يحتاج مجتمعنا إلى علماء الدِّين أكثر من حاجته إلى علماء الطَّبيعة.	40	8.8	90	19.8	107	23.5	175	38.5	43	9.5	2.80	1.13	56.00
٩-	إنَّ رجلاً عابداً في صومعته خيرٌ من عالمٍ في مخبره.	18	4.0	46	10.1	129	82.4	184	40.4	78	17.1	2.43	1.01	48.66
١٠-	تحصل البركة بزيارة قبور الأوَّلياء.	20	4.4	77	16.9	103	22.6	135	29.7	120	26.4	2.43	1.17	48.66
	المجموع	455												

يتبيَّن لنا من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (21) أنَّ هناك درجة مرتفعة عموماً من التَّفكير الدِّيني لدى الشَّباب الجامعي، فقد حازت أكثر من نصف العبارات التي تقيس التَّفكير الدِّيني في هذا المقياس على نسب أعلى من % 75موافقة من قبل أفراد العيِّنة. وفيما يلي عرضٌ للعبارات التي حازت على نسب موافقة أعلى من % 75 .

١- أؤمن بالقضاء والقدر.
٢- أرى بأنَّ الدِّين منظومةٌ متكاملةٌ عن الإنسان والحياة والمجتمع.
٣- أؤمن بعالم الملائكة والجن.
٤- أرى في الكتاب (القرآن، الإنجيل) علاجاً للكثير من الأمراض الجسدية.
٥- الكثير من الإنجازات العلمية تعود للكتاب (القرآن، الإنجيل).
٦- الدِّين هو الحلُّ لكلِّ مشكلاتنا.

ب- قسم المقياس إلى ثلاثة مستويات " منخفض – متوسط – مرتفع". ثمَّ تمَّ التَّوصل للنَّتائج الموجودة في الجدول التَّالي .

الجدول (22) يبيِّن المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع)لآراء عيِّنة البحث لبعد التَّفكير الدِّيني.

المستوى	التَّكرارات	النّسبة
منخفض من 23-10	15	3.3
متوسط من 36-24	203	44.6
مرتفع من50 -37	237	52.1
المجموع	455	100%

يتبيَّن من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (22) أنَّ ما يقارب % 3.3 ذات تفكيرٍ دينيٍّ منخفض، و **44.6**% ذات تفكير ديني متوسط، و**52.1**% ذات تفكير مرتفع، نستنتج من ذلك بأنَّ التَّفكير الدِّيني سائدٌ حتَّى الآن في المجتمع العربي.

٢- **المحور الثَّاني (الاعتقاد بالسِّحر):** ولقياس الاعتقاد بالسِّحر لدى الطَّلبة الجامعيِّين تمَّ تصميم مقياس بطريقة ليكرت الخماسي، وقد تضمن المقياس 8 عبارات، وبعد تجميع المقياس تمَّ إجراء العمليات الإحصائية؛ حيث استخرجت النّسب المئوية والتَّكرارات إضافة إلى المتوسط الحسابي والوزن النّسبي لكل عبارة، وهذا ما يظهر في الجدول التَّالي.

الجدول رقم (23) يبيِّن تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الثَّاني (الاعتقاد بالسِّحر) والوسط الحسابي و الوزن المئوي لكلِّ عبارة.

العبارة		موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		غير موافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النّسبي %
		التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة			
١١-	نجح رجال الدِّين في علاج بعض الأمراض المستعصية على الطِّب الحديث.	44	9.7	195	42.9	130	28.6	55	12.1	31	6.8	3.36	1.04	67.30
١٢-	يمكن إيقاع رجلٍ وامرأةٍ في الحبّ بتأثير السِّحر.	31	6.8	142	31.2	78	17.1	97	21.3	107	23.5	2.76	1.30	55.30
١٣-	يمكن لقراءة الطَّالع أن تكشف بعض الأمور المستقبلية.	14	3.1	91	20.0	83	18.2	130	28.6	137	30.1	2.37	1.19	47.47
١٤-	يستطيع بعض رجال الدِّين استحضار الأرواح والتَّواصل معهم	8	1.8	52	11.4	25	5.5	116	25.5	168	36.9	2.16	1.10	43.12
١٥-	بعض الحجب تحمي من الإصابة بالعين الحاسدة.	8	1.8	53	11.6	95	20.9	138	30.3	161	35.4	2.14	1.08	42.81
١٦-	يمكن للعرَّافين التَّنبؤ الصَّحيح ببعض الأحداث.	9	2.0	70	15.4	82	18.0	108	23.7	186	40.9	2.14	1.17	42.77
١٧-	يستطيع العرَّاف أن يؤذي أيَّ شخصٍ يريد.	7	1.5	57	12.5	53	11.6	146	32.1	192	42.2	1.99	1.09	39.82
١٨-	يمكن أن ألجأ للعرافين عند تعرضي لبعض المصائب.	4	0.9	18	4.0	25	5.5	106	23.3	302	66.4	1.50	0.84	29.93

يتبيَّن لنا من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (23) أنَّ هناك اتجاهاً سلبيَّاً من الاعتقاد بالسِّحر لدى الشَّباب الجامعي، فقد حازت عبارتين فقط أعلى من 50% التي تقيس الاعتقاد بالسِّحر في هذا المقياس من أفراد العيِّنة. وفيما يلي عرض للعبارات التي حازت على نسب موافقة أعلى من 50%.

١- نجح رجال الدِّين في علاج بعض الأمراض المستعصية على الطِّب الحديث.
٢- يمكن إيقاع رجلٍ وامرأةٍ في الحبِّ بتأثير السِّحر.

الجدول رقم (24) يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد الاعتقاد بالسِّحر.

المستوى	التَّكرارات	النّسبة
منخفض من 18-8	249	54.7
متوسط من 29-19	192	42.2
مرتفع من40 -20	14	3.1
المجموع	455	100%

يتبيَّن من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (24) أنَّ ما يقارب **54.7%** لهم درجة اعتقادٍ منخفضة بالسِّحر، ونسبة **42.2%** لهم درجة متوسطة من الاعتقاد بالسِّحر، ونسبة **3.1%** لهم درجة مرتفعة من الاعتقاد بالسِّحر، نستنتج من ذلك بأنَّ الاعتقاد بالسِّحر نسبته بين الطَّلبة الجامعيِّين قليلةٌ جداً.

٣- **المحور الثَّالث (التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب):** ولقياس درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) لدى الطَّلبة الجامعيِّين تمَّ تصميم مقياس بطريقة ليكرت الخماسي، وقد تضمَّن المقياس 5 عبارات، وبعد تجميع المقياس تمَّ إجراء العمليات الإحصائية؛ حيث استخرجت النّسب المئوية والتَّكرارات إضافة إلى المتوسط الحسابي والوزن المئوي لكلِّ عبارةٍ وهذا ما يظهر في الجدول التَّالي.

الجدول (25) يبيِّن تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الثَّالث (درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) والوسط الحسابي و الوزن المئوي لكلِّ عبارة.

العبارة		موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		غير موافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النّسبي %
		التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة			
١٩-	يجب الحفاظ على عادات وتقاليد مجتمعنا.	78	17.1	235	51.6	83	18.2	46	10.1	13	2.9	3.70	0.96	74.02
٢٠-	يجب الخضوع لرأي الكبار في العائلة.	62	13.6	201	44.2	102	22.4	70	15.4	20	4.4	3.47	1.05	69.45
٢١-	نسب العائلة يهمني في اختيار الشَّريك.	73	16.0	177	38.9	51	11.2	90	19.8	64	14.1	3.23	1.32	64.62
٢٢-	من حق الذي ينتمَّي إلى عائلة ذات نسب أن يكون له مكانة مرموقة في المجتمع.	33	7.3	84	18.5	99	21.8	136	29.9	103	22.6	2.58	1.23	51.56
٢٣-	شخص يثأر لأخيه بقتل أخي الجاني.	17	3.7	27	5.9	58	12.7	142	31.2	211	46.4	1.89	1.08	37.89

يتبيَّن لنا من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (25) أنَّ هناك تفاوتاً في الآراء من العبارات، فقد حازت العبارة التي تقيس العادات والتَّقاليد عموماً في هذا المقياس على أعلى نسب موافقة من قبل أفراد العيِّنة، وهذه النّسبة المئوية تصل إلى74% لعبارة (يجب الحفاظ على عادات وتقاليد مجتمعنا) لكن عند تفكيك العادات والتَّقاليد إلى أجزاء فالعبارة التي تقيس الثَّأر كانت أقل درجةً وتصل إلى37%. وهذا ناتج عن الأسلوب التَّلقيني التَّكراري الذي تعلّم عليه الطَّالب في الجامعات العربية بترديد شعارات والدفاع عنها دون معرفته بمضمون ما يردده. وفيما يلي عرض للعبارات التي حازت على نسب موافقة من أعلى للأدنى.

١- يجب الحفاظ على عادات وتقاليد مجتمعنا.

٢- يجب الخضوع لرأي الكبار في العائلة.

٣- نسب العائلة يهمني في اختيار الشَّريك.

٤- من حق الذي ينتمَّي إلى عائلة ذات نسب أن يكون له مكانة مرموقة في المجتمع.

٥- شخص يثأر لأخيه بقتل أخي الجاني.

الجدول رقم (26) يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب).

المستوى	التَّكرارات	النّسبة
منخفض من 5-11	78	17.1
متوسط من 12-18	317	69.7
مرتفع من19- 25	60	13.2
المجموع	455	100%

يتبيَّن من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (26) أنَّ نسبة **17.1%** من الطَّلبة الجامعيِّين ذات درجة منخفضة بتمَّسكهم بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب)، ونسبة **69.7%** من الطَّلبة ذات درجة متوسطة بتمَّسكهم بالعادات والتَّقاليد، ونسبة **13.2%** من الطَّلبة الجامعيِّين ذات درجة مرتفعة بالتَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب)، نستنتج من ذلك بأنَّ العادات والتَّقاليد الموروثة لها مكانةٌ في المجتمع السوري.

٤- **المحور الرَّابع (نظرة الطَّالب لمكانة المرأة الموروثة):** ولقياس نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة في المجتمع تمَّ تصميم مقياس بطريقة ليكرت الخماسي، وقد تضمن المقياس 10 عبارات، وبعد تجميع المقياس تمَّ إجراء العمليات الإحصائية حيث استخرجت

النّسب المئوية والتّكرارات إضافة إلى المتوسط الحسابي والوزن المئوي لكل عبارة وهذا ما يظهر في الجدول التّالي.

الجدول رقم (27) يبيِّن تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الرَّابع (نظرة الطَّالب لمكانة المرأة الموروثة في المجتمع) والوسط الحسابي و الوزن المئوي لكل عبارة.

العبارة		موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		غير موافق بشدة		المتوسط الحسابي	الوزن النّسبي %
		التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة		
٢٤-	على المرأة أن تسمع كلام زوجها.	104	22.9	216	47.5	89	19.6	32	7.0	14	3.1	3.80	76.00
٢٥-	يجب على المرأة أخذ موافقة أهلها في كل الأمور الهامة في حياتها	73	16.0	206	43.3	70	15.4	78	17.1	28	6.2	3.48	69.58
٢٦-	أرى أن تلتزم المرأة المتزوجة بأعمال المنزل ورعايتها لأطفالها.	50	11.0	120	26.4	86	18.9	114	25.1	85	18.7	2.86	57.19
٢٧-	من حقِّ الفتاة أن تختار الشَّخص الذي تريده حتى وإن عارض الأهل.	25	5.5	99	21.8	112	24.6	127	27.9	92	20.2	2.64	52.88
٢٨-	لا أرسل ابنتي بعثة خارج القطر.	23	5.1	76	16.7	83	18.2	157	34.5	116	25.5	2.41	48.26
٢٩-	تستطيع المرأة قيادة أعلى المناصب في الدَّولة.	23	5.1	76	16.7	83	18.2	152	33.4	121	26.6	2.40	48.04
٣٠-	بالإمكان أن نساوي بين الرَّجل والمرأة في الحقوق والواجبات.	9	2.0	72	15.8	49	10.8	183	40.2	142	31.2	2.17	43.43
٣١-	يجب أن تكون فرص التَّعليم والعمل للمرأة متساوية مع الرَّجل.	17	3.7	27	5.9	51	11.2	153	33.6	207	45.5	1.89	37.76
٣٢-	من المعيب أن يستشير الرَّجل المرأة.	11	2.4	4	0.9	29	6.4	128	28.1	283	62.2	1.53	30.64
٣٣-	يكفي تعليم الفتاة للمرحلة الإعدادية.	7	1.5	4	0.9	33	7.3	70	15.4	341	74.9	1.39	27.74

يتبيَّن لنا من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (27) أنَّ هناك اتِّجاهاً إيجابيّاً عامّاً من النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة في المجتمع العربي لدى الشَّباب الجامعي، فقد حازت العبارات السَّلبية في هذا المقياس التي تقيس النَّظرة لمكانة المرأة على أعلى نسب موافقة من قبل أفراد العيِّنة. أمَّا العبارات السَّلبية؛ فقد حازت على نسب موافقة متدنية في الغالب من قبل أفراد العيِّنة، وفيما يلي عرض العبارات الإيجابية التي حازت على نسب موافقة أعلى من 50%.

١- على المرأة أن تسمع كلام زوجها.

٢- يجب على المرأة أخذ موافقة أهلها في كلِّ الأمور الهامَّة في حياتها.
٣- أرى أن تلتزم المرأة المتزوجة بأعمال المنزل ورعايتها لأطفالها.
العبارات السَّلبية التي حازت على نسب أقل من 50%
١- تستطيع المرأة قيادة أعلى المناصب في الدَّولة.
٢- بالإمكان أن نساوي بين الرَّجل والمرأة في الحقوق والواجبات.

الجدول رقم (28) يبيِّن المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد نظرة الطَّالب لمكانة المرأة الموروثة في المجتمع.

المستوى	التَّكرارات	النّسبة
منخفض من 10-23	11	2.4
متوسط من 24-36	348	76.5
مرتفع من37- 50	96	21.1
المجموع	455	100%

يتبيَّن من الجدول (28) أنَّ نسبة **2.4**% من الطَّلبة الجامعيِّين لديهم درجة منخفضة من النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة في المجتمع، ونسبة % **76.5** لديهم درجة متوسطة من النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة، ونسبة **21.1**% من الطَّلبة الجامعيِّين لديهم درجة مرتفعة من النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة في المجتمع، ونستنتج من ذلك بأنَّ المجتمع السُّوري بطبيعته مجتمعٌ محافظٌ متمَّسكٌ بالعادات والتَّقاليد الموروثة.

٥- **المحور الخامس** (**التَّمسُّك بالتُّراث**): ولقياس درجة التَّمسُّك بالتُّراث لدى الطَّلبة الجامعيِّين تمَّ تصميم مقياس بطريقة ليكرت الخماسي، وقد تضمن المقياس 7 عبارات، وبعد تجميع المقياس تمَّ إجراء العمليات الإحصائية حيث استخرجت النّسب

المئوية والتَّكرارات إضافة إلى المتوسط الحسابي والوزن المئوي لكل عبارة وهذا ما يظهر في الجدول التَّالي.

الجدول رقم (29) يبيِّن تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور الخامس (درجة التَّمسُّك بالتُّراث) والوسط الحسابي والوزن المئوي لكلِّ عبارة.

العبارة		موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		غير موافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النّسبي %
		التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة			
٣٤-	كل إنجازات الغرب تعود للحضارة العربية الإسلامية.	118	25.9	147	32.3	90	19.8	70	15.4	30	6.6	3.56	1.21	71.12
٣٥-	الأفكار التي تأتي من الغرب تتعارض مع معتقداتنا	44	9.7	153	33.6	163	35.8	80	17.6	15	3.3	3.29	0.97	65.76
٣٦-	توجد الحقيقة الكاملة في تراث الآباء والأجداد.	22	4.8	117	25.7	159	34.9	114	25.1	43	9.5	2.91	1.04	58.29
٣٧-	أرفض الأفكار التي تأتي من الغرب	49	10.8	71	15.6	139	30.5	166	36.5	30	6.6	2.87	1.10	57.49
٣٨-	نحن بغنى عن علوم الغرب لأن تراثنا وتاريخنا يفيض بعطاءات العلم.	52	11.4	57	12.5	76	16.7	159	34.9	111	24.4	2.52	1.30	50.33
٣٩-	يمكن الاستغناء عن العلوم الحديثة والاعتماد على إحياء التُّراث العربي الإسلامي.	13	2.9	50	11.0	131	28.8	198	43.5	63	13.8	2.45	0.96	49.10
٤٠-	الحياة أجمل بدون التكنولوجيا الحديثة.	53	11.6	40	8.8	81	17.8	167	36.7	114	25.1	2.45	1.28	49.05

يتبيَّن لنا من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (29) أنَّ هناك درجة متوسطة للتَّمسُّك بالتُّراث لدى الطَّلبة الجامعيِّين، فقد حازت العبارات التي تقيس درجة التَّمسُّك بالتُّراث في هذا المقياس بشكل متسلسل من قبل أفراد العيِّنة. وفيما يلي عرض للعبارات التي حازت على نسب موافقة أعلى من 50%.

١- كل إنجازات الغرب تعود للحضارة العربية الإسلامية.

٢- الأفكار التي تأتي من الغرب تتعارض مع معتقداتنا.

٣- توجد الحقيقة الكاملة في تراث الآباء والأجداد.

٤- أرفض الأفكار التي تأتي من الغرب.

الجدول رقم (30) يبيِّن المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد درجة التَّمسُّك بالتُّراث.

المستوى	التَّكرارات	النّسبة
منخفض من 16 –7	99	21.8
متوسط من 25 –17	303	66.6
مرتفع من 35 –26	55	11.6
المجموع	455	100%

يتبيَّن من خلال النَّتائج الواردة في الجدول(30) أنّ أعلى نسبة معبرة عن التَّمسُّك بالتُّراث كانت في المستوى المتوسط؛ حيث بلغت **66.6%**، ثمَّ في المستوى المنخفض حيث بلغت **21.8%** من الطَّلبة الجامعيِّين، ثمَّ المستوى المرتفع **11.6**% من الطَّلبة. ونستنتج من ذلك بأنَّ المجتمع العربي حتَّى الآن يتمَّسك بتراثه.

٦- **المحور السَّادس (الوعي بمبدأ المواطنة):** ولقياس درجة الوعي بمبدأ المواطنة لدى الطَّلبة الجامعيِّين تمَّ تصميم مقياس بطريقة ليكرت الخماسي، وقد تضمَّن المقياس 17 عبارة، وبعد تجميع المقياس تمَّ إجراء العمليات الإحصائية؛ حيث استخرجت النّسب المئوية والتَّكرارات إضافة إلى المتوسط الحسابي والوزن المئوي لكل عبارة وهذا ما يظهر في الجدول التَّالي.

الجدول رقم (31) يبيِّن تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور السَّادس (درجة الوعي بمبدأ المواطنة) والمتوسط الحسابي والوزن المئوي لكل عبارة.

العبارة		موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		غير موافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النّسبي %
		التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة			
٤١ –	أحرص على التّقيد بالأنظمة والقوانين بدافع الرّقابة الذّاتية.	141	31.0	230	50.5	59	13.0	22	4.8	3	0.7	4.06	0.83	81.27
٤٢ –	انتشار الوساطة والعلاقات الشّخصية في مؤسّسات الدّولة.	154	33.8	202	44.4	60	13.2	25	5.5	14	3.1	4.00	0.98	80.09
٤٣ –	ينتشر الفساد الإداري والمحسوبيات في مؤسسات الدّولة.	118	25.9	228	50.1	79	17.4	22	4.8	8	1.8	3.94	0.88	78.73
٤٤ –	أموري تمضي بسرعة في الدّوائر الحكومية عندما يكون أحد أفراد عائلتي مسؤولاً في الدّولة.	148	32.5	166	36.5	60	13.2	58	12.7	23	5.1	3.79	1.17	75.74
٤٥ –	تكافؤ الفرص متاحة للجميع في بلدي.	105	23.1	194	42.6	81	17.8	48	10.5	27	5.9	3.66	1.12	73.27
٤٦ –	إذا تشاجرت مع ابن مسؤول ستكون المحكمة حياديةً في الإقرار بالحكم.	109	24.0	106	23.3	135	29.7	79	17.4	26	5.7	3.42	1.19	68.48
٤٧ –	تقليد المناصب في الدّولة متاح للجميع دون استثناء.	94	20.7	129	28.4	123	27.0	93	20.4	16	3.5	3.42	1.13	68.44
٤٨ –	تتوفر العدالة الاجتماعية والمساواة للجميع في بلدي.	90	19.8	142	31.2	117	25.7	62	13.6	44	9.7	3.38	1.22	67.56
٤٩ –	أتقيد بالأنظمة والقوانين لأنّها تطبق على الجميع على قدم المساواة.	69	15.2	154	33.8	108	23.7	90	19.8	34	7.5	3.29	1.17	65.89
٥٠ –	يتمتّع الفرد بحقوقه في بلدي .	66	14.5	127	27.9	110	24.2	124	27.3	28	2.6	3.17	1.16	63.47
٥١ –	منظمات المجتمع المدني تقوم بدورٍ كبير في الضّغط على الحكومة من أجل المواطن	35	7.7	81	17.8	221	48.6	104	22.9	14	3.1	3.04	0.92	60.84
٥٢ –	فرص الأحزاب متساوية في تولي المسؤوليات في إدارة الدّولة.	36	7.9	98	21.5	193	42.4	88	19.3	40	8.8	3.00	1.04	60.09
٥٣ –	ولاء الموظف لعائلته أكثر من الوطن.	23	5.1	107	23.5	153	33.6	130	28.6	42	9.2	2.87	1.04	57.32

٥٤ –	أثق بمؤسسات الدَّولة.	33	7.3	66	14.5	164	36.0	147	32.3	45	9.9	2.77	1.05	55.38
٥٥ –	التَّقديم لوظيفة من أجل العمل يقوم على الكفاءة والخبرة.	43	9.5	112	24.6	71	15.6	150	33.0	79	17.4	2.76	1.26	55.16
٥٦ –	القانون في بلدي يحمي المواطن.	32	7.0	50	11.0	111	24.4	174	38.2	88	19.3	2.48	1.13	49.63
٥٧ –	ليس لدي ولاء لمؤسسات الدَّولة.	10	2.2	42	9.2	122	26.8	204	44.8	77	16.9	2.35	0.94	46.99

يتبيَّن لنا من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (31) أنَّ هناك درجةً مرتفعةً من الوعي بمبدأ المواطنة والشعور بغيابه في المجتمع لدى الشَّباب الجامعي، فقد حازت العبارات التي تقيس الوعي بمبدأ المواطنة في هذا المقياس على أعلى نسب موافقة من قبل أفراد العيِّنة. وفيما يلي عرض للعبارات التي حازت على نسب موافقة أعلى من ٧٥%.

١- أحرص على التَّقيد بالأنظمة والقوانين بدافع الرَّقابة الذَّاتية.
٢- انتشار الوساطة والعلاقات الشَّخصية في مؤسَّسات الدَّولة.
٣- ينتشر الفساد الإداري والمحسوبيات في مؤسَّسات الدَّولة.
٤- أموري تمضي بسرعةٍ في الدَّوائر الحكومية عندما يكون أحد أفراد عائلتي مسؤولاً في الدَّولة.

الجدول رقم (32) يبيِّن المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث الوعي بمبدأ المواطنة.

المستوى	التَّكرارات	النّسبة
منخفض من 39-17	26	5.7
متوسط من 62-40	384	84.4
مرتفع من85 -63	45	9.9
المجموع	455	100%

يتبيَّن من خلال النَّتائج الواردة في الجدول (32) بأنَّ نسبة **5.7**% من الطَّلبة الجامعيِّين لديهم درجة منخفضة من الوعي بمبدأ المواطنة، ونسبة **84.4**% من الطَّلبة الجامعيِّين لديهم درجة متوسطة من الوعي بمبدأ المواطنة، ونسبة **9.9**% من الطَّلبة لديهم درجة مرتفعة من الوعي بمبدأ المواطنة، نستنتج بأنَّ غالبية الطَّلبة الجامعيِّين على وعي بمبدأ المواطنة.

الجدول رقم (33) يبين المستويات الثَّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث للمعوقات الاجتماعية ككل.

المستوى	التَّكرارات	النّسبة
منخفض من 57– 132	13	2.9
متوسط من 133 – 209	434	95.4
مرتفع من 210 – 285	8	1.8
المجموع	455	100%

تبيَّن من خلال الجدول (33) أنّ نسبة **2.9**% من الطَّلبة الجامعيِّين لديهم درجة منخفضة من التَّأثُّر بالمعوقات الاجتماعية ككل، ونسبة **95.4**%من الطَّلبة لديهم درجة متوسطة من التَّأثُّر بالمعوقات الاجتماعية ككل، ونسبة % **1.8** لديهم درجة مرتفعة من التَّأثُّر بالمعوقات الاجتماعية ككل.

٧- **المحور السَّابع (التَّفكير العقلاني العلمي):** ولقياس درجة التَّفكير العقلاني العلمي لدى الطَّلبة الجامعيِّين تمَّ تصميم مقياس بطريقة ليكرت الخماسي، وقد تضمن المقياس 20 عبارة، وبعد تجميع المقياس تمَّ إجراء العمليات الإحصائية؛ حيث استخرجت النّسب المئوية والتَّكرارات إضافة إلى المتوسط الحسابي والوزن المئوي لكل عبارة وهذا ما يظهر في الجدول التَّالي.

الجدول رقم (34) يبيِّن تكرارات إجابات أفراد العيِّنة عن عبارات المحور السَّابع (التَّفكير العقلاني العلمي) والوسط الحسابي و الوزن المئوي لكلِّ عبارة .

العبارة		موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		غير موافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النّسبي %
		التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة	التكرار	النّسبة			
٥٨-	لا يمكن قيام حضارة مدنية بدون العلم.	174	38.2	241	53.0	24	5.3	10	2.2	6	1.3	4.25	0.76	84.92
٥٩-	نتائج العلم تعود بالنّفع على الإنسانية بأكملها.	156	34.3	208	45.7	43	9.5	44	9.7	4	0.9	4.03	0.95	80.57
٦٠-	اختياري للفرع الجامعي بناءً على رغبتي الشَّخصية.	224	49.2	113	24.8	28	6.2	65	14.3	25	5.5	3.98	1.27	79.60
٦١-	الظَّواهر الطَّبيعية كالزَّلازل والبراكين والفيضانات تخضع لقوانين علمية.	118	25.9	246	54.1	53	11.6	32	7.0	6	1.3	3.96	0.88	79.25
٦٢-	أنظر للثقافات الأخرى نظرة موضوعية.	82	18.0	284	62.4	64	14.1	21	4.6	4	0.9	3.92	0.76	78.42
٦٣-	العلمُ قادرٌ على حلِّ مشكلات الإنسان.	87	19.1	260	57.1	50	11.0	50	11.0	8	1.8	3.81	0.93	76.18
٦٤-	يجب فصل الدِّين عن السِّياسة.	146	32.1	143	31.4	65	14.3	64	14.1	37	8.1	3.65	1.28	73.05
٦٥-	القيم العلمية أفضل من القيم الموروثة.	95	20.9	133	29.2	173	38.0	52	11.4	2	0.4	3.59	0.96	71.74
٦٦-	النَّظريات العلمية تصلح لإدارة المجتمع.	55	12.1	226	49.7	104	22.9	54	11.9	16	3.5	3.55	0.97	70.99
٦٧-	لا يمكن لأية نظرية أن تكون صالحة لكل زمان ومكان.	57	12.5	226	49.7	73	16.0	81	17.8	18	4.0	3.49	1.05	69.80
٦٨-	يمكن الاعتماد على العلوم الحديثة في مجمل الحياة الاجتماعية.	58	12.7	220	48.4	75	16.5	90	19.8	12	2.6	3.49	1.03	69.76
٦٩-	يجب أن يصبح الدِّين مسألة شخصية.	117	25.7	129	28.4	83	18.2	89	19.6	37	8.1	3.44	1.28	68.79
٧٠-	القاتل بدافع الشَّرف يجب أن يحاسبه القانون.	90	19.8	142	31.2	106	23.3	71	15.6	46	10.1	3.35	1.24	66.99
٧١-	أعتقد بأن قوانين العلم هي	50	11.0	181	39.8	109	24.0	104	22.9	11	2.4	3.34	1.02	66.81

	التي تتحكم بمصير البشر.												
٧٢-	معتقداتي العلمية في الواقع هي معياري بالحكم على الأمور.	39	8.6	136	35.8	132	29.0	115	25.3	6	1.3	3.25	0.97	65.01
٧٣-	حكومة التكنوقراط (النخب العلمية) أفضل من الحكومة الدِّينية.	60	13.2	102	22.4	215	47.3	58	12.7	20	4.4	3.27	0.99	65.45
٧٤-	يمكن للقيم العلمية أن تحل محل القيم الموروثة.	32	7.0	165	36.3	142	31.2	103	22.6	13	2.9	3.22	0.97	64.40
٧٥-	أرى بأن العلمانية أفضل النظم السِّياسية.	41	9.0	89	19.6	186	40.9	108	23.7	31	6.8	3.00	1.03	60.04
٧٦-	اختياري للشريك استناداً لنظرتي العلمية دون الأخذ بأيِّ اعتبارٍ آخر.	56	12.3	89	19.6	89	19.6	164	36.0	57	12.5	2.83	1.23	56.62
٧٧-	ليس هناك أية علاقة بين الإنجازات العلمية والنُّصوص الدِّينية.	20	4.4	37	8.1	90	19.8	227	49.9	81	17.8	2.31	1.00	46.29

يتبيَّن لنا من خلال النَّتائج الواردة في الجدول(34) أنَّ هناك درجة مرتفعة من التَّفكير العقلاني العلمي لدى الطَّلبة الجامعيِّين، فقد حازت العبارات التي تقيس التَّفكير العقلاني العلمي في هذا المقياس على أعلى نسب موافقة من قبل أفراد العيِّنة. وفيما يلي عرض للعبارات التي حازت على نسب موافقة أعلى من ٧٥%.

١- لا يمكن قيام حضارة مدنية بدون العلم.

٢- نتائج العلم تعود بالنفع على الإنسانية بأكملها.

٣- اختياري للفرع الجامعي بناءً على رغبتي الشخصية.

٤- الظواهر الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات تخضع لقوانين علمية.

٥- أنظر للثقافات الأخرى نظرة موضوعية.

٦- العلمُ قادرٌ على حل مشكلات الإنسان.

الجدول رقم (35) يبين المستويات الثّلاثة (منخفض، متوسط، مرتفع) لآراء عينة البحث لبعد التّفكير العقلاني العلمي.

المستوى	التّكرارات	النّسبة
منخفض من 46 –20	2	0.4
متوسط من 73–47	309	67.9
مرتفع من100 –74	144	31.6
المجموع	455	100%

يتبيَّن من خلال الجدول (35) بأنَّ نسبة 0.4% من الطَّلبة الجامعيِّين لديهم درجة منخفضة من التَّفكير العقلاني العلمي، ونسبة 67.9% من الطَّلبة لديهم درجة متوسطة من التَّفكير العقلاني العلمي، ونسبة 31.6% من الطَّلبة لديهم درجة مرتفعة من التَّفكير العقلاني العلمي، ونستنتج بأن غالبية الطَّلبة الجامعيِّين ذات تفكير عقلاني علمي.

ثالثاً: اختبار T–testلمجموعةٍ واحدةٍ (متغيرات الدِّراسة عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

١– اختبار T–testلمجموعةٍ واحدةٍ (التَّفكير الدِّيني عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

اختبار (ت) لمجموعةٍ واحدةٍ (One Samples T-Test) لدراسة الدَّلالة الإحصائية للفرق بين متوسط حسابي مقرر مسبقاً مع المتوسط الحسابي لأحد متغيرات المسافة أو النّسبة (Interval Or Ratio) في المجموعة .

الجدول رقم (36) يبين اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (التَّفكير الدِّيني عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير الدِّيني	3.64	0.56	24.284	0.000

يتبيَّن من الجدول (36) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس درجة التَّفكير الدِّيني كانت (3.64) وهي فوق قيم المتوسط (3)، وهذا فارقٌ جوهريٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.000 أصغر من قيمة α=0.05؛ أي: أنَّ التَّفكير الدِّيني كان مرتفع الانتشار بين الطَّلبة.

وبناءً على النظريَّة العامة في العقلانية: (**يرى دوركهايم أنَّ التعاليم الدِّينية هي التي تقدم تفسيراتٍ للعالم تتيح التَّنسيق بين معطيات الخبرة المحسوسة. هذه التعاليم تؤدِّي في المجتمعات التَّقليدية دوراً شبيهاً بذاك الذي يؤديه العلم في المجتمعات الحديثة، بحكم تشكيلها مخزون المعرفة المشروعة، ولا نخطئ بالقول إنَّ الدِّيانات تمثِّل شكلاً أوَّلياً من أشكال تفسير العالم. إنَّ الخدمة العظيمة التي أسدتها الدِّيانات إلى الفكر تتمثَّل في إنشائها تصوُّراً أوَّليَّاً لما يمكن أن تكون عليه روابط القربى بين الأشياء. لا وجود لأي هوةٍ بين منطق الفكر الدِّيني ومنطق الفكر العلمي، فالعناصر الأساسية هي نفسها هنا وهناك**).(بودون، ٢٠١٠، ٢٦٠ – ٢٦١)

ونستنتج من ذلك بأنَّ شريحةً كبيرةً من المجتمع السُّوري ذات تركيبةٍ دينيةٍ محافظةٍ؛ حيث تقوم العقائد الدِّينية بدورٍ مهمٍّ في الحياة الاجتماعية. وتُعد هذه العقائد الدِّينية هي المشروعة في الحكم المجتمعي

على الأفراد من النَّاحية الأخلاقية، فالدِّين يُعتَبر المعيار الأساسي لتفسير الأمور والحكم على أيَّة قضيَّةٍ من خلال معيار الحلال والحرام دون تحدُّثٍ عن مدى صحَّتها أو خطئها.

٢- اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (الاعتقاد بالسِّحر عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

الجدول رقم (37) يبيِّن اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (الاعتقاد بالسِّحر عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
الاعتقاد بالسِّحر	2.30	0.71	-20.787	0.000

يتبيَّن من الجدول(37) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس الاعتقاد بالسِّحر كانت (**2.30**)، وهي درجةٌ أقلُّ من قيمة المتوسط (3)، وهذا فارقٌ جوهريٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.000 أصغر من قيمة α=0.05 .

وبناءً على النظريَّة في العقلانية: **نجد أنَّ بطلان الوهم الناجم في قسمٍ كبيرٍ منه عن التَّطوُّر الدِّيني بالذَّات هو الذي أقصى السِّحر وأقام مكانه العلم، لكنَّه لم يبطل الأوَّل تماماً. إنَّ تصوُّراً يجعل من الله سيِّداً كليَّ القدرة يميل حتماً إلى إبطال السِّحر، إنَّ فكرة الإله الواحد تميل إلى الغضِّ من أهمِّيَّة الطُّقوسية لصالح الأخلاق.** (بودون، ٢٠١٠، ١٨٥ - ١٩٠)

أي أنَّ الاعتقاد بالسِّحر كان ضعيف الانتشار بين الطَّلبة، وهذه نتيجةٌ تتوافق مع وضع الطَّالب الجامعي من حيث تعليمه وتلقيه للمعلومات النَّاتجة عن الثَّورة التُّكنولوجية والمعلوماتية، ومن ناحيةٍ أخرى تحريم الدِّين للسِّحر والذي جعل من الاعتقاد بالسِّحر مسألةً نادرةً بين الطَّلبة الجامعيِّين.

٣- اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (العادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

الجدول رقم (38) يبيِّن اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (العادات والتَّقاليد عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
العادات والتَّقاليد(مفهوم الثَّأر والنّسب)	2.98	0.68	-0.771	0.441

يتبيَّن من الجدول(38) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس مدى انتشار التَّمسُّك بعادة الثَّأر والنّسب كانت (2. 98)، وهي درجة أقل من قيمة المتوسط (3)، وهذا فارقٌ غير دالٍّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية .sig=0. 441 أكبر من قيمة α=0.05؛ أي: أنَّ مدى انتشار التَّمسُّك بعادة الثَّأر والنّسب كان متوسط الانتشار بين الطَّلبة.

نستنتج بأنَّ ظاهرة الثَّأر والنّسب ضعيفة في المجتمع السُّوري عموماً وخاصَّةً بين الطَّلبة الجامعيِّين الذين ينظرون إليها كعاداتٍ باليةٍ يجب التَّخلُّص منها بحكم وجود مؤسَّساتٍ قانونيَّةٍ، وعقلنة العديد من القيم الاجتماعية التي كانت سائدةً في المجتمع.

٤- اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

الجدول رقم (39) يبين اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة	3.33	0.45	15.566	0.000

يتبيَّن من الجدول(39) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس مدى انتشار النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة كانت (3.33)، وهي درجة أكبر من قيمة المتوسط (3)، وهذا فارقٌ غير دالٍّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية .sig=0. 000 أقل من قيمة α=0.05

أي أنَّ مدى انتشار النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة كان مرتفع الانتشار بين الطَّلبة، وهذا لا يتناقض مع واقع المجتمع السُّوري الذي ينظر إلى مكانة المرأة في المجتمع منطلقاً من العادات والتَّقاليد من ناحية، ومن منطلقٍ دينيٍّ من ناحيةٍ أخرى، فالكثير من العادات استطاع المجتمع السُّوري أن يتجاوزها وبحكم تغييرها لم تمس القيم الجوهرية لطبيعة المجتمع المحافظ، أمَّا مكانة المرأة؛ فهي تُعدُّ من المسائل المرتبطة بالشَّرف والقيم الأخلاقية التي ترفع من شأن العائلة أو العشيرة؛ لذلك نجد حتَّى هذه اللَّحظة أنَّ الكثير يعارض مسألة تغيير المكانة الموروثة للمرأة، والبعض يعارض حقوق المرأة في العمل والتَّعليم والذي يحدُّ من تجاوز النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة.

٥-اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (التَّمسُّك بالتُّراث عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

الجدول رقم (40) يبين اختبار T–testلمجموعةٍ واحدةٍ (التُّراث عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
التُّراث	2.87	0.69	-4.191	0.000

يتبيَّن من الجدول(40) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس مدى التمَّسك بالتُّراث هي (2.87)، وهي درجةٌ أقلُّ من قيمة المتوسط (3)، وهذا الفارق دالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية .sig=0 000 أقل من قيمة α=0.05؛ أي: أنَّ مدى انتشار التَّمسُّك بالتُّراث كان متوسط الانتشار بين الطَّلبة.

نستنتج من ذلك بأنَّ هناك شريحةً من الطَّلبة تتمَّسك بالتُّراث العربي الإسلامي وتراه يصلح للحاضر والمستقبل، وهذا ناتجٌ عن عوامل عديدة؛ أولاً: الكتب والمناهج التَّعليميَّة التي درست التُّراث العربي الإسلامي تاريخيّاً بمثاليَّة دون أيِّ نقدٍ أو تمحيصٍ لحقائق ذلك التُّراث. ثانياً: عدم تعرُّض التُّراث العربي الإسلامي لأيِّ نقدٍ حقيقيٍّ بمنهجيَّة. ثالثاً: استفادت الدُّول المتعاقبة في المنطقة ذات الحكم الدِّيني بالتَّرويج للتُّراث الإسلامي ونشرها لغاياتٍ مرتبطةٍ بالسَّيطرة على خيرات الشُّعوب خاصَّةً في فترة الحكم العثماني، والتي بقي أثرها حتَّى الآن معلَّقاً في أذهان الشَّعب العربي.

٦- اختبار T–testلمجموعةٍ واحدةٍ (الوعي بمبدأ المواطنة عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

الجدول رقم (41) يبين اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (الوعي بمبدأ المواطنة عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
الوعي بمبدأ المواطنة	3.13	0.46	6.013	0.000

يتبيَّن من الجدول(41) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس درجة الوعي بالمواطنة هي (**3.13**)، وهي درجةٌ أكبر من قيمة المتوسط (3)، وهذا الفارق دال إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية .sig=0. 000 أقل من قيمة α=0.05؛ أي: أنَّ مدى انتشار الوعي بالمواطنة كان واسع الانتشار بين الطَّلبة.

وهذا يعود إلى أنَّ التَّطوُّر الحاصل في العالم في مجال العلم والتكنولوجية والمعلوماتية ووسائل الإعلام وحقوق الإنسان أتاح الفرصة للطالب السوري أن يعرف ماذا يحدث في المجتمعات الأخرى، كما أنَّ معرفته بواقع المشكلات المرتبطة بمؤسسات الدَّولة من فسادٍ ورشوةٍ ومحسوبيات والذي له أثرٌ كبيرٌ في إضعاف مبدأ المواطنة في المجتمع دفع بالطَّالب الجامعي لمعرفة مدى أهمِّيَّة ترسيخ مبدأ المواطنة في المجتمع السوري.

٧- اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (المعوقات الاجتماعية ككل عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

الجدول رقم (42) يبين اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (المعوقات الاجتماعية ككل عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
المعوقات الاجتماعية ككل	3.04	0.35	2.420	0.016

يتبيَّن من الجدول(42) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس درجة التأثُّر بالمعوقات الاجتماعية ككل هي (**3.04**)، وهي درجةٌ أكبر من قيمة المتوسط (3)، وهذا الفارق دال إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية **0.016** =sig أقل من قيمة 0.05=α؛ أي: أن درجة تأثر المعوقات الاجتماعية ككل كان واسع الانتشار بين الطَّلبة. نستنتج من ذلك بأنَّ تأثير العادات والتَّقاليد والدِّين وضعف مبدأ المواطنة لها تأثيرٌ واضحٌ على أبناء المجتمع السوري عموماً.

٨- اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (التَّفكير العقلاني العلمي عند المقارنة مع الدَّرجة ٣

الجدول رقم (43) يبين اختبار T-testلمجموعةٍ واحدةٍ (التَّفكير العقلاني العلمي عند المقارنة مع الدَّرجة ٣)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير العقلاني العلمي	3.49	0.44	23.798	0.000
درجات الحرِّيَّة	454			
المجموع	455			

يتبيَّن من الجدول(43) أنَّ فارق متوسط قيم الخاضعين للبحث على المقياس الذي يقيس درجة التَّفكير العقلاني العلمي هي (**3.49**)، وهي درجةٌ أكبر من قيمة المتوسط (3)، وهذا الفارق دالٌّ إحصائيَّاً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig **0.000** أقل من قيمة α=0.05 .

نستنتج من نتائج الجدول (43) أنَّ انتشار التَّفكير العقلاني العلمي كان واسع الانتشار بين طلبة جامعة دمشق. وهذا يعود إلى عوامل عديدة؛ أولاً: بحكم تعليمهم ووصولهم للمرحلة الجامعية، فهم أكثر شريحة في المجتمع لها إقبالٌ على الكتب العلمية ووسائل التكنولوجيا والمعلوماتية والتي تجعل منهم الشَّريحة الأكثر اعتقاداً بالعلم.

وبناءً على النظريَّة العامة في العقلانية نجد بأنَّه يمكن أن نعرض واقع المعتقدات العلمية استناداً إلى هذا الإيضاح المفهومي. لقد أورد فيلفريدو باريتو أنَّ تاريخ العلوم هو مقبرةٌ للأفكار الخاطئة التي اعتقدت البشرية بها على ذمَّة رجال العلم، وبعبارةٍ أخرى، فإنَّ العلم ينتج أفكاراً خاطئة بمثل السُّهولة التي ينتج فيها أفكاراً صحيحةً، وإنَّ عملية الفصل بينهما تتمُّ على المديين المتوسط والبعيد. لكن أحداً لا يجازف بالقول إنّ الأفكار العلمية الخاطئة التي سجلها تاريخ العلوم تم اقتراحها وتبنيها من قبل العلماء بتأثير من علل لا عقلانية، إما لأنهم يشكون من قصور في تركيبتهم الذهنية، وإما لأن الانحيازات المعرفية ألقت غشاوة على أفكارهم.(بودون، ٢٠١٠، ١٠٦ – ١٠٧)

الفصل الثالث: العلاقات بين متغيرات البحث (المجموعات المستقلَّة)

أولاً: اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات الدِّراسة – الجنس)

اختبار (ت) للمجموعات المستقلَّة (ndependent-Samples T-Test) لدراسة الدَّلالة الإحصائية للفروق بين متوسطين حسابيين لمجموعتين من الخاضعين للبحث في أحد المتغيرات من نوع المسافة أو النّسبة (Interval Or Ratio) .

١- العلاقة بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني ومتغير الجنس.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني، (محاولة التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير الدِّيني حسب متغير الجنس بين طلبة جامعة دمشق)، والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرَّئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني و متغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (44) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير الدِّيني – الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير الدِّيني	ذكر	188	3.51	0.59	-4.015	453	0.000
	أنثى	267	3.72	0.52			

يتَّضح من الجدول (44)أنَّه يوجد فرقٌ بين الذُّكور والإناث بالنّسبة لانتشار التَّفكير الدِّيني، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائيَّاً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.000 أصغر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الإناث إذ بلغ متوسط التَّفكير الدِّيني لدى الإناث **3.72** =× منه لدى الذكور (× = **3.51**).

نجد بأنّه ليس هناك فروقٌ كبيرةٌ بين درجة التَّفكير الدِّيني تبعاً لمتغير الجنس؛ وذلك يعود لعوامل عديدة؛ منها: تلقي الذُّكور والإناث من الطَّلبة لتعليم ومناهج وتربية ووسائل إعلام مشتركة فهم يعيشون في بيئةٍ واحدةٍ، وهذا الفرق البسيط لصالح الإناث في التَّفكير الدِّيني يعود لعادات وتقاليد المجتمع السوري الذي يعطي للذكر قدراً أكبر من الحرية والتمرُّد على الواقع؛ لذلك التحرُّر من بعض العقائد الدِّينية نجدها عند الذكور أكثر منها لدى الإناث.

٢- العلاقة بين درجة الاعتقاد بالسِّحر ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

- معرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني، (محاولة التَّعرُّف إلى مدى انتشار الاعتقاد بالسِّحر حسب متغير الجنس بين طلبة جامعة دمشق). والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرَّئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسِّحر ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسحر ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (45) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الاعتقاد بالسِّحر – الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
الاعتقاد بالسِّحر	ذكر	188	2.07	0.66	-6.053	453	0.000
	أنثى	267	2.47	0.71			

يتَّضح من الجدول(45)أنَّه يوجد فرقٌ بين الذُّكور والإناث بالنّسبة لانتشار التَّفكير بالسِّحر، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.000 أصغر من قيمةα=0.05 وهو فرقٌ لصالح الإناث؛ إذ بلغ متوسطها الحسابي**2.47** = × أي أنَّ التَّفكير بالسِّحر هو الأكثر لدى الإناث منه لدى الذكور (**2.07** = ×).

نجد بأنَّ هناك فروقاً في الاعتقاد بالسِّحر لصالح الإناث، وهذا يُعزَى لعوامل مرتبطة بطبيعة المجتمع السُّوري والتي تعطي قدراً من الأهمِّيَّة لمسألة العادات والتَّقاليد المتوارثة خاصَّةً الاعتقاد بالسِّحر وارتباطه بقضيَّة الزَّواج والطَّلاق، فنجد حتَّى هذه اللَّحظة قسماً من المثقفين يعتقدون بهذه الممارسات والطُّقوس، ويتردَّدون على السَّحرة، وهذا الاعتقاد بالسِّحر أكثر من يزاوله هم النِّساء في المجتمع السُّوري بذهابهن إلى السَّحرة دون علم الرِّجال؛ لذلك تتعلَّم الفتاة من الأم هذه الأساليب السِّحرية التي تخفى على الذُّكور؛ لذلك تكون الأنثى أكثر اعتقاداً بالسِّحر من الذَّكر.

٣- العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث، التَّعرُّف على درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد(الثَّأر- النّسب) والتُّراث وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والتخصص، والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (46) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (العادات والتَّقاليد – الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
العادات والتَّقاليد	ذكر	188	2.91	0.69	-1.761	453	0.079
	أنثى	267	3.02	0.67			

يتَّضح من الجدول (46) بينما يوجد فروق بين الذكور والإناث بالنّسبة لمتغير العادات، لكن هذا الفارق بينهم غير جوهري وغير معنوي؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.079 أكبر من قيمةα=0.05. نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05. نستنتج من ذلك بأنَّ العادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) لم يبقَ لها دورٌ مهمٌّ في الحياة الاجتماعية لدى الطَّلبة من الذكور والإناث على حدٍّ سواء. كما نجد بأنّ درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر– النّسب) لدى الإناث أكبر من الذكور وهذا مرتبطٌ بطبيعة المجتمع السوري الذي يتَّسم بأنَّه مجتمعٌ ذكوريٌّ محافظٌ والتي تحد من وقوف المرأة ضد عادات وتقاليد المجتمع البالية على الرغم من تجاوز هذه العادات (النّسب – والثَّأر) من قبل الكثير من أبناء المجتمع السوري.

٤– العلاقة بين النَّظرة لمكانة المرأة ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الرَّابع في التَّعرُّف لنظرة الطَّالب(ة) الجامعي لمكانة المرأة في المجتمع وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة ومتغير الجنس في جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة ومتغير الجنس في جامعة دمشق.

الجدول (47) يبين الاختبار T–test للمجموعات المستقلَّة (النَّظرة الموروثة للمرأة– الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة	ذكر	188	3.30	51	-1.112	453	0.267
	أنثى	267	3.35	0.40			

يتَّضح من الجدول (47) أنَّه يوجد فروقٌ بين الذكور والإناث بالنّسبة لمتغير النَّظرة للمرأة، لكن هذا الفارق بينهم غير جوهري وغير معنوي؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.267 أكبر من قيمة α=0.05. نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05. نجد بأنَّ الفروق بين الذكور والإناث بسيطة من حيث نظرتهم الموروثة لمكانة المرأة؛ وذلك يعود لعدة عوامل أولاً: المعرفة التي تتلقَّاها الأنثى هي ذات المعرفة التي يتلقَّاها الذكر من الأسرة والحي إلى المدرسة ووسائل الإعلام، ثانياً: تعيد الأنثى ذاتها عملية استلاب حقوق المرأة في المجتمع، وتؤيِّد الكثير من الأحكام الجائرة بحقِّ المرأة؛ لأنَّها تصبح جزءاً من طبيعة وثقافة المجتمع الذكوريَّة.

٥-العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

- معرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث (محاولة التَّعرُّف إلى درجة التَّمسُّك بالتُّراث حسب متغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق) والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (48) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّمسُّك بالتُّراث – الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التُّراث	ذكر	188	2.80	0.77	-1.805	453	0.072
	أنثى	267	2.91	0.61			

يتَّضح من الجدول (48) يوجد فروق بين الذكور والإناث بالنّسبة لمتغير النَّظرة للتراث، لكن هذا الفارق بينهم غير جوهري وغير معنوي؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية **072** .0=sig أكبر من قيمة

α=0.05. . نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05. نجد بأنَّ هناك فرقاً لصالح الإناث بدرجة التَّمسُّك بالتُّراث؛ وهذا يرجع لعدة عوامل؛ أولاً: طبيعة المجتمع السوري الذي يُخضِع المرأة لعادات وتقاليد المجتمع، ثانياً: دفاع المرأة عن التُّراث يصبح بوجهة نظرها جزءاً من أخلاقها وشرفها؛ أي: بمعنى آخر التَّمسُّك بالتُّراث يرفع من شأنها في المجتمع دون معرفتها بأنَّ هذا التُّراث هو الذي هدر حقَّها.

٦- العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الخامس(التَّعرُّف لمدى الوعي بمبدأ المواطنة وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.) والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (49) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (درجة الوعي بمبدأ المواطنة – الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
المواطنة	ذكر	188	3.01	0.51	-4.934	453	0.000
	أنثى	267	3.21	0.39			

يتَّضح من الجدول (49) أنَّه يوجد فرقٌ بين الذُّكور والإناث بالنّسبة إلى إدراك غياب مفهوم المواطنة، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائيَّاً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.000 أصغر من

قيمة $\alpha=0.05$، وهو فرقٌ لصالح الإناث؛ أي: أنَّ إدراك غياب المواطنة هو الأكثر لدى الإناث إذ يبلغ متوسطها الحسابي **3.21** =× منه لدى الذكور(**3.01** =×).

نجد بأنَّ هناك فرقاً في درجة الوعي بالمواطنة لصالح الإناث، وهذا الفرق يعود لعوامل؛ أولاً: قد تكون درجة اهتمام الأنثى بمسائل حقوق الإنسان والمجتمع المدني ومبدأ المواطنة أكثر من الذكر، ثانياً: الأنثى تكون عاطفية أكثر، وتعبِّر عن واقع مؤسسات الدَّولة وما فيها من فسادٍ أكثر من الذكور؛ لذلك النتيجة كانت لصالحهم في درجة الوعي بمبدأ المواطنة، ثالثاً: بعد القفزات النوعية في مجال التعليم نجد نسبة الإناث في الكثير من الكلِّيَّات تزيد عن نسبة الذكور وفي بعض الفروع الجامعية تصل نسبة الإناث إلى (% 90)، وهذا بدوره يعطي الأنثى معرفةً بالواقع الاجتماعي الذي نعيشه من ضعف تطبيق مبدأ المواطنة.

٧- العلاقة بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف السَّادس(التَّعرُّف إلى دور المعوقات الاجتماعية ككل في إعاقة التَّفكير العقلاني العلمي وأيّهما أكثر إعاقة للتفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة) والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (50) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (المعوقات الاجتماعية ككل – الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
المعوقات الاجتماعية ككل	ذكر	188	2.93	0.40	-5.676	453	0.000
	أنثى	267	3.12	0.29			

يتَّضح من الجدول (50) أنَّه يوجد فرقٌ بين الذكور والإناث بالنّسبة للمعوقات الاجتماعية للتفكير العقلاني ككل، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.000 أصغر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الإناث؛ أي: هو الأكثر لدى الإناث إذ بلغ متوسطها الحسابي **3.12** = × منه لدى الذكور (**2.93** =×).

وهذه النتيجة تتَّفق مع الواقع الاجتماعي؛ فالإناث هنَّ أكثر تمسُّكاً بالعادات والتَّقاليد والتُّراث، وأكثر اعتقاداً بالسِّحر، وهنَّ ذات تفكيرٍ دينيٍّ أكثر؛ فهم يخضعون للواقع الاجتماعي بكلِّ ضوابطه؛ لذلك تجد دفاعها عن هذه المسائل أكثر من الذكور لإثبات أخلاقها التي تقاس في المجتمع بهذا الشَّكل.

٨- العلاقة بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف السَّابع (التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الجنس لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (51) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير العقلاني العلمي – الجنس)

المتغير	الجنس	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير العقلاني العلمي	ذكر	188	3.45	0.49	-1.695	453	0.091
	أنثى	267	3.52	0.40			

يتَّضح من الجدول (51) أنَّه يوجد فروقٌ بين الذُّكور والإناث بالنّسبة لمتغير التَّفكير العقلاني العلمي، لكن هذا الفارق بينهم غير جوهري وغير معنوي؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.091أكبر من قيمة α=0.05. نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05. نستنتج بأنَّ هناك فرقاً بسيطاً بين الذكور والإناث من حيث درجة تفكيرهم العقلاني العلمي، وهذه نتيجةٌ منطقيةٌ تتوافق مع الواقع الاجتماعي من حيث يتلقَّى الطَّلبة الذكور والإناث المعرفة ذاتها من الجامعات والمدارس ووسائل الإعلام، و يتوفر لكليهما وسائل التكنولوجيا ذاتها والانترنت، وهذا الفرق الحاصل لصالح الإناث يرجع لزيادة نسبة تعليم الإناث فبقدر ما تدافع الأنثى عن الدِّين والتُّراث تجدها تدافع عن العلم وهذه الازدواجية تُعَدُّمن سمات العقلية العربية عموماً.

ثانياً: اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات الدِّراسة – مكان الإقامة)

١٦- العلاقة بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني، (محاولة التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير الدِّيني حسب متغير الإقامة بين طلبة جامعة دمشق). والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل .

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.
فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني و متغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (52) يبين الاختبار T–test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير الدِّيني – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير الدِّيني	ريف	157	3.71	0.60	1.993	453	0.047
	مدينة	298	3.60	0.53			

يتَّضح من الجدول(52) أنَّه يوجد فرقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة لانتشار التَّفكير الدِّيني، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.047 أصغر من قيمة α=0.05 وهو فرقٌ لصالح الريف؛ أي: أنَّ التَّفكير الدِّيني في الريف متوسطها الحسابي (**3.71** =×) أكثر منه في المدينة (**3.60** =×).

نستنتج من ذلك بأنَّ الطَّلبة القاطنين في الريف هم أكثر تديُّناً من الطَّلبة القاطنين في المدينة، وهذا يتوافق مع الواقع الاجتماعي من حيث طبيعة الريف التي تتمَّسك بالعادات والتَّقاليد والعقائد الدِّينية أكثر من المدينة، ومن حيث إنَّها ذات نشاطٍ اقتصاديٍّ زراعيٍّ والذي يعتمد على المسائل المرتبطة بالقضاء والقدر، ويجعل من الدِّين مركزياً في الحياة الاجتماعية.

١٧- العلاقة بين درجة الاعتقاد بالسِّحر ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني، (محاولة التَّعرُّف إلى مدى انتشار الاعتقاد بالسِّحر حسب متغير الإقامة بين طلبة جامعة دمشق). والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسحر ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسِّحر ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (53) يبين الاختبار T–test للمجموعات المستقلَّة (الاعتقاد بالسِّحر – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
الاعتقاد بالسِّحر	ريف	157	2.38	0.75	–3.008	453	0.003
	مدينة	298	2.17	0.62			

يتَّضح من الجدول(53) أنَّه يوجد فرقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة للاعتقاد بالسحر، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائيَّاً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig0.003 أصغر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الريف؛ إذ يبلغ متوسطها الحسابي(**2.38** =×)؛أي: أنَّ الاعتقاد بالسحر في الريف أكثر منه في المدينة (**2.17** =×) .

نستنتج من ذلك بأنّ هناك فرقاً في الاعتقاد بالسحر بين الريف والمدينة، وهذا الفرق لصالح الريف بالاعتقاد بالسحر، وهذا يتَّفق مع الواقع الاجتماعي في الريف بعدم توفُّر الوعي الكافي الذي يؤدِّي إلى تصديق الأمور المرتبطة بالسحر؛ حيث تُعَدُّ بيئةً ملائمةً أكثر من المدينة لممارسة الطُّقوس السحرية ومدى استمراريَّتها، فهناك أوقات فراغٍ في الريف أكثر من المدينة بحكم اعتمادها على المحاصيل الموسمية؛ لذلك يتمُّ الحديث في الريف عن السحر والخرافات والأساطير أكثر من المدينة، ويتمُّ تناقلها عبر الأسرة الممتدة التي تجمع جميع الأوَّلاد المتزوجين في البيت نفسه، كما أنَّ النَّشاط

الزراعي يعطي أهمِّيَّةً للمسائل القدريَّة بحكم اعتمادها على الأمطار أو على السماء، فعندما يُصَاب أحدهم بمرضٍ خطيرٍ؛ نجده يلجأ للمشعوذ أو الساحر للتخلُّص ممَّا أصابه عوضاً عن اللجوء إلى الطبيب لتشخيص الأمراض.

وبناءً على النظريَّة العامة في العقلانية – **نظرية في أصل المعتقدات السحرية ودلالاتها: تقتضي هذه النظريَّة أولاً، بأن ندرك أنَّ علم البدائي يختلف عن علم الإنسان الغربي؛ لأنَّه لم يتسنَّ للأوَّل التَّدرُّب على منهجيَّة الاستدلال السببي التي يتقنها الثَّاني، ولم يكن ثمَّة ما يضطره إلى إحكام مبادئ البيولوجيا أو علم الفيزياء.**

يفترض سير الحياة اليوميَّة، وكذلك الإنتاج الزراعي وصيد الأسماك، أو تربية المواشي جميع أنواع المهارات. وإذا كان قسمٌ كبيرٌ من هذه المهارات يجري اكتسابه عن طريق الخبرة، سواءٌ في مجتمعنا أو في المجتمعات التقليدية؛ فإنَّ معطيات الخبرة هذه لا تتَّخذ معنى إلَّا على خلفيَّة التصوُّرات الشائعة أو النظريَّة لكلٍّ من الحياة، والنُّمو، والموت، والغذاء، والمسارات الحياتيَّة عموماً. ولمَّا كان يستحيل استخلاص هذه التصورات مباشرة من الخبرة؛ فقد كان البدائي يستمدها عادةً من مخزون المعارف المتاح له والمشروع، شرطٌ واحدٌ جوهريٌّ هو عدم ترك الفكر أسير المظاهر الحسية، وتدريبه على إحكام السيطرة عليها والتقريب بين ما تباعده الحواس. تخولنا نظرية دوركهايم أن نفهم لماذا يبدو السحر أكثر تطوُّراً في المجتمعات التي يهيمن عليها نشاطٌ اقتصاديٌّ صدفويٌّ؛ كصيد السمك والزراعة أكثر منه في المجتمعات التي تتمَّيز بنشاطٍ أقل صدفوية؛ كالقطاف، في حين تجري سائر الأشياء على وتيرةٍ واحدةٍ، كما سبق أن أشار إلى ذلك موس. (بودون، ٢٠١٠ ، ٢٦٠، ٢٧٠)

١٨– العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد(الثَّأر – النّسب) ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث، والتَّعرُّف على درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد(الثَّأر– النّسب) والتُّراث وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والتخصُّص. والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر– النّسب) ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر– النّسب) ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (54) يبين الاختبار T–test للمجموعات المستقلَّة (العادات والتَّقاليد – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
العادات والتَّقاليد(الثَّأر – النّسب)	ريف	157	2.99	0.69	– 0.743	453	0.458
	مدينة	298	2.94	0.67			

يتَّضح من الجدول (54) بأنه يوجد فروقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة لمتغير العادات، لكن هذا الفارق بينهم غير جوهري وغير معنوي؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.458 أكبر من قيمة α=0.05. . نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05.

نستنتج من ذلك بعدم وجود علاقةٍ ذات دلالةٍ معنويَّةٍ بين متغير الإقامة والعادات والتَّقاليد(الثَّأر– النّسب)، حيث نجد بأنَّ الكثير من العادات والتَّقاليد أصبحت باليةً في نظر أبناء المدينة والريف على حدٍّ سواء؛ وذلك لسيادة حكم القانون ونشوء المؤسَّسات القضائية والعقابية التي قلَّصت من ظاهرة الثَّأر، وكذلك نتيجة انتشار التعليم في كل من الريف والمدينة، وبذلك أصبحت ظاهرة التفاخر بالنّسب نادرةً، فهذه العادات والتَّقاليد تتمُّ عقلنتها من خلال انتشار مؤسَّساتٍ بديلةٍ موجودةٍ في المجتمع؛ كالمؤسَّسات الحديثة القضائيَّة، والسِّياسيَّة، والأمنيَّة، والتعليميَّة.

١٩- العلاقة بين نظرة طلبة جامعة دمشق لمكانة المرأة ومتغير الإقامة.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الرَّابع في التَّعرُّف لنظرة الطَّالب(ة) الجامعي لمكانة المرأة في المجتمع وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة ومتغير الإقامة في جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة ومتغير الإقامة في جامعة دمشق.

الجدول(55) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة	ريف	157	3.35	0.44	0.684	453	0.494
	مدينة	298	3.32	0.46			

يتَّضح من الجدول(55) أنَّه يوجد فروقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة لمتغير النَّظرة للمرأة، لكنَّ هذا الفارق بينهم غير جوهريٍّ وغير معنويٍّ؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig0.494 أكبر من قيمة α=0.05. نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05.

نجد بأنَّ الارتباط غير معنويٍّ بين مكان الإقامة والنَّظرة الموروثة لمكانة المرأة؛ لذلك نستنتج بأنَّ هناك فرقاً لا يُذكَر بين المدينة والريف في النَّظرة لمكانة المرأة، وهذا يعود لعوامل عديدة منها؛ أنَّ المجتمع العربي بريفه ومدنه مجتمعٌ محافظٌ ذو نظرةٍ قريبةٍ بالنّسبة لمكانة المرأة في المجتمع، والتغيُّر الذي أصاب هذه النَّظرة لمكانة المرأة كانت على مستوى الريف والمدينة على حدٍّ سواء.

٢٠- العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث (محاولة التَّعرُّف إلى درجة التَّمسُّك بالتُّراث حسب متغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق) والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الإقامة طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (56) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّمسُّك بالتُّراث – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التُّراث	ريف	157	2.96	0.60	2.063	453	0.040
	مدينة	298	2.82	0.72			

يتَّضح من الجدول(56) أنَّه يوجد فرقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة لدرجة التَّمسُّك بالتُّراث، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig0.040 أصغر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الريف إذ يبلغ متوسطها الحسابي **2.96** =× أي أنَّ درجة التَّمسُّك بالتُّراث في الريف أكثر منه في المدينة (**2.82** =×).

نستنتج من ذلك بأنَّ أبناء الريف أكثر تمسُّكاً من أبناء المدينة بالتُّراث العربي الإسلامي، وهذه نتيجةٌ منطقيَّةٌ تتوافق مع الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع العربي في الريف فما تزال مفاهيم القوة والعادات والتَّقاليد والتُّراث موجودةً في الذهنية العربية وخاصَّةً عندما تكون حول الحضارة العربية الإسلامية نجد أبناء الريف هم أكثر دفاعاً عنها.

٢١- العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الخامس(التَّعرُّف على مدى الوعي بمبدأ المواطنة وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.)والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الإقامة طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (57) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الوعي بمبدأ المواطنة – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
المواطنة	ريف	157	3.12	0.40	-0.178	453	0.859
	مدينة	298	3.13	0.48			

يتَّضح من الجدول(57) أنه يوجد فروقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة لمتغير الوعي بمبدأ المواطنة، لكنَّ هذا الفارق بينهم غير معنوي؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig0.859 أكبر من قيمة α=0.05. نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05. وهذا الفرق لصالح المدينة؛ أي: الطَّلبة من أبناء المدينة هم أكثر وعياً بمبدأ المواطنة من الطَّلبة أبناء الريف.

نلاحظ بعدم وجود ارتباط معنوي بين متغير مكان الإقامة ومتغير درجة الوعي بمبدأ المواطنة، ونستنتج بأنَّ الفروق بين الطَّلبة من أبناء المدينة والريف بسيطة؛ أي: هناك درجةٌ في الوعي بمبدأ

المواطنة والمجتمع المدني وحقوق الإنسان ومعرفة ما يحدث في مؤسَّسات الدَّولة من فسادٍ ورشوةٍ ومحسوبياتٍ، وهذا يعود إلى أنَّه أصبحت وسائل معرفتها من تعليم إلى وسائل إعلام إلى الانترنيت متاحةً للطلبة من أبناء الريف والمدينة على حدٍّ سواء، وإن كانت متوفرة وسائل الثقافة من مكتبات وجامعات في المدينة أكثر من الريف، وهذا يعود للفرق الذي حدث بين الريف والمدينة.

٢٢- العلاقة بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف السَّادس(التَّعرُّف إلى دور المعوقات الاجتماعية ككل في إعاقة التَّفكير العقلاني العلمي وأيهما أكثر إعاقة للتفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة) والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الإقامة طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (58) يبين الاختبار T–test للمجموعات المستقلَّة (المعوقات الاجتماعية ككل – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
المعوقات الاجتماعية ككل	ريف	157	3.04	0.30	0.097	453	0.923
	مدينة	298	3.04	0.37			

يتَّضح من الجدول (58) أنَّه لا يوجد فروقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة لمتغير المعوقات الاجتماعية ككل، لكن هذا الفارق بينهم غير جوهريٍّ وغير معنويٍّ؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig0.923 أكبر من قيمة α=0.05. نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05.

٢٣- العلاقة بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف السَّابع (التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الإقامة طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الإقامة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (59) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير العقلاني العلمي – مكان الإقامة)

المتغير	الإقامة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير العقلاني العلمي	**ريف**	**157**	**3.46**	**0.45**	**-0.929**	**453**	**0.353**
	مدينة	**298**	3.50	0.43			

يتَّضح من الجدول (59) أنَّه يوجد فروقٌ بين الريف والمدينة بالنّسبة لمتغير التَّفكير العقلاني العلمي، لكنَّ هذا الفارق بينهم غير معنوي؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig0.353 أكبر من قيمة α=0.05. نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05.

نلاحظ عدم وجود علاقةٍ معنويَّةٍ بين متغير الإقامة والتَّفكير العقلاني العلمي، ونستنتج من ذلك بأنَّ درجة التَّفكير العقلاني العلمي التي توصل إليها العقل البشري تجاوزت حدود الريف والمدينة، فالعالم أصبح قريةً صغيرةً من خلال وسائل التّكنولوجيا الحديثة من فضائيات وانترنيت، بالإضافة إلى انتشار التَّعليم في كافَّة المناطق السورية بريفها ومدنها، فهذه الكثافة في ضخ المعلومات هزَّت الكثير من القيم الغيبية في المجتمع سواءٌ في الريف أو المدينة.

ثالثاً: اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات الدِّراسة – الكلِّيَّة)

٢٤- العلاقة بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني، (محاولة التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير الدِّيني حسب متغير الكلِّيَّة بين طلبة جامعة دمشق). والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل .

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير الدِّيني و متغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (60) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير الدِّيني – الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير الدِّيني	نظرية	291	3.67	0.56	1.984	453	0.048
	تطبيقية	164	3.57	0.55			

يتَّضح من الجدول (60) بأنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة لانتشار التَّفكير الدِّيني، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية 0.048 =sig أصغر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الكلِّيَّات النظريَّة؛ إذ يبلغ متوسطها الحسابي **3.67** =× ؛ أي: أنَّ التَّفكير الدِّيني لدى طلبة الكلِّيَّات النظريَّة أكثر منه لدى طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة(**3.57** =).

نستنتج من ذلك: أنَّ الكلِّيَّات النظريَّة ذات تفكيرٍ دينيٍّ أكثر من الكلِّيَّات التطبيقيَّة، وتبدو نتيجةً منطقيَّةً إلى حدٍّ ما؛ حيث يميل تفكير طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة إلى العلم والمنطق أكثر من الكلِّيَّات النظريَّة بحكم تخصُّصاتهم، كما أنَّ طلبة الكلِّيَّات العلمية هم ذوو تحصيلٍ علميٍّ أعلى في مرحلة الثانوية، وهم على الأغلب أكثر اطِّلاعاً من الطَّلبة الذين يدخلون الفروع النظريَّة، طبعاً هذا لا يتوافق مع كلِّ الدراسات التي أجريت في البلاد العربية، فهناك نتائج دراسات أثبتت أنَّ الكلِّيَّات النظريَّة هي ذات تفكيرٍ عقلاني علمي أكثر من الكلِّيَّات النظريَّة، ودراسات توصَّلت لنتائج عكس ذلك .

٢٥- العلاقة بين درجة الاعتقاد بالسحر ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني، (محاولة التَّعرُّف إلى مدى انتشار الاعتقاد بالسحر حسب متغير الكلِّيَّة بين طلبة جامعة دمشق). والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسحر ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسحر ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (61) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الاعتقاد بالسحر – الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
الاعتقاد بالسحر	نظرية	291	2.40	0.68	4.043	453	0.000
	تطبيقية	164	2.13	0.73			

يتَّضح من الجدول(61) أنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة للاعتقاد بالسحر، وهذا الفرق معنوي ودال إحصائياً لأن قيمة مستوى المعنوية =sig0.000 أصغر من قيمة α=0.05 وهو فرق لصالح الكلِّيَّات النظريَّة إذ يبلغ متوسطها الحسابي **2.40** =× أي أن الاعتقاد بالسحر لدى طلبة الكليات النظريَّة أكثر منه لدى طلبة كليات التطبيقيَّة (**2.13** =×).

نستنتج من ذلك بأن الكلِّيَّات النظريَّة هم أكثر اعتقاداً بالسحر من الكلِّيَّات التطبيقيَّة وهذا قد يعود لعوامل مرتبطة بطبيعة التخصص الأكاديمي إذ أن طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة غالباً ما ترتبط دراستهم بالجانب الرياضي والعلمي ويستخدمون المنطق في تفكيرهم أكثر من الكلِّيَّات النظريَّة.

٢٦- العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث،(التَّعرُّف على درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد(الثَّأر– النّسب) بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والتخصُّص) والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر– النّسب) ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر– النّسب) ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (62) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (العادات والتَّقاليد – الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
العادات والتَّقاليد	نظرية	291	3.00	0.74	1.113	453	0.266
	تطبيقية	164	2.93	0.56			

يتَّضح من الجدول(62) أنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة للتمسُّك بالعادات والتَّقاليد، وهذا الفرق غير معنويٍّ ودال إحصائياً، لأنَّ قيمة مستوى المعنوية=sig 0.266 أكبر من قيمة α=0.05 . نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05.

ونلاحظ عدم وجود علاقةٍ معنويةٍ بين متغير الكلِّيَّة والعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) وهذا يعود إلى أنَّ هذه العادات والتَّقاليد أصبحت باليةً بنظر أغلب شرائح المجتمع؛ لذلك لم يكن هناك أي علاقةٍ تظهر بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة والعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب).

٢٧- العلاقة بين النَّظرة لمكانة المرأة في المجتمع ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الرَّابع (التَّعرُّف لنظرة الطَّالب(ة) الجامعي لمكانة المرأة في المجتمع وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة). والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة ومتغير الكلِّيَّة في جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين نظرة الطَّالب الجامعي لمكانة المرأة ومتغير الكلِّيَّة في جامعة دمشق.

الجدول (63) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة – الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة	نظرية	291	3.35	0.47	1.322	453	0.187
	تطبيقية	164	3.29	0.42			

يتَّضح من الجدول(63) أنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة لدرجة النَّظرة الدونية للمرأة، وهذا الفرق غير دالٍّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig**0.187** أكبر من قيمة α=0.05 . نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05.

نلاحظ عدم وجود علاقةٍ معنويَّةٍ بين متغير الكلِّيَّة والنَّظرة الموروثة لمكانة المرأة، وهذا يعود لعدة عوامل؛ أولاً: مصدر هذه النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة تعود للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها هؤلاء الطَّلبة من الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة، هذه البيئة المتمَّثلة بعادات وتقاليد المجتمع المحافظ والدِّين التي تنتقل من خلال الأسرة إلى الطَّالب والتي لها الدور الأساسي؛ لذلك نجد بأنّه ليس هناك أي علاقةٍ لمتغير الكلِّيَّة بالنَّظرة الموروثة لمكانة المرأة.

٢٨- العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث (محاولة التَّعرُّف على درجة التَّمسُّك بالتُّراث حسب متغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق) والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسيالأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الكلِّيَّة طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (64) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّمسُّك بالتُّراث – الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التُّراث	نظرية	291	2.97	0.69	4.365	453	0.000
	تطبيقية	164	2.68	0.64			

يتَّضح من الجدول (64) أنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة لدرجة النَّظرة بالتَّمسُّك بالتُّراث، وهذا الفرق جوهريٌّ ودالٌّ إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig**0.000** أكبر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الكلِّيَّات النظريَّة إذ بلغ متوسطها الحسابي 2.97=×؛ أي: أنَّ التَّمسُّك بالتُّراث لدى طلبة الكلِّيَّات النظريَّة أكثر منه لدى طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة(2.68=×).

نلاحظ بأنَّ هناك تمسُّكاً بالتُّراث لدى الكلِّيَّات النظريَّة أكثر من الكلِّيَّات التطبيقيَّة، وهذا يعود لعدَّة عوامل؛ أولاً: يُدرَّس في الكلِّيَّات النظريَّة مواضيع متعلِّقة بالتُّراث والتاريخ العربي الإسلامي ويكون الطَّالب في هذه الفروع أكثر معرفةً واطِّلاعاً من طلبة الفروع التطبيقيَّة التي لا يُدرَّس فيها هكذا مواضيع، ثانياً: طبيعة المناهج في الكلِّيَّات النظرية التي تعطي التُّراث العربي الإسلامي الطابع الحضاري دون نقدٍ لتحريض الطَّالب على دراستها بموضوعيَّة؛ ممَّا يدفع الطَّلبة للتمَّسك بالتُّراث واعتبارها حقيقةً مطلقةً تصلح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ.

٢٩- العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الخامس(التَّعرُّف لمدى الوعي بمبدأ المواطنة وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.) والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسي الأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الكلِّيَّة طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول رقم (65) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (الوعي بمبدأ المواطنة – الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
المواطنة	نظرية	291	3.19	0.43	3.787	453	0.000
	تطبيقية	164	3.02	0.48			

يتَّضح من الجدول (65) أنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة لدرجة إدراك الطَّالب لمبدأ المواطنة، وهذا الفرق جوهريٌّ ودالٌّ إحصائيّاً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig**0.000** أصغر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الكلِّيَّات النظريَّة إذا بلغ متوسطها الحسابي **3.19** = ×؛ أي: أنَّ درجة إدراك مبدأ المواطنة لدى طلبة الكلِّيَّات النظريَّة أكثر منه لدى طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة (3.02. ×)

نلاحظ أنَّ هناك وعياً بمبدأ المواطنة لدى طلبة الكلِّيَّات النظريَّة أكثر من طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة، وهذا يتَّفق مع طبيعة المناهج في الفروع الجامعيَّة النظريَّة التي تهتمُّ بمجال العلوم الإنسانيَّة من مفاهيم المواطنة والمجتمع المدني وغيرها من المفاهيم التي قلَّما تذكر في مناهج الفروع الجامعيَّة التطبيقيَّة.

٣٠- العلاقة بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف السَّادس(التَّعرُّف على دور المعوقات الاجتماعية ككل في إعاقة التَّفكير العقلابي العلمي وأيهما أكثر إعاقةً للتفكير العقلابي العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة) والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسي الأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الكلِّيَّة طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (66) يبين الاختبار T–test للمجموعات المستقلَّة (المعوقات الاجتماعية ككل– الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
المعوقات الاجتماعية	نظرية	291	3.10	0.36	4.603	453	0.000
	تطبيقية	164	2.94	0.31			

يتَّضح من الجدول(66) أنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة لدرجة تأثير المعوقات الاجتماعية ككل، وهذا الفرق جوهريٌّ ودالٌّ إحصائيَّاً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية =sig**0.000** أكبر من قيمة α=0.05، وهو فرقٌ لصالح الكلِّيَّات النظريَّة إذ يبلغ متوسطها الحسابي **3.10** = ×؛ أي: أنَّ درجة التأثير المعوقات الاجتماعية ككل لدى طلبة الكلِّيَّات النظريَّة أكثر منه لدى طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة (**2.94 =** ×).

نلاحظ أنَّ تأثير المعوقات الاجتماعية ككل على طلبة الكلِّيَّات النظريَّة هي أكثر من طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة وهذا يعود لعدة عوامل؛ أوَّلاً: مرتبطة بطبيعة المناهج الدِّراسية المختلفة لدى كلٍّ من الفروع التطبيقيَّة والنظريَّة، ثانياً: مرتبطة أصلاً بالنَّتيجة التي حصل عليها الطَّالب في المرحلة الثانوية والتي تؤهِّله لدخول الفرع العلمي والتي غالباً ما تكون درجاتها أعلى بكثيرٍ من الفروع النظريَّة،

ويساهم في ذلك عوامل التنشئة الاجتماعية؛ كالأسرة، ودرجة التَّحصيل العلمي لدى الوالدين، ودخل الأسرة، ودرجة ثقافتهم، واطِّلاعهم، كل هذا يجعل الطَّالب في الفروع التطبيقيَّة أقل تأثُّراً بالمعوقات الاجتماعية ككل من الطَّالب في الفروع النظريَّة.

٣١- العلاقة بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف السَّابع (التَّعرُّف على مدى انتشار التَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال الفرض الرئيسي الأوَّل.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة انتشار التَّفكير العقلاني العلمي ومتغير الكلِّيَّة لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (67) يبين الاختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (التَّفكير العقلاني العلمي – الكلِّيَّة)

المتغير	الكلِّيَّة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية Sig
التَّفكير العقلاني العلمي	نظرية	**291**	**3.49**	**0.43**	**0.206**	**453**	**0.837**
	تطبيقية	**164**	3.48	0.45			

يتَّضح من الجدول(67) أنَّه يوجد فرقٌ بين الكلِّيَّات النظريَّة والتطبيقيَّة بالنّسبة لانتشار التَّفكير العقلاني العلمي، وهذا الفرق غير جوهري ودال إحصائياً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.837 أكبر من قيمة α=0.05.

نلاحظ عدم وجود علاقةٍ معنويَّةٍ بين متغير الكلِّيَّة والتَّفكير العقلاني العلمي. وهذا يدلُّ على أنَّ درجة مصدر المعرفة التي يتلقَّاها الطَّلبة من مؤسَّسات التنشئة الاجتماعية من الأسرة والمدرسة والإعلام واحدة، وهذا ما جعل درجة تفكيرهم العقلاني العلمي بالدَّرجة نفسها والتي تطبع عقليَّة الطَّالب الجامعي بطريقة تفكيرٍ معيَّنةٍ ممَّا يستبعد دور الفرع الجامعي إن كان تطبيقيَّاً أو نظريَّاً في مدى علاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي.

الفصل الرابع: العلاقات بين متغيرات البحث:(المتغيرات الأساسيَّة)

أوَّلاً: العلاقات بين متغيِّرات البحث:

معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient) لدراسة شدة واتجاه العلاقة الارتباطية بين متغيرين من مستوى المسافة أو النّسبة (Interval Or Ratio). وقد اعتُبِرت العلاقة ضعيفةً جدَّاً إذا تراوحت قيمة معامل بيرسون ما بين صفر-٠.٢٠، وضعيفة ما بين ٠.٢١-٠.٤٠، ومتوسطة ما بين ٠.٤١-٠.٦٠، وقويَّة ما بين ٠.٦١-٠.٨٠ ، وقويَّة جدَّاً ما بين ٠.٨١-١.٠.

١- العلاقة بين التَّفكير الدِّيني والتَّفكير العقلاني العلمي.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني،(التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير الدِّيني والاعتقاد بالسِّحر وعلاقته بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة)والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال اختبار صحَّة الفرضيَّة الفرعية الأولى:

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين التَّفكير العقلاني العلمي لدى الطَّلبة والتَّفكير الدِّيني.

الفرضيَّة البديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين التَّفكير العقلاني العلمي لدى الطَّلبة والتَّفكير الدِّيني.

الجدول رقم(68) بين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين التَّفكير الدِّيني والتَّفكير العقلاني العلمي

المتغيرات المدروسة	قيمة معامل ارتباط بيرسون (r)	مستوى المعنوية Sig
العلاقة بين التَّفكير الدِّيني و التَّفكير العقلاني العلمي	**-0.16**	**0.001**

يتبيَّن من الجدول رقم (68) أنَّه باستخدام معامل ارتباط بيرسون تبيَّن وجود ارتباطٍ بين التَّفكير الدِّيني والتَّفكير العقلاني العلمي، وبما أنَّ قيمة مستوى المعنوي 0.001 وهي أصغر من قيمة

α=0.05 فإنَّ الارتباط معنويٌّ –دالٌّ إحصائيّاً –، وهو ارتباطٌ عكسيٌّ منخفضٌ إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون r= -0.16؛ أي: كلَّما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ نقصت درجة التَّفكير الدِّيني. وهذه النتيجة تتفق مع المراحل التاريخية لتحولات العقلانية، فكلَّما ازدادت الاكتشافات العلمية؛ سُحِب البساط من تحت أقدام رجال الدِّين، وضعفت مقولات الفكر الدِّيني. كما نجد بأنَّ هناك أسباباً تجعل هذه الشعوب ذات تفكير ديني، أوَّلاً: المجتمع العربي لم يمر بمراحل التَّفكير الثَّلاث (اللاهوتي، الميتافيزيقي، الوضعي) بشكله الطبيعي، فنتائج العلم والتكنولوجيا قد صُدِّرَت إلى البلاد العربية؛ أي: لم تكن وليدة المجتمع العربي، ولم يكن هناك ثوراتٌ علميَّةٌ واجهت رجال الدِّين والمعتقدات الدِّينية فلم تؤثِّر الاكتشافات العلمية على المعتقدات الدِّينية لدى أبناء المجتمع العربي كما حدث في الغرب، ثانياً: قدرة علماء الدِّين الإسلامي بتأويل كل منجزات العلم لصالحها واعتبارها إعجازاً قرآنيّاً؛ أي: رؤيتهم للعالم والحياة والكون من خلال منظومةٍ دينيةٍ متكاملةٍ لا ينتابها أدنى شكٍّ، ثالثاً: تشترك جميع عوامل التنشئة الاجتماعية من الأسرة إلى دور العبادة حتى المدرسة ووسائل الإعلام بدفاعها عن الدِّين، وتبرِّره بشكل تعتبره الحقيقة المطلقة التي لا يجوز نقدها، وهذه المؤسَّسات تقوم بنقل الأفكار إلى أبنائها؛ لذلك نجد شريحةً كبيرةً من الطَّلبة الجامعيِّين ذات تفكيرٍ دينيٍّ على الرّغم من تحصيلهم العلمي؛ لذلك نجد غالبيَّة هؤلاء يتناقضون في أفكارهم، فهم يدافعون عن العقائد الدِّينية؛ أي: ذات تفكير ديني، وفي الوقت نفسه يدافعون عن الإنجازات العلمية؛ أي: هم ذوو تفكيرٍ عقلانيٍّ علميٍّ.

وبناءً على النظريَّة العامَّة في العقلانية: (نجد أنَّه من أكثر الملامح بروزاً في كتابات ماكس فيبر حول الدِّين هو تواتر كلمة عقلانية ومشتقاتها (عقلنة، تعقلن إلخ) ومردّ ذلك إلى أنَّه في تفسيره السوسيولوجي للظاهرات الدِّينية، ولاسيَّما المعتقدات منها، يعتمد النهج التفهمي شأنه في تفسير أيِّ ظاهرةٍ اجتماعيَّةٍ، ولمَّا كانت الميتانظرية التي هي في أساس قيام هذا النهج تنطلق من مسلمة مؤدَّاها أنَّ العلَّة الموجبة لمعتقدات أحد الأفراد تطابق المعنى الذي تتَّخذه هذه المعتقدات في نظره، فقد تعيّن على عالم الاجتماع الذي يتوخَّى تفسير اعتناق فئةٍ من الأشخاص معتقداً من دون سواه، أن يبيِّن في نظر فيبر أنَّ هذه المعتقد يعني ما يعنيه

بالنّسبة إلى هؤلاء الأشخاص. تلك هي الميتانظرية التي أُطلِق عليها النظريَّة العامة في العقلانية.

النمطان البارزان للنظريَّات الدِّينيَّة: يطبّق فيبر بطريقةٍ منظَّمةٍ وواعيةٍ جدًّاً، ميتانظرية الفهم على تحليل المعتقدات الدِّينية. لكنه ليس الوحيد الذي يلجأ إلى مثل هذا التطبيق، فإذا ارتضينا النظر من بعيد إلى الطرق التي تعتمدها العلوم الإنسانية في تفسير المعتقدات الدِّينية؛ أمكننا التمييز بين صنفين بارزين من النظريَّات: الأولى التي يمكن تسميتها تقطّعية تجعل من المعتقدات الدِّينية قارة على حدة من قارات الفكر البشري، وتقترح تفسيرها انطلاقاً من مسلمة مفادها أنَّ المؤمن يخضع لقوانين فكريَّةٍ متميِّزةٍ من تلك التي تحكم الفكر العلمي. تستعيد هذه النظريَّات التقطعية بصيغةٍ علميَّةٍ مسلمات أوغست كونت في أطوارها الثَّلاثة؛ اللاهوتي، والميتافيزيقي، والوضعي مجردةً إيَّاها من بعدها التطوري، أمَّا فيبر فيقترح نظريَّةً تواصليَّةً ترى أنَّ في أساس اعتناق أيِّ نوعٍ من أنواع المعتقدات، دينيَّةً كانت أم أخلاقيَّةً أم علميَّةً أسباباً تجعله يعتقد بهذا الأمر أو ذاك قبل أن تكتسب هذه المعتقدات معنًى بالنّسبة إليه، فالمطلوب من عالم الاجتماع إذاً، هو إعادة تكوين هذه الأسباب، ممَّا يفترض خضوع المراقِب والمراقَب للقواعد الفكرية نفسها. كما تبنَّى توكفيل مبادئ هذه النظريَّة وهذا النهج بتبيانه أنَّ الاختلافات في مضمون المعتقدات الدِّينية قابلةٌ للفهم، وكذلك توزيعها الماكروسكوبي بين الولايات المتحدة وفرنسا، معتبراً أنّ للأمريكيين أسبابهم التي يجهلها الفرنسيون في البقاء متعلقين بمعتقداتهم الدِّينية التقليدية، كما أعلن دوركهايم أنَّه لا يجوز تفسير المعتقدات الدِّينية على أنَّها أوهامٌ، مؤكِّداً أنَّ التأويلات العلمية تقع على خطِّ امتداد التأويلات الدِّينية للعالم.) (بودون، ٢٠١٠ ، ١٥٧ – ١٦٠)

يعلن دوركهايم خلافاً لأولئك الذين ينظرون إلى الديانات وكأنَّها منبثقةٌ من اختيار الخارق والعجيب، أنَّها تساعد في تفسير المظاهر النظامية، وهي بهذا المعنى، تمثِّل شكلاً أوليَّاً من أشكال العلم.

باختصار، إنَّ الديانات هي نظريات في العالم يعتنقها المؤمنون ماداموا غير مقتنعين بوجوب إبدالها بنظريات أجدى بالقبول؛ لذا يلحظ دوركهايم، من دون إلحاح، أنَّ الديانات قابلةٌ للتطور، بمعنى أنَّه يمكنها أن تكون إلى حدٍّ ما غنيَّةً بالأفكار والمشاعر، وأن تؤدِّي إلى تنظيماتٍ تتفاوت صرامةً. لكن الأهم هو ألا نرى الديانات في حالة تناقض مع العلم، بل مناهج تأويلية يستقي من وحيها العلم ويتصور فيها مسبقاً، لقد بات تأويل العالم من شأن العلم، كما هو معلومٌ، بفعل تطوُّر المجتمعات، وظهور العلم، وتمأسسه لاحقاً. (بودون، ٢٠١٠، ٢٥٠)

٢- العلاقة بين الاعتقاد بالسِّحر والتَّفكير العقلاني العلمي.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّاني، (التَّعرُّف إلى مدى انتشار التَّفكير الدِّيني والاعتقاد بالسحر وعلاقته بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة.) والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال اختبار صحَّة الفرضيَّة الفرعيَّة الثَّانية:

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسحر والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

الفرضيَّة البديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين الاعتقاد بالسحر والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (69) بين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين الاعتقاد بالسحر والتَّفكير العقلاني العلمي

المتغيرات المدروسة	قيمة معامل ارتباط بيرسون (r)	مستوى المعنوية Sig
العلاقة بين الاعتقاد بالسحر و التَّفكير العقلاني العلمي	**0.03**	**0.573**

يتبيَّن من الجدول (69) أنَّه باستخدام معامل ارتباط بيرسون تبيَّن وجود ارتباطٍ بين الاعتقاد بالسحر والتَّفكير العقلاني العلمي، وبما أنَّ قيمة مستوى المعنوي 0.573 وهي أكبر من قيمة

α=0.05؛ فإنَّ الارتباط غير معنوي – دال إحصائياً؛ لذلك نقبل فرضيَّة العدم. نستنتج من ذلك بأنَّه ليس هناك علاقةٌ معنويَّةٌ بين الاعتقاد بالسحر والتَّفكير العقلاني العلمي وهذا يتفق إلى حدٍّ ما مع الواقع الاجتماعي العربي من حيث إنّ الديانة الإسلامية هي ديانةٌ توحيديَّةٌ وتحرّم السحر، وتحارب السحرة، وأساليب السحر، وممارساتها، وطقوسها، وهذا من أحد الأسباب التي دفعت شريحةً كبيرةً من الطَّلبة الجامعيِّين بعدم الاعتقاد بالسحر حتَّى وإن كان البعض يؤمن بالسحر لكن لا يقرُّ بذلك لاعتباراتٍ دينيَّةٍ، وكذلك لا يتوافق مع الدَّرجة العلمية التي وصل إليها الطَّالب الجامعي.

وبناءً على النظريَّة العامَّة في العقلانية نجد:(**مثلما يؤدِّي احتكاك قطعتين خشبيتين إلى انبثاق الشرر، كذلك تستدر إيمائية الساحر المطر. إنَّ الشرر المتطاير من جرَّاء احتكاك قطعتين خشبيتين لا يقلُّ سحراً عن المطر الذي يستنزله صانع المطر من السماء. وبالتَّالي، لا يجوز أن نطرح أساليب العمل والتَّفكير الدِّينيين أو السحريين خارج التصرفات الغائية التي تحفل بها الحياة اليومية. يؤكِّد هذا النص بداية، تواصليَّة الفكر بإظهاره أنَّ السحر موجَّهٌ نحو غايةٍ ما هي في المثل المذكور أعلاه استدرار المطر على المزروعات. ولكن لماذا يتمُّ اللجوء إلى إيمائيَّةٍ معيَّنةٍ دون سواها؟ الجواب هو: لأنَّ الساحر والذين يلجؤون إلى خدماته يكونون مقتنعين بأنَّها إيمائيَّةٌ فعَّالةٌ في نظرهم، إذاً، إنَّ الاعتقاد بفاعليَّة هذه الوصفة السحرية يتأسَّس على نظريَّةٍ. رُبَّ معترضٍ بأنَّها نظريةٌ خاطئةٌ في حين إنَّ النظريَّة التي ينهض عليها عمل صانع النار تتأسَّس على نظريةٍ محقَّقةٍ لا شكَّ في ذلك – يردُّ فيبر معترضاً بدوره – لكنَّنا لا نعرف أنَّ احتكاك قطعتين خشبيَّتين يولِّد النار إلَّا لأنَّنا نعرف أنَّ الطاقة الحركيَّة تتحوَّل إلى طاقةٍ حراريَّةٍ، وهو أمرٌ يجهله البدائي. إنَّ معرفتنا تخولنا أن ننشئ اختلافاً حيث لا يجد البدائي أيَّ اختلافٍ؛ لذا كان عمل صانع النار لا يقلُّ سحراً عن عمل صانع المطر، بمعنى أنَّ البدائي يفسِّر النتيجة في كلا الحالتين على قاعدةٍ نظريَّةٍ تقول بتدخُّل الأرواح. نحن الآخرون فقط نميِّز موضوعيَّاً، بناءً على تصوُّرنا الحالي للطبيعة ما بين إسناداتٍ سببيَّةٍ صحيحةٍ أو خاطئةٍ، فنعتبر الخاطئة منها لاعقلانيَّة، وما يوافقها من أفعالٍ سحريَّاً**.(بودون، ٢٠١٠، ١٦٦)

إنَّ أقدر المساهمات في مجال "انفكاك سحر العالم " هي تلك التي قدَّمتها الديانة التوحيديَّة في النهاية. بهذه العبارة المقتبسة من شيلر، أعلن فيبر بطلان السحر نهائيَّاً. ومن المتعارف عليه عموماً أنَّ انفكاك السحر الذي يميِّز الحداثة مردُّه إلى النجاحات التي حقَّقها العلم بنوعٍ خاصٍّ، وإذا كنَّا لا نخطئ بمثل هذا الاعتقاد؛ فإنَّ الديانة كانت طليعيَّةً في تهيئة هذه الأرضية. لقد كانت الغاية من إطلاق فكرة الإله الواحد الكلي والقدرة مع الديانة اليهودية إبطال الممارسات السحرية، لا يفعل السحر فعله إلَّا إذا تصوَّرنا الآلهة قابلةً للتَّأثُّر، ولا يعقل أن تكون تلك هي حال إلهٍ كليِّ القدرة. ذلك ما تؤكِّده الديانة اليهودية القديمة بتكرارها هذه الصفة الإلهية مراراً. وحده إلهٌ يفوق الفرعون قدرةً يستطيع إخراج اليهود من مصر، وما كان يهوه ليقسي قلب الفرعون إلا لكي يتبصَّر المؤمن بعظمة قدرته. وقد ظهرت إلى جانب فكرة الله الأوحد القدير، فكرة العناية الإلهية التي لا تنسجم هي أيضاً مع السحر، فإنَّ تطويع العناية أمرٌ مستحيلٌ، في حين إنَّ استعطافها ممكنٌ بالصَّلاة والخضوع للشريعة الإلهية. وهكذا بدأ الدِّين يساعد على نمو الأخلاق التي تقدَّمت على الطقوس. (بودون، ٢٠١٠، ١٨٥ - ١٩٠)

لقد أفضت نظرية الفكر الإنساني التي طوَّرها دوركهايم إلى مقولةٍ على قدرٍ مميَّزٍ من الجرأة، هي مقولة التواصل بين العلم والدِّين، فقد رأى دوركهايم، شأن فيبر من قبله، أنَّه من المفترض تحليل المعتقدات الدِّينية، وكذلك المعتقدات السحرية، انطلاقاً من كونها عقلانية. إذا كانت الفلسفة والعلوم قد نشأت من الدِّين؛ فلأنَّ الدِّين نفسه بدأ يحلُّ مكان العلوم والفلسفة. (بودون، ٢٠١٠ ، ٢٣٤)

٣- العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد(مفهوم الثَّأر- النّسب) والتَّفكير العقلاني العلمي.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث: التَّعرُّف على درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد(الثَّأر- النّسب) والتُّراث وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والتخصُّص. والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال اختبار صحة الفرضيَّة الفرعية الثَّالثة:

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (مفهوم الثَّأر- النّسب) والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة البديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (مفهوم الثَّأر – النّسب) والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (70) بين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد والتَّفكير العقلاني العلمي

المتغيرات المدروسة	قيمة معامل ارتباط بيرسون (r)	مستوى المعنوية Sig
العلاقة بين التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر النّسب) والتَّفكير العقلاني العلمي	**-0.01**	**0.844**

يتبيَّن من الجدول (70) أنَّه باستخدام معامل ارتباط بيرسون تبيَّن وجود ارتباطٍ بين التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (مفهوم الثَّأر والنّسب) والتَّفكير العقلاني العلمي، وبما أنَّ قيمة مستوى المعنوي 0.844 وهي أكبر من قيمة α=0.05، فإنَّ الارتباط غير معنوي – دال إحصائيَّاً؛ لذلك نقبل فرضيَّة العدم. نستنتج من ذلك بعدم وجود علاقةٍ بين عادات؛ كالثَّأر، والنّسب، والتَّفكير العقلاني العلمي، وهذا يتَّفق مع واقع المجتمع السوري، فالكثير من العادات والتَّقاليد تتعدَّل، أو تتلاشى، أو تتغيَّر درجة تمسُّك المجتمع بها، فعادة الثَّأر أصبحت من العادات البالية التي لا يتمسَّك بها إلَّا قلَّةٌ من المجتمع السوري بحكم وجود مؤسَّساتٍ قانونيَّةٍ وعقابيَّةٍ تستطيع أن تحلَّ مكان ظاهرة الثَّأر بطريقةٍ أفضل وأرقى دون عقاب شخصٍ ليس له علاقةٌ بالجريمة لمجرَّد فقط أنَّه أخ الجاني. وكذلك ظاهرة الرفع من شأن نسب بعض العائلات وتهميش نسب عائلاتٍ أخرى ودورها في مسائل الزواج والعلاقات الاجتماعيَّة، فنتيجة انتشار التعليم أصبح نادراً أن نجد من يهتمّ بأن يتزوَّج من فتاةٍ لأنَّها من عائلةٍ ذات نسبٍ رفيعٍ، أو لأنّ والدها شيخ عشيرةٍ، أو لأنَّه من وجهاء

العائلة. فالعادات والتَّقاليد تتعرَّض لعقلنةٍ مجتمعيَّةٍ، فقد ضعفت درجة التَّمسُّك بهذه العادات والتَّقاليد، وأصبح هناك قلَّةٌ يتمسَّكون بها. فسلطة الكثير من العادات والتَّقاليد فقدت حيويتها في المجتمع، وبدأت المنظومة القيمية تتآكل من الداخل خاصَّةً العادات والتَّقاليد التي أصبح وجودها عائقاً لأيِّ تقدُّمٍ علميٍّ.

وبناءً على النظريَّة العامَّة في العقلانية (**يرى فيبر أنَّ عالم الأفكار الأخلاقية والسِّياسية والدِّينية، كعالم الأفكار العلمية، يخضع لمسار عقلنةٍ واسع الانتشار**. (بودون، ٢٠١٠، ٢٧٧)

إنَّ العدميَّة أو– مناوبة– خصخصة القيم التي يجري تقديمها كميزةٍ ما بعد حداثيَّة، هما مجرد وجهتي نظر فكريَّتين. إنَّ السلطة هي أكثر تعرُّضاً لطعن الشبيبة منها لهجمات الجماعات الأصغر سنَّاً. لكن تراجع احترام السلطة لا ينمُّ عن ضمور القيم، بل يشير إلى أنَّ السلطة لا تكون مقبولةً إلَّا إذا برَّرت نفسها. وبعبارةٍ فيبريةٍ، لقد بات القبول بالسلطة العقلانية أيسر من القبول بالسلطة الكاريزمية أو السلطة التقليدية. هذا الانزياح يفصح عن توطُّد قيمةٍ اسمها : كرامة الفرد.) (بودون، ٢٠١٠، ٢٧٩)

٤– العلاقة بين النَّظرة لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الرَّابع (التَّعرُّف لنظرة الطَّالب(ة) الجامعي لمكانة المرأة في المجتمع وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة). والذي تمَّ الإجابة عليه من خلال اختبار صحة الفرضيَّة الفرعية الرَّابعة:

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05)النَّظرة لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة : توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05)النَّظرة لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (71) بين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي

المتغيرات المدروسة	قيمة معامل ارتباط بيرسون (r)	مستوى المعنوية Sig
العلاقة بين النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة والتَّفكير العقلاني العلمي	**-0.13**	**0.007**

يتبيَّن من الجدول (71) أنَّه باستخدام معامل ارتباط بيرسون تبيَّن وجود ارتباطٍ بين النَّظرة للمرأة والتَّفكير العقلاني العلمي، وبما أنَّ قيمة مستوى المعنوية 0.007وهي أصغر من قيمة α=0.055؛ فإنَّ الارتباط دالٌّ إحصائيًّا، وهو ارتباطٌ عكسيٌّ منخفضٌ إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون **0.13** - =r . أي: كلَّما زادت النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة في المجتمع السوري؛ انخفض التَّفكير العقلاني العلمي. وهذه نتيجةٌ منطقيَّةٌ تتَّفق مع الواقع العام للمجتمعات، فزيادة نسبة التعليم، وانتشار القيم العلمية، والثورات التي حدثت في مجال الإعلام والتكنولوجيا والانترنيت، كلُّ ذلك ساهم في تقليص النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة، وتقريب القيم العالميَّة من بعضها البعض، وسهولة انتشار القيم من مجتمعٍ لآخر، وخاصَّةً قيم المجتمعات الغربية التي تجاوزت النَّظرة الدونيَّة لمكانة المرأة والتي انتشرت في كلِّ مجتمعات العالم.

٥- العلاقة بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق).

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الثَّالث (التَّعرُّف على درجة التَّمسُّك بالتُّراث وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والتخصُّص). والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال اختبار صحَّة الفرضيَّة الفرعيَّة الخامسة:

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي.

فرضيَّةٌ بديلةٌ: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة التَّمسُّك بالتُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (72) بين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين التُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي

المتغيرات المدروسة	قيمة معامل ارتباط بيرسون (r)	مستوى المعنوية Sig
العلاقة بين التَّمسُّك بالتُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي	**-0.09**	**0.051**

يتبيَّن من الجدول (72) أنَّه باستخدام معامل ارتباط بيرسون تبيَّن وجود ارتباطٍ بين النَّظرة للتُّراث والتَّفكير العقلاني العلمي، وبما أنَّ قيمة مستوى المعنوية **0.051**وهي أصغر من قيمة α=0.055؛ فإنَّ الارتباط دالٌّ إحصائيَّاً، وهو ارتباطٌ عكسيٌّ منخفضٌ إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون0.09 - =r.

نستنتج من ذلك بأنَّه كلَّما زاد التَّمسُّك بالتُّراث؛ انخفضت درجة التَّفكير العقلاني العلمي، وهذا يتَّفق مع واقع المجتمع السوري فهناك شريحةٌ من المجتمع السوري ومن الطبقة المثقَّفة التي تصرُّ على التَّمسُّك بالتُّراث العربي الإسلامي، وتعدّه منهجاً يصلح لكلِّ الأزمنة والأمكنة، وبأنَّ الحقيقة هي حقيقةٌ تراثيَّةٌ؛ أي: في التُّراث الإسلامي خاصَّةً ما تبلور في عقليَّة هذه الشريحة بأنَّ تلك المرحلة من الحكم الإسلامي كانوا أصحاب حضارةٍ ومجدٍ دون النظر إلى ما توصَّل إليه العقل البشري من إنجازاتٍ. وهذا ما يتعارض مع التَّفكير العقلاني العلمي، والذي ينظر إلى أيِّ نظريَّةٍ علميَّةٍ بأنَّها نظريَّةٌ مؤقَّتةٌ، وأنَّ مصيرها الزوال وإحلال نظريةٍ جديدةٍ محلَّها؛ لذلك نجد انقسام المثقَّفين العرب حول تيَّارين أساسيَّين: تيارٌ أصوليٌّ يتمَّسك بالتُّراث، وتيارٌ تجديديٌّ يتمَّسك بالحداثة .

فبناءً على النظريَّة العامَّة في العقلانية(إنَّ التصوُّرات الجماعيَّة هي حصيلة تعاونٍ واسعٍ، لا في المكان وحسب، بل في الزمان أيضاً. لقد تكونت بفضل تراكم خبراتٍ ومعارف عمليَّةٍ على مدى سلسلةٍ طويلةٍ من الأجيال، عبر عمليَّة مزجٍ وانصهارٍ خضعت لها حشودٌ من الأفكار والمشاعر الصادرة عن جمهرة من المفكِّرين متنوِّعي الميول والمذاهب. فهو يحلِّل

التصوُّرات الجماعية وكأنَّها حصيلة نشاط أفراد: ثمَّة جمهرة من المفكِّرين طرحت أفكاراً عمد آخرون إلى انتقائها واستعادتها ونشرها وتناقلها عبر الأجيال. هذه التصوُّرات الجماعيَّة هي على غرار الحقائق العلمية، حصيلة مسارٍ معقَّدٍ من التجديد والانتقاء والتأصُّل. إنَّها بهذا المعنى، من نتاج المجتمع، شأنها شأن اللغة التي هي طريقةٌ مختصرةٌ للقول، إنَّها حصيلة مبادراتٍ أفضت إلى آليات انتقاءٍ وانتشارٍ يستحيل استقصاؤها إلَّا بصورةٍ ناقصةٍ وممعنةٍ في التَّجزُّؤ. إنَّنا نتكلَّم لغةً ليست من صنعنا، ونستخدم أدواتٍ ليست من ابتكارنا، وننادي بحقوقٍ ليست من وضعنا. ثمَّة دائماً كنزٌ من المعارف لم نتولّ جمعه ينتقل من جيلٍ إلى جيلٍ.(بودون، ٢٠١٠، ٢١٦ – ٢١٧)

٦- العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

– لمعرفة مدى تحقُّق الهدف الخامس،(التَّعرُّف لمدى الوعي بمبدأ المواطنة وعلاقتها بالتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة) والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال اختبار صحَّة الفرضيَّة الفرعيَّة السَّادسة.

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: يوجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (73) بين معامل ارتباط بيرسون العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي

المتغيرات المدروسة	قيمة معامل ارتباط بيرسون (r)	مستوى المعنوية Sig
العلاقة بين درجة الوعي بمبدأ المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي	0.27	0.00

يتبيَّن من الجدول (73) أنَّه باستخدام معامل ارتباط بيرسون تبيَّن وجود ارتباطٍ بين إدراك الطَّالب لمدى غياب المواطنة والتَّفكير العقلاني العلمي، وبما أنَّ قيمة مستوى المعنوية**0.00**وهي أصغر من قيمة $\alpha=0.05$؛ فإنَّ الارتباط معنويٌّ و دالٌّ إحصائيّاً، وهو ارتباطٌ طرديٌّ منخفضٌ إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون $r=0.27$.

نستنتج من ذلك بأنَّه كلَّما زاد إدراك الطَّالب لدرجة غياب المواطنة؛ زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي لديه؛ أي: أنَّ شريحة الطَّلبة الأكثر ثقافةً واطِّلاعاً على مبادئ المواطنة، والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان، وبدرجة الديمقراطيَّة التي توصَّلت إليها بعض المجتمعات الغربية هم أكثر وعياً وعقلانيةً من الشريحة التي لا تدرك هذه المبادئ، وتكون ذات تفكيرٍ قبليٍّ أو دينيٍّ والتي تقف على تضادٍّ مع مبدأ المواطنة، بالإضافة إلى معرفته بمدى انتشار الفساد والمحسوبيَّة في الدوائر الحكوميَّة والتي تضعف من مبدأ المواطنة.

من خلال النظريَّة العامَّة في العقلانية نرى: **بأنَّه يمكن تمثيل النظريَّة التي ترتسم على خلفيَّة مفهوم(المشاهد المحايد) بصورة استدلالٍ منطقيٍّ بسيطٍ هو الآتي: إنَّ المشاهد المحايد هو المواطن الذي نفترض أنَّه في هذه المسألة أو تلك يتجرَّد عن مصالحه وأهوائه وآرائه المسبقة أو افتراضاته. إنَّ المواطن في هذه الحالة يستمدُّ تقويماته وأحكامه من الحسِّ السليم، فلا يقرّ أيّاً من القضايا إلا إذا بدا له أنَّ هناك أسباباً متينةً تخوِّله الحكم عليها بأنَّها كذلك، لكن المواطن يكون بالنّسبة إلى كثيرٍ من الأمور التي تظهر في حياة الدَّولة في موقع المشاهد المحايد.**(بودون، ٢٠١٠، ٣٣٠)

اقتُبِسَت أوَّل هذه الشواهد من آدم سميث الذي استطاع أن يوضِّحه بفاعليَّةٍ مميَّزةٍ من منطلقٍ تعليميٍّ ما تقدِّمه نظريَّة المشاهد المحايد من فائدةٍ ملموسةٍ؛ لذا تساءل عن سبب اقتناع الإنجليز في أيامه بضرورة تقاضي عمَّال المناجم أجوراً أعلى من أجور الجنود، – ولو أُجرِيت استطلاعاتٌ للرأي حول هذه المسألة؛ لكانت الغالبيَّة الساحقة أيَّدت جوابه– متسائلاً: كيف نفسِّر هذا الإجماع، هذا الاعتقاد الجماعي المشترك؟ ومجيباً كالآتي: بما أنَّ معظم الإنجليز

ليسوا جنوداً ولا عمَّال مناجم، فإنَّهم غير معنيِّين مباشرةً بالموضوع، بعبارةٍ أخرى، إنَّهم في موقع المشاهد المحايد. إنَّ شعورهم هذا هو مبنيٌّ على الحسِّ السليم؛ أي: على نظام أسبابٍ يشترك فيه كثيرون نظراً إلى متانته. (بودون، ٢٠١٠، ٣٣٢)

إنَّنا نتبيَّن بجلاءٍ مسارات العقلنة هذه التي تعمل على المدى المتوسط في بحثٍ ميدانيٍّ موسَّعٍ أجراه إنغلهارت حول قيم العالم. فإذا قارنَّا بين الفئة العمريَّة وفئة المستوى العلمي؛ اتَّضح لنا من خلال المعطيات أنَّ لدى الشباب الأصغر سنّاً والأكثر علماً ميلاً عامَّاً إلى وضع السِّياسة في خدمة المواطن، وترسيخ المؤسَّسات الديمقراطية على نحوٍ يضاعف احترام السلطة السِّياسية للمواطن، وأيضاً إلى إطلاق حقوقٍ جديدةٍ، والاعتراف بتعقُّد المسارات السِّياسية، واستبعاد الأيديولوجيات التبسيطيَّة. (بودون، ٢٠١٠، ٣٥٩)

٧- العلاقة بين المعوقات الاجتماعية ككل والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

- لمعرفة مدى تحقُّق الهدف السَّادس، التَّعرُّف على دور المعوقات الاجتماعية ككل في إعاقة التَّفكير العقلاني العلمي، وأيّهما أكثر إعاقةً للتفكير العقلاني العلمي بين طلبة جامعة دمشق حسب متغير الجنس والإقامة والكلِّيَّة. والذي تمَّت الإجابة عليه من خلال اختبار صحَّة الفرضيَّة الرئيسيَّة الثَّالثة:

فرضيَّة العدم: لا توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين درجة المعوقات الاجتماعية ككل والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

فرضيَّة بديلة: توجد علاقةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ عند مستوى الدَّلالة(0.05) بين المعوقات الاجتماعية ككل والتَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق.

الجدول (74) بين معامل ارتباط بيرسون العلاقة المعوقات الاجتماعية ككل والتَّفكير العقلاني العلمي

المتغيرات المدروسة	قيمة معامل ارتباط بيرسون (r)	مستوى المعنوية Sig
العلاقة بين المعوقات الاجتماعية ككل والتَّفكير العقلاني العلمي	0.07	0.125

يتبيَّن من الجدول (74) أنَّه باستخدام معامل ارتباط بيرسون تبيَّن وجود ارتباطٍ بين المعوقات الاجتماعية ككل والتَّفكير العقلاني العلمي، وبما أنَّ قيمة مستوى المعنوية**0.125**وهي أكبر من قيمة α=0.05؛ فإنَّ الارتباط غير دالٍّ إحصائيّاً، إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون r=**0.07**

لذلك نقبل فرضيَّة العدم والارتباط غير معنوي عند مستوى الدَّلالة0.05.

نستنتج بأنَّه ليس هناك علاقةٌ دالَّةٌ إحصائيَّاً بين المعوقات الاجتماعيَّة ككل والتَّفكير العقلاني العلمي وهذا من الممكن أن يعود إلى صغر حجم العيِّنة أو إلى وجود معوقاتٍ استبعدت من الفرضيَّات كمعوق للتفكير العقلاني العلمي كالعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) والاعتقاد بالسِّحر.

٣٢ - الفرق بين درجة متغير المعوقات الاجتماعية ككل ومتغير التَّفكير العقلاني العلمي.

ثانياً: اختبار (ت) للمجموعات المرتبطة (Paired Samples T-Test) لدراسة الدَّلالة الإحصائيَّة للفروق بين متوسطين حسابيَّين لمجموعتين مرتبطتين من الخاضعين للبحث في أحد المتغيِّرات من نوع المسافة أو النّسبة (Interval Or Ratio) .

الجدول (75) يبيِّن الاختبار T-test للمجموعات المترابطة (متغير المعوقات الاجتماعية – متغير التَّفكير العقلاني العلمي)

المجموعات المترابطة	التَّكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	درجات الحرية	مستوى المعنوية sig
المعوقات الاجتماعية	455	3.04	0.35	-17.680	454	0.000
التَّفكير العقلاني العلمي	455	3.49	0.44			

يتَّضح من الجدول (75) أنَّه يوجد فرقٌ بين متغيِّر المعوقات الاجتماعية ومتغيِّر التَّفكير العقلاني، وهذا الفرق معنويٌّ ودالٌّ إحصائيّاً؛ لأنَّ قيمة مستوى المعنوية sig=0.000 أصغر من قيمة α=0.05، وهذا الفرق لصالح التَّفكير العقلاني؛ أي: أنَّ التَّفكير العقلاني هو الأكثر لدى الطَّلبة من المعوقات الاجتماعية.

نلاحظ بأنَّ درجة التَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق أكبر من درجة المعوقات الاجتماعية ككل، وهذا يرجع لعدَّة عوامل؛ أوَّلاً: تزايد انتشار التعليم بين مختلف الشَّرائح في المجتمع وفي الريف والمدينة وبين الذكور والإناث في المجتمع السوري، ثانياً: دور الثورة المعلوماتيَّة ووسائل الإعلام والانترنيت في وصول المعرفة، ثالثاً: طبيعة التناقض في العقلية العربية بين التَّفكير العقلاني العلمي والتَّفكير الغيبي والسحري والتَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد، ففي حين تجده في المخابر والمشافي يقوم بأداء أفضل العمليَّات الجراحيَّة، ويقوم باكتشاف اختراعاتٍ؛ تجده في الحياة الاجتماعية في أسرته ومجتمعه ذا تفكيرٍ غيبيٍّ ومرتبطٍ بالعادات والتَّقاليد، وهذا ما نجده لدى الطَّلبة الجامعيِّين.

ثالثاً :الفروق بين أنواع المعوقات الاجتماعية المختلفة:

جدول رقم (76) يبين اختبار (Friedman) فريدمان لمعرفة الفروق بين أنواع المعوقات الاجتماعية

البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الرتب
التَّفكير الدِّيني	3.64	0.56	5.19
مكانة المرأة	3.33	0.45	4.36
مبدأ المواطنة	3.13	0.46	3.69
(الثَّأر والنّسب)	2.98	0.68	3.23
التَّمسُّك بالتُّراث	2.87	0.69	2.78
الاعتقاد بالسحر	2.30	0.71	1.76
Sig=0.00	Chi=947.886	DF=5	N=455

يتبيَّن من الجدول (76) نتيجة تطبيق الفروق ل فريدمان، وجود فروقٍ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ في ترتيب، إذ وُجِد أنَّ**chi=947.886** عند مستوى المعنوية .sig=0. 000وهو أقل من قيمة .α=0.05

الشكل رقم (٤) يوضح الفروق بين أنواع المعوقات الاجتماعية المختلفة

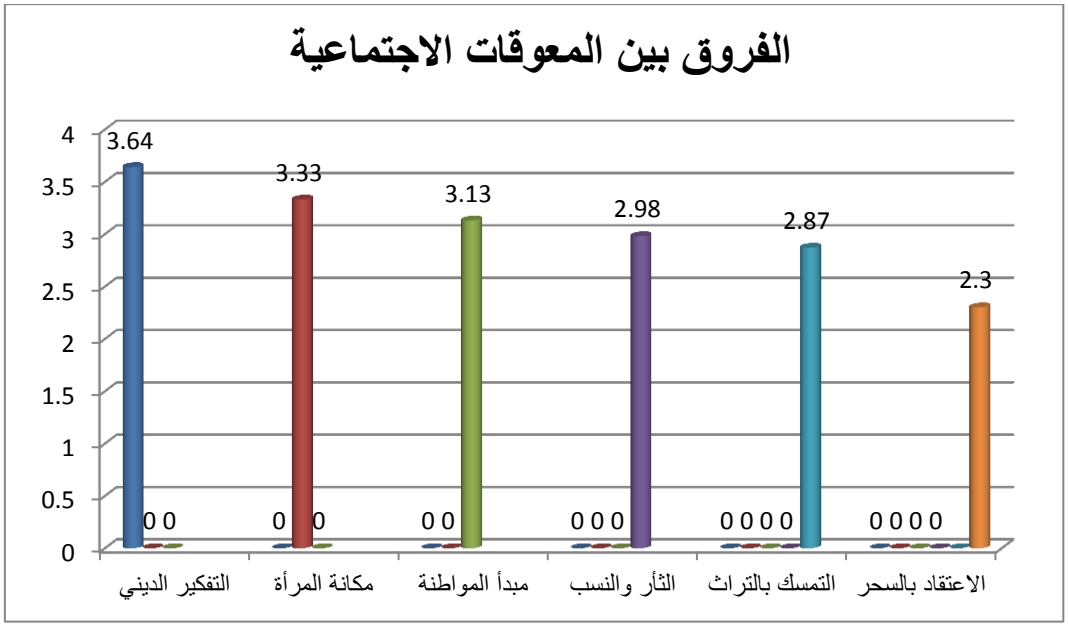

فالمعوق الاجتماعي الأوَّل: هو التَّفكير الدِّيني، يليه المعوق الثَّاني: النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة، ويليه بالمرتبة الثَّالثة: معوق غياب المواطنة، ثمَّ بالمرتبة الرَّابعة: التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر– النّسب)،ويليه خامساً: التَّمسُّك بالتُّراث، وفي الترتيب الأخير: الاعتقاد بالسحر .

وهذا الترتيب يتناسب مع واقع المجتمع السوري؛ حيث يشكِّل الدِّين جانباً مهمَّاً من حياة الإنسان في المجتمع السوري، كما يدخل الدِّين كلَّ التفصيلات الدقيقة من الحياة الاجتماعية التي نعيشها، وهذا ما يجعل التَّفكير لدى الإنسان غيبيَّاً وبعيداً عن التَّفكير العقلاني العلمي، ويليها النَّظرة الموروثة للمرأة والتي تحجِّم من المكانة الطبيعيَّة للمرأة وقدراتها الحقيقية والتي يجب أن تقوم بها، كما يحدث في المجتمعات المتقدِّمة. ويليه غياب المواطنة والذي أصبح حاجةً ماسّةً

لا مهرب منه وخاصَّةً ما نشاهده من فسادٍ ومحسوبيَّاتٍ في دوائر الدَّولة، ثمَّ يأتي السِّحر في التَّرتيب الأخير بحكم تحريمها من الدِّين.

ملخَّص نتائج البحث:

١- الخصائص العامَّة لأفراد عيِّنة البحث:

أ- الحجم الكلي للخاضعين للبحث بلغ 455 مفردةً موزَّعةً بشكلٍ يتناسب مع الحجم النّسبي لكلِّ كلِّيَّةٍ مقارنةً بالحجم الكلِّي لجامعة دمشق. وقد تمَّ توزيع هذه الكلِّيَّات على قسمين أساسيَّين بناءً على التقسيم الذي تعتمده جامعة دمشق: هما الكلِّيَّات الأساسيَّة والتطبيقيَّة، والكلِّيَّات النظريَّة، وقد بلغت نسبة أفراد العيِّنة من الكلِّيَّات التطبيقيَّة36.0%، في حين بلغت نسبة الكلِّيَّات النظريَّة64.0%.

ب- بلغت نسبة الطَّلبة المقيمين في المدينة 65.5% مقابل 34.5% من الطَّلبة المقيمين في الريف.

ت- بلغت نسبة الذكور (41.3%) من إجمالي العيِّنة، وبلغت نسبة الإناث 58.7% من إجمالي العيِّنة.

٢- نتائج العلاقة بين المتغيِّرات:

أ- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي والتَّفكير الدِّيني علاقةٌ عكسيَّةٌ؛ أي: كلَّما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ نقصت درجة التَّفكير الدِّيني والعكس صحيحٌ إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون 0.16- =r.

ب- أظهر البحث أنّه لا توجد علاقةٌ معنويَّةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ بين التَّفكير العقلاني العلمي والاعتقاد بالسحر إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون 0.03وقيمة مستوى المعنوي 0.573 وهي أكبر من قيمة α=0.05 فإن الارتباط غير معنوي.

ت- أظهر البحث أنّه لا توجد علاقةٌ معنويَّةٌ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ بين التَّفكير العقلاني العلمي والتَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون 0.01- و قيمة مستوى المعنوية 0.844 وهي أكبر من قيمة α=0.05 فإن الارتباط غير معنوي.

ث- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي والنَّظرة الموروثة لمكانة المرأة علاقةٌ عكسيَّةٌ؛ أي: كلَّما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ نقصت درجة النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة والعكس صحيحٌ. إذ بلغت قيمة مستوى المعنوية 0.007وهي أصغر من قيمة α=0.055 فإن الارتباط دال إحصائيا، وهو ارتباط عكسي منخفض إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون – r= **0.13**.

ج- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي ودرجة التَّمسُّك بالتُّراث علاقةٌ عكسيَّةٌ؛ أي: كلما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ نقصت درجة التَّمسُّك بالتُّراث والعكس صحيحٌ. إذ بلغت قيمة مستوى المعنوية **0.051** وهي أصغر من قيمة α=0.055 فإن الارتباط دال إحصائيا، وهو ارتباط عكسي منخفض إذ بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون0.09 – r= .

ح- أظهر البحث أنّ العلاقة بين التَّفكير العقلاني العلمي ودرجة الوعي بمبدأ المواطنة علاقةٌ طرديَّةٌ؛ أي: كلَّما زادت درجة التَّفكير العقلاني العلمي؛ زادت درجة الوعي بمبدأ المواطنة. إذ بلغت قيمة مستوى المعنوية**0.00**وهي أصغر من قيمة α=0.05 فإن الارتباط معنوي ودال إحصائيا، وهو ارتباط طردي منخفض كما بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون r=0.27 .

خ- أظهر البحث عدم وجود علاقةٍ معنويَّةٍ ذات دلالةٍ إحصائيَّةٍ بين التَّفكير العقلاني العلمي والمعوقات الاجتماعية ككل. إذ بلغت قيمة مستوى المعنوية**0.125**وهي أكبر من قيمة α=0.05 فإن الارتباط غير دال إحصائيا، كما بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون r=**0.07** .

د- أظهر البحث أنَّ درجة التَّفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق أكثر من درجة المعوقات الاجتماعية ككل. إذ بلغ المتوسط الحسابي لدرجة التفكير العقلاني العلمي لدى طلبة جامعة دمشق **3.49**مقابل المتوسط الحسابي لدرجة التأثر بالمعوقات الاجتماعية **3.04** .

ذ- أظهر البحث أنَّ أكثر المعوقات الاجتماعية التي تقف عائقاً في وجه التَّفكير العقلاني العلمي هي التَّفكير الدِّيني وغياب المواطنة.

٣-المستويات الثَّلاثة لآراء العيِّنة حول محاور البحث:

أ- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة ذات المستوى المرتفع للتفكير الدِّيني يشكِّلون % **52.1**، وذات المستوى المتوسِّط للتفكير الدِّيني %**44.6**،وبذلك أكثر من نصف الطَّلبة في عيِّنة البحث ذات تفكيرٍ دينيٍّ عالٍ.

ب- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة ذات المستوى المنخفض للاعتقاد بالسحر يشكِّلون %**54.7**من العيِّنة،وبذلك أكثر من نصف الطَّلبة من العيِّنة ذات اعتقادٍ منخفضٍ بالسحر.

ت- أظهر البحث أنّ الطَّلبة ذات المستوى المتوسط لدرجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب) يشكِّلون نسبة %69.7 من الطَّلبة؛ أي: حوالي ثلثي العيِّنة ذات درجة متوسطة بتمسِّكهم بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب).

ث- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة من ذات المستوى المتوسط للنظرة الموروثة لمكانة المرأة يشكِّلون نسبة % 76.5، وهذا يعني أنَّ أكثر من ثلثي أفراد العيِّنة لديهم مستوًى متوسط من النَّظرة الموروثة لمكانة المرأة.

ج- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة ذات المستوى المتوسط للتمسُّك بالتُّراث يشكِّلون نسبة %66.6، وهذا يعني أنَّ حوالي ثلثي أفراد العيِّنة لديهم مستوًى جيِّد من التَّمسُّك بالتُّراث.

ح- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة ذات المستويات المتوسِّطة للوعي بمبدأ المواطنة يشكِّلون نسبة%**84.4**، وهذا يعني أنَّ غالبيَّة أفراد العيِّنة لديهم مستوًى جيِّد من الوعي بمبدأ المواطنة، ويشعرون بغياب المواطنة.

خ- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة ذات المستويات المتوسِّطة للتفكير العقلاني العلمي يشكِّلون أكثر من نسبة **67.9**%، وهذا يعني أنَّ حوالي ثلثي أفراد العيِّنة لديهم مستوًى جيِّد من التَّفكير العقلاني العلمي.

د- بمقارنة النتيجتين (1) (7) يتَّضح أنَّ العقليَّة العربيَّة تعيش حالة انفصامٍ فكريٍّ، ففي ميادين العلم تدافع عن الإنجازات العلميَّة، وتتبع ما توصَّل إليه العلم، لكن في الحياة الاجتماعيَّة تجد من خلال النظرة للمرأة والمجتمع والكون أنَّها ذات تفكيرٍ غيبيٍّ.

ذ- بمقارنة النتيجتين (4) (7) يتَّضح وجود حالة من الازدواجية تعاني منها عقليَّة طلبة جامعة دمشق، الأمر الذي يؤكِّد على سمةٍ هامَّةٍ من سمات الشخصيَّة العربيَّة والتي تنعكس على شكل تناقضٍ بين الأفكار التي يحملها وبين ما يتصرَّف في الواقع.

٤- اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيِّرات الدِّراسة- الجنس):

أ- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة الإناث هنَّ ذات تفكيرٍ دينيٍّ أعلى من الطَّلبة الذكور إذا بلغ متوسط التفكير الديني لدى الإناث **3.72** =× أكثر منه لدى الذكور (**3.51** = ×).

ب- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة الإناث هم أكثر اعتقاداً بالسحر من الطَّلبة الذكور إذ بلغ المتوسط الحسابي**2.47** = × لدى الإناث أكثر منه لدى الذكور (**2.07** = ×).

ت- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّة إحصائيّاً بين الطَّلبة الإناث والذكور في درجة التَّمسُّك بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – والنّسب) وهذا الفرق لصالح الإناث؛ أي: أنَّ الإناث أكثر تمسُّكاً بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر - النّسب) من الذكور إذ بلغ المتوسط الحسابي **3.02**= ×لدى الإناث أكثر منه لدى الذكور**2.91**= ×.

ث- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة الإناث والذكور في نظرتهم الموروثة لمكانة المرأة، وهذا الفرق لصالح الإناث؛ أي: أنَّ الإناث يملكون نظرةً موروثةً لمكانة المرأة في المجتمع أكثر من الذكور إذ بلغ المتوسط الحسابي **3.35** لدى الإناث أكثر منه لدى الذكور**3.30**.

ج- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة الإناث والذكور في درجة التَّمسُّك بالتُّراث، وهذا الفرق لصالح الإناث؛ أي: أنَّ الإناث أكثر تمسُّكاً بالتُّراث من الذكور إذ بلغ المتوسط الحسابي**2.91** لدى الإناث أكثر منه لدى الذكور **2.80**.

ح- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة الإناث هنَّ أكثر وعياً بمبدأ المواطنة من الطَّلبة الذكور إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدى الإناث**3.21** =× أكثر منه لدى الذكور(**3.01** =×).

خ- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة الإناث هنَّ أكثر تأثُّراً بالمعوقات الاجتماعية ككل من الطَّلبة الذكور إذ بلغ المتوسط الحسابي لدى الإناث**3.12** = × أكثر منه لدى الذكور (**2.93** =×).

د- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة الإناث والذكور في درجة التَّفكير العقلاني، وهذا الفرق لصالح الإناث؛ أي: أنَّ الإناث ذوات تفكيرٍ عقلانيٍّ علميٍّ أكثر من الذكور إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدى الإناث **3.52**أكثر منه لدى الذكور **3.45**.

٥-اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات الدِّراسة – مكان الإقامة):

أ- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة من أبناء الريف هم ذوو تفكيرٍ دينيٍّ أكثر من أبناء المدينة إذ بلغ المتوسط الحسابي للتفكير الديني لدى أبناء الريف**3.71** =× أكثر منه في المدينة (**3.60** =×).

ب- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة من أبناء الريف يعتقدون بالسحر أكثر من أبناء المدينة إذ بلغ المتوسط الحسابي للاعتقاد بالسحر لدى أبناء الريف (**2.38** =×). أكثر منه في المدينة (**2.17** =×) .

ت- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة من أبناء الريف والمدينة في درجة تمسُّكهم بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر- النّسب). وهذا الفرق لصالح الريف؛ أي: أنَّ الطَّلبة من أبناء الريف هم أكثر تمسُّكاً بالعادات والتَّقاليد (الثَّأر – النّسب) من أبناء المدينة إذ بلغ المتوسط الحسابي لدرجة التمسك بالعادات والتقاليد (الثأر – النسب) لدى أبناء الريف **2.99** أكثر منه لدى أبناء المدينة **2.94**.

ث- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة من أبناء الريف والمدينة في نظرتهم الموروثة لمكانة المرأة في المجتمع. وهذا الفرق لصالح الريف؛ أي: أنَّ الطَّلبة من أبناء الريف يملكون نظرةً موروثةً لمكانة المرأة في المجتمع أكثر من الطَّلبة أبناء المدينة إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة النظرة الموروثة لمكانة المرأة لدى أبناء الريف**3.35** منه أكثر من أبناء المدينة **3.32**.

ج- أظهر البحث أنَّ الطَّلبة من أبناء الريف يتمسَّكون بالتُّراث أكثر من أبناء المدينة إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة التمسك بالتراث لدى أبناء الريف **2.96** =× أكثر منه في المدينة (**2.82** =×) .

ح- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيَّاً بين الطَّلبة من أبناء الريف والمدينة في درجة الوعي بمبدأ المواطنة. وهذا الفرق لصالح الطَّلبة من أبناء المدينة؛ أي: أنَّ الطَّلبة من أبناء المدينة هم أكثر وعياً بمبدأ المواطنة من الطَّلبة أبناء الريف إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة الوعي بمبدأ المواطنة لدى أبناء الريف **3.12** أقل منه في المدينة **3.13**.

خ- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة من أبناء الريف والمدينة، وهذا الفرق لصالح الطَّلبة أبناء المدينة؛ أي: طلبة أبناء المدينة هم ذوو تفكيرٍ عقلانيٍّ علميٍّ أكثر من الطَّلبة أبناء الريف إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة التفكير العقلاني العلمي لدى أبناء الريف **3.46** أقل منه في المدينة 3.50.

٦-اختبار T-test للمجموعات المستقلَّة (متغيرات الدِّراسة – الكلِّيَّة) .

أ- أظهر البحث أنَّ طلبة الكلِّيَّات النظريَّة ذوو تفكيرٍ دينيٍّاً على من طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة التفكير الديني لدى طلبة الكليات النظرية**3.67** =× أكثر منه لدى طلبة الكليات التطبيقية (**3.57** =×).

ب- أظهر البحث أنَّ طلبة الكلِّيَّات النظريَّة لديهم اعتقادٌ بالسحر أعلى من طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة. إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة الاعتقاد بالسحر لدى طلبة الكليات النظرية **2.40** =× أكثر منه لدى طلبة كليات التطبيقية (**2.13** =×).

ت- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة من الكلِّيَّات التطبيقيَّة والنظريَّة في درجة تمسُّكهم بالعادات والتَّقاليد(الثَّأر – النّسب) فكانت درجة تمسُّك طلبة الكلِّيَّات النظريَّة أكثر من الكلِّيَّات التطبيقيَّة إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة التمسك بالعادات والتقاليد (الثَّأر – النّسب) لدى طلبة الكليات النظرية **3.00**أكثر منه لدى طلبة الكليات التطبيقية **2.93**.

ث- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة من الكلِّيَّات التطبيقيَّة والنظريَّة في نظرتهم الموروثة لمكانة المرأة في المجتمع، وهذا الفرق لصالح الكلِّيَّات النظريَّة؛ أي: طلبة الكلِّيَّات النظريَّة هم ذوو نظرةٍ موروثةٍ لمكانة المرأة في المجتمع أكثر من الكلِّيَّات التطبيقيَّة إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدى طلبة الكليات النظرية **3.35** أكثر منه لدى طلبة الكليات التطبيقية **3.29**.

ج- أظهر البحث أنّ الطَّلبة من الكلِّيَّات النظريَّة أكثر تمسُّكاً بالتُّراث من الكلِّيَّات التطبيقيَّة إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة التمسك بالتراث لدى طلبة الكلِّيَّات النظريَّة 2.97=× أكثر منه لدى طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة (2.68=×).

ح- أظهر البحث أنّ الطَّلبة من الكلِّيَّات النظريَّة أكثر وعياً بمبدأ المواطنة من الكلِّيَّات التطبيقيَّة إذا بلغ المتوسط الحسابي لدى طلبة لكلِّيَّات النظريَّة **3.19** = × أكثر منه لدى طلبة الكلِّيَّات التطبيقيَّة (3.02. ×) .

خ- أظهر البحث أنّ الطَّلبة من الكلِّيَّات النظريَّة أكثر تأثُّراً بالمعوقات الاجتماعية ككل من الكلِّيَّات التطبيقيَّة إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة التأثر بالمعوقات الاجتماعية ككل **3.10** = × أكثر منه لدى طلبة الكليات التطبيقية (**2.94** = ×).

د- أظهر البحث وجود فروقٍ غير دالَّةٍ إحصائيّاً بين الطَّلبة من الكلِّيَّات التطبيقيَّة والنظريَّة في درجة التَّفكير العقلاني العلمي. وهذا الفرق لصالح الكلِّيَّات النظريَّة، وهو فرقٌ بسيطٌ جدّاً إذ يبلغ المتوسط الحسابي لدرجة التفكير العقلاني العلمي لدى طلبة الكليات النظرية **3.49**أكثر منه لدى طلبة الكليات التطبيقية 3.48.

٧-نتائج الجانب النظري:

أ- كلّ مراحل التَّفكير التي مرّ بها العقل البشري كانت شكلاً من أشكال العقلانية من التَّفكير الأسطوري إلى التَّفكير الفلسفي -الذي بُنِي على التَّفكير الأسطوري - إلى التَّفكير العقلاني العلمي الذي انبثق من العقلانيَّة الفلسفيَّة.

ب- اختلاف منهج التَّفكير العقلاني العلمي الذي يعتمد على العقلانيَّة الحسِّيَّة والعقلانيَّة العقليَّة معاً عن منهج الدِّين والفلسفة، فلا إنجاز علمي مصدره الدِّين.

ت- ثلاثيَّة التحالف التي تعمل على تقييد عقليَّة الإنسان العربي: هي العادات والتَّقاليد، والدِّين، وغياب المواطنة.

ث- أظهرت نتائج البحث بأنَّ العقليَّة العربيَّة تتَّسم بالازدواجية فبقدر ما تكون ذات تفكيرٍ عقلانيٍّ علميٍّ نجدها ذات تفكيرٍ تراثيٍّ ماضويٍّ.

المقترحات:

١- إعادة النظر في التُّراث العربي الإسلامي من خلال عملٍ نقديٍّ جادٍّ وحقيقيٍّ بطريقةٍ منهجيَّةٍ لتجاوز النَّظرة التُّراثيَّة السلفيَّة الموجودة لدى البعض الذين يرون في التُّراث منهجاً يصلح لكلِّ الأزمنة والأمكنة.

٢- إعادة قراءة الكتب المقدَّسة من خلال رجال الدِّين الإصلاحيين بشكلٍ يتناسب مع ما توصَّل إليه العقل البشري من تطوُّرٍ وتجاوز للعقليَّة المتخلِّفة التي يعاني منها المجتمع العربي.

٣- ضرورة توحيد خطاب كافَّة المؤسَّسات الاجتماعيَّة التقليديَّة والرسميَّة في مجال الدِّين؛ أي: وجود آليَّةٍ حقيقيَّةٍ تعمل على نقل الدِّين من المفهوم العام إلى المفهوم الخاص واعتباره مسألةً شخصيَّةً بين الإنسان وربِّه.

٤- نشر الوعي بين الطلاب خصوصاً وبين أفراد المجتمع عموماً عن طريق وسائل الإعلام بأهمية التفكير العقلاني العلمي واستخدامه كأسلوب حياة بدلاً من التفكير اللاعقلاني القائم على الغيبيات والسحرة والشعوذة.

٥- على الجهات القائمة على السياسة التربويَّة والفكريَّة والإعلاميَّة إعادة النظر بما تنشره من أفكارٍ في المجال الدِّيني والسحري خاصَّةً عندما تكون الجهة التي تبثُّ هذه الأفكار بحاجةٍ لشحذ الهمم من أجل كسب انتخاباتٍ أو دخول معركةٍ مثلاً.

٦- وضع برامج تربويَّةٍ وفكريَّةٍ لتنمية التَّفكير العقلاني العلمي من خلال نشر المعرفة والعمل على إيجاد مجتمع المعرفة.

٧- إعادة قراءة التاريخ الإسلامي وتدريسه بموضوعيَّةٍ ونقدٍ بعيداً عن الغيبيَّات والمشاعر العاطفيَّة.

٨- قيام الجهات المختصَّة بالعمل على نقل الفرد من المؤسَّسات التقليديَّة؛ الأسرة، ودور العبادة إلى مؤسَّسات الدَّولة؛ لتكريس مبدأ المواطنة بشكله الحقيقي.

٩- حث المؤسسات التعليمية على الاهتمام بتعزيز مكانة الوطن في نفوس الطلاب من خلال تنمية الوعي بمدى أهمية الوطن.

١٠- إجراء دراساتٍ أخرى عن الدين، والعادات والتقاليد باستخدام منهجيَّةٍ مختلفةٍ؛ كالمناهج المستخدَمة في الانتربولوجيا (الملاحظة بالمشاركة).

١١- إجراء دراسةٍ عن المعوِّقات الاجتماعيَّة للتفكير العقلانيّ على عيِّنةٍ غير عيِّنة الطلبة الجامعيِّين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب.

١. ابن عاشور، عياض، **الضمير والتشريع: العقلية المدنية والحقوق الحديثة**، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٨.

٢. أبو النور حسن، أبو النور حمدي، يوجنهابرماس: **الأخلاق والتواصل**، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩.

٣. الأخضر، العفيف، **المبالغة في الخطر على الهوية تكرس معوقات التحديث السياسي**، جريدة الحياة، العدد ١٣٥٦٧، ٢٠٠٠.

٤. أركون، محمد، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي**، ط١، تر: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ١٩٩٩.

٥. أركون، محمد، **قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟**، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، د.ت.ن.

٦. ألكين، دفيد هنري، عصر الإيديولوجية، ط١، تر: محي الدين صبحي، الطليعة، بيروت، ١٩٧١.

٧. إمام، إمام عبد الفتاح، **توماس هوبز فيلسوف العقلانية**، ط١، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥.

٨. إهرنبرغ، جون، **المجتمع المدني: التاريخ النقدي للفكرة**، ط١، تر: علي حاكم صالح، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ٢٠٠٨.

٩. إيبرلي، دون إي، **بناء مجتمع من المواطنين: المجتمع المدني في القرن الحادي والعشرين**، ط١، تر: عبد الله، هشام، الأهلية، الأردن، ٢٠٠٣.

١٠. باشلار، غاستون، **العقلانية التطبيقية**، ط١، تر: بسام الهاشم ، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت،١٩٨٤.A

١١. باشلار، غاستون، **الفكر العلمي الجديد**، ط٢، تر: عادل العوا، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان،١٩٨٣.

١٢. باشلار، غاستون، **النار في التحليل النفسي**، ط١، تر: نهاد خياطة، الأندلس، لبنان، ١٩٨٤. B

١٣. باشلار، غاستون، **تكوين العقل العلمي: مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية**، ط٢، تر: خليل، خليل أحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.

١٤. باية، ألبير، **الثورات العقلانية**، تر: عادل العوا ، دار شمال، بيروت،١٩٩٦ .

١٥. بركات، حليم، **المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠.

١٦. بشارة، عزمي، **المجتمع المدني: دراسة نقدية**، ط٦، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ٢٠١٢.

١٧. بنعبدلاوي، المختار، **الفلسفة والحداثة في المشروع الفكري لعلي أومليل**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،٢٠١١.

١٨. بو منير ،كمال ،**جدل العقلانية: في الفلسفة النقدية لمدرسة فرانكفورت نموذج هربرتماركوز**، الدار العربية للعلوم، بيروت، د.ت.ن .

١٩. بوبر، كارل، **منطق الكشف العلمي**، ط٢، تر: ماهر محمد علي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧.

٢٠. بودون، ريمون، **أبحاث في النظرية العامة في العقلانية : العمل الاجتماعي والحس المشترك**، ط١، تر: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ٢٠١٠ .

٢١. بيار، ماشيري، **كونت: الفلسفة والعلوم**، ط١، تر: سامي أحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٩٤.

٢٢. توفيق، محمد نجيب، **الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٧.

٢٣. الجابري، محمد عابد: **بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية**، ط٩، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩.

٢٤. الجابري، محمد عابد، **أبن رشد: سيرة وفكر دراسة ونصوص**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ١٩٩٨.

٢٥. الجابري، محمد عابد، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط٢، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ١٩٩٠.

٢٦. الجابري، محمد عابد، **تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة**، ط٢، دار الطليعة، لبنان، ١٩٨٢.

٢٧. الجابري، محمد عابد، **تكوين العقل العربي**، ط١٠، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٩.

٢٨. الجابري، محمد عابد، **تكوين العقل العلمي**، ط١، دار الطليعة، لبنان، ١٩٨٤.

٢٩. الجابري، محمد عابد، **نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي**، ط٦،المركز الثقافي العربي،بيروت، ١٩٩٣.

٣٠. جارنجي، جيل جاستون، **العقل**، ط١ تر: محمود بن جماعة، دار محمد علي، تونس، ٢٠٠٤.

٣١. جلاب، سعد، **الطفولة والمراهقة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.

٣٢. حجازي، مصطفى، **الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية**، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٥. A

٣٣. حجازي، مصطفى، **التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**، ط٩، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٥. B

٣٤. الحمد، تركي، **الثقافة العربية أمام تحديات التغيير**، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٣.

٣٥. الخضور، جمال الدين، **المثقف العربي والعولمة**، دراسات، العدد ١١، ١٩٩٩.

٣٦. الخطيب، محمد بن شحات، **الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٦.

٣٧. خليفة، فريال حسن، **المجتمع المدني عند توماس هوبز وجون لوك**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥.

٣٨. خليل، خليل أحمد، **سوسيولوجية الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط** المعاصر،ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠٠٥.

٣٩. خليل،حامد، **تطور مفهوم العقلانية، ضمن ملتقى العقلانية العلماني الشرق أوسطية**، قسم الدراسات الفلسفية، دمشق، ص١٧٣، ١٩٩٥.

٤٠. دياب، عز الدين، **الشخصية والثقافة: محاولة لفهم دور الفرد في النهضة العربية المعاصرة**، شؤون عربية، عدد٤، ١٩٨١.

٤١. ديورانت، ول، **قصة الفلسفة**، ط٢، تر: فتح الله المشعشع ، مكتبة المعارف، لبنان،١٩٨٢.

٤٢. راسل، برتراند، **أثر العلم في المجتمع**، ط١، تر: صباح صديق الملوجي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٨.

٤٣. رضوان، أبو الفتوح وآخرون، **المدرس في المدرسة والمجتمع**، القاهرة، ١٩٦٠.

٤٤. زايد، أحمد عبدالله، **قيم التنمية في الخطاب الديني المعاصر**، إدارة مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مصر، ٢٠١١.

٤٥. زهران، حامد عبد السلام، **علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة**، ط٤، عالم الكتب، ١٩٧٧.

٤٦. زيعور، علي، **التحليل النفسي للذات العربية: أنماطها السلوكية والأسطورية**، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.

٤٧. شرابي، هشام، البنية البطركية: **بحث في المجتمع العربي المعاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧.

٤٨. شرابي، هشام، **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**،ط١، تر: محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.

٤٩. شرابي، هشام، **النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين**، مركز دراسات الوحدة العربية،لبنان، د. ت. ن.

٥٠. شرابي، هشام، **مقدمات لدراسة المجتمع العربي: سلوكنا الاجتماعي وبنية العائلة في المجتمع العربي**، ط٣، الدار المتحدة، لبنان، ١٩٨٤.

٥١. الشماس، عيسى، **المجتمع المدني: المواطنة والديمقراطية**، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨.

٥٢. طرابيشي، جورج، **المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصابٍ جماعي**، ط١، رياض الريس، لندن، ١٩٩١.

٥٣. طرابيشي، جورج، **نقد نقد العقل العربي: نظرية العقل**،ط١، دار الساقي، لبنان، ١٩٩٦.

٥٤. عبد الباقي ، إبراهيم محمود، **دور الوقف في تنمية المجتمع المدني: نموذج الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت**، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠٠٦.

٥٥. عبد الجبار، فالح، **معالم العقلانية والخرافة في الفكر السياسي العربي**، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢ .

٥٦. عبد الدايم، عبد الله، **نحو فلسفة تربوية عربية: الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١.

٥٧. عبد الصادق، علي، **مفهوم المجتمع المدني: قراءة أولية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٧.

٥٨. عبيدات، ذوقان، **البحث العلمي**، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٨٢.

٥٩. عطية، أحمد عبد الحليم، **أصل الدين: فيورباخ**، ط١، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١.

٦٠. العظم، صادق جلال، **نقد الفكر الديني**، ط٩، دار الطليعة، لبنان، ٢٠٠٣.

٦١. العلي، صالح أحمد وآخرون، **مكانة العقل في الفكر العربي**، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ١٩٩٨.

٦٢. غيبة، حيدر، **هكذا تكلم العقل: المفهوم العقلاني للدين**، ط١، دار الطليعة، لبنان، ١٩٩٩.

٦٣. الفالح، متروك، **المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريف المدن**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢.

٦٤. فهمي، نورهان منير، **القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩.

٦٥. فوزي، سامح، **المواطنة**، ط١، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ٢٠٠٧.

٦٦. قنصوه، ياسر، **الليبرالية: إشكالية مفهوم**، ط١ رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.

٦٧. كوتنغهام ، جون ،**العقلانية : فلسفة متجددة**، ط١، تر: الهاشمي، محمود، مركز الإنماء الحضاري، حلب،١٩٩٧.

٦٨. لاكتوس، إيمر، **تاريخ العلوم ومنهجيتها: برامج البحث والبناء العقلاني الجديد**، تر. أسعد، وجيه، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١ .

٦٩. لالاند، أندريه، **العقل والمعايير**، تر: نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩.

٧٠. لويس، جنفيافرودليس، **ديكارت والعقلانية**، ط٤، تر: عبده الحلو ، عويدات ، بيروت، ١٩٨٨.

٧١. لية، علي، **المجتمع المدني: قضايا المواطنة وحقوق الإنسان**، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠٠٧.

٧٢. ليجيه، دانييل هيرفيه، وويلام، جان بول، **سوسيولوجية الدين**، ط١، تر: درويش الحلوجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٧٣. مانيس، جيروم، **تحليل المشكلات الاجتماعية**، ط١، تر: فتحي ، أبو العينين، زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٨٩.

٧٤. محمد عويضة، الشيخ كامل محمد، **كارل بوبر: فيلسوف العقلانية النقدية**، ط١، الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٥.

٧٥. مروة، حسين، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**، ط١، الفارابي، بيروت، ١٩٧٨.

٧٦. المسيري، عبدالوهاب، والعظمة، عزيز، **العلمانية تحت المجهر**، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠.

٧٧. المصباحي، محمد، **إشكالية العقل عند ابن رشد**، ط١، المركز الثقافي العربي، لبنان، ١٩٨٨.

٧٨. معروف، نايف، **الإنسان والعقل**، ط١، سبيل الرشاد، بيروت، ١٩٩٥.

٧٩. ملكيان، مصطفى، **العقلانية والمعنوية: مقاربات في فلسفة الدين**،ط١، تر: عبد الجبار الرفاعي وآخرون،، الدار العربية للعلوم، بغداد، ٢٠١٠.

٨٠. ناي، مالوري، **الدين الأسس**، ط١، تر: هند، عبد الستار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩.

٨١. هابرماس، يورغن، وراتسنغر، جوزف، **جدلية العلمنة: العقل والدين**، ط١، تر: حميد، الشهب، جداول لنشر ، الكويت، ٢٠١٣.

٨٢. الهاشمي، عبد الحميد، **علم النفس التكويني**، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٦.

٨٣. الوردي، علي، **شخصية الفرد العراقي**، ط٢، دار ليلى، لندن، ٢٠٠١.

٨٤. الوردي، علي، **في الطبيعة البشرية: محاولة في فهم ما جرى**، ط١، الأهلية، الأردن، ١٩٩٦.

٨٥. الوردي، علي، **مهزلة العقل البشري**، ط٢، دار كوفان، لندن، ١٩٩٤.

٨٦. الوردي، علي، **وعاظ السلاطين**، ط٢، دار كوفان، لندن،١٩٩٥.

٨٧. وقيدي، محمد، **فلسفة المعرفة عند غاستونباشلار**، ط١، دار الطليعة، لبنان،١٩٨٠.

٨٨. ويليم، جان بول، **الأديان في علم الاجتماع**،ط١، تر: بسمة علي بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان،٢٠٠١.

٨٩. يفوت، سالم، **العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة**، ط٢، دار الطليعة، لبنان، ١٩٨٩.

ثانياً :المجلات والدوريات.

١) بريتون، كرين، **تشكيل العقل الحديث**، تر: شوقي جلال ،سلسلة عالم المعرفة، العدد ٨٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤.

٢) حمادي، عبد الرحمن، **أزمة الثقافة العربية المعاصرة**، المعرفة السورية، ١٩٨١.

٣) الخولي، يمنى طريف، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٦٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠.

٤) زكريا، فؤاد، **التفكير العلمي**، سلسلة عالم المعرفة، العدد٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨.

٥) العمر، عبد الله، **ظاهرة العلم الحديث: دراسة تحليلية وتاريخية**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٦٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣.

٦) كون، توماس، **بنية الثورات العلمية**، تر: شوقي جلال، مجلة عالم المعرفة، عدد ١٦٨،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢.

٧) وطفة، علي، **اتجاهات التجديد والتقليد في العقلية العربية: قراءة سوسيولوجية في آراء عينة من المثقفين الكويتيين**، مجلة شؤون اجتماعية، العدد ٧٧، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، ٢٠٠٢. A

٨) وطفة، علي، **اتجاهات التقليد والحداثة في العقلية العربية السائدة : دراسة في المضامين الخرافية للتفكير لدى عينة من المجتمع الكويتي**، المجلة التربوية، العدد ٦٥، الكويت، ٢٠٠٢. B

٩)

ثالثاً: المعاجم والقواميس:

١) (الجاسور، ناظم عبد الواحد، **موسوعة علم السياسة**، ط١، مجدلاوي ، الأردن، ٢٠٠٤ .

٢) بدوي، أحمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢.

٣) بوريكو،بودون وف، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**،ط١، تر: سليم حداد، بيروت، ١٩٨٦.

٤) بونت، بيار، و إيزار ميشال، **معجم الأثنولوجيا والأنتربولوجيا**، ط١، تر: مصباح الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.

٥) الجوهري، عبد الهادي، **قاموس علم الاجتماع**، نهضة الشرق، مصر، ١٩٨٣.

٦) الحسن، إحسان محمد، **موسوعة علم الاجتماع**، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩.

٧) العمر، معن خليل، **معجم علم الاجتماع المعاصر**، ط١، الشروق، الأردن، ٢٠٠٠.

٨) كونزمان، بيتر وآخرون، **أطلس الفلسفة**، ط٢، تر: كتورة، جورج، المكتبة الشرقية، لبنان، ٢٠٠٧.

٩) مارشال، جوردون، **موسوعة علم الاجتماع**،ط١، تر: محمد الجوهري، مجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٠.

١٠) مبيض، عامر رشيد، **موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية**، ط١، دار المعارف، سوريا، ٢٠٠٠.

١١) هولتكرانس،إيكه، **قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور**، تر: محمد الجوهري ، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢.

١٢) يريموفا، ناتاليا، وسلوم، توفيق، **معجم العلوم الاجتماعية**، ط١، دار التقدم، بيروت، ١٩٩٢.

رابعاً: رسائل الماجستير والدكتوراه:

١) إيبريني، محمد خليفة، **مفهوم العقل في الفكر الإسلامي: الليبرالية والإصلاح الديني في القرن التاسع عشر(نموذجاً)** رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة بيروت العربية ، بيروت، ٢٠٠٧.

٢) الخلف، وليد عبد الكريم، **العقلانية ومشكلة التقدم في الفكر العربي المعاصر: القومي والليبرالي نموذجاً**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٣.

٣) الشوملي، جبرا،**العلمانية في الفكر العربي المعاصر: دراسة حالة فلسطين**، ط١، رسالة دكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،٢٠٠٨.

٤) الغامدي، غرم الله بن عبد الرزاق، **التفكير العقلاني والتفكير غير العقلاني ومفهوم الذات ودافعية الإنجاز : عينة من المراهقين المتفوقين دراسياً والعاديين بمدينتي مكة المكرمة وجدة**،رسالة دكتوراه في علم النفس غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠٠٩ .

٥) مولف، خلف، **العقل الوضعي عند أوغست كونت**، رسالة ماجستير غير منشورة في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٨.

خامساً: المراجع الأجنبية :

1. Boris Maciejovsky, Herbert Schwarzenberger, Erich Kirchler, **Rationality Versus Emotions: The Case of Tax Ethics and Compliance**, J Bus Ethics, 2012.

2. Scott, s,.cognitive behavior therapy: notes on theory and application with children, G.p, opinion papers (120), new jersy, 1991.
3. Robin, M.w;: Overcoming performance Anxiety: using ret with Actors, artists and other " performers " in Dryden, w; & Hill, L.K; (ed) Innovations in rational-Emotive Therapy. Sage publications, Newbury park, London, New Delhi,1993.
4. Ellis, A;: A rational-Emotive therapy (in) Binder, V; & et al (Ed): modem therapies. Prentice-Hall, INC, new Jersey, 1976.
5. Ellis,A;: rational-Emotive therapy. (in) Corsini, R; (Ed) Current psychotherapies. Itasca, Ill, peacock publishers,1973.
6. Wolfe, J.L; & naimark, H;: Psychological messages and social context: strategies for Increasing Ret,s Effectiveness wit women. (in) Bernard, M.E: (Ed) using rational-Emotive therapy Effectively: A practitioner,s Guide. Plenum press, New York and London,1991.
7. Janes, R.N;The Theory and practice of Counseling. Cassell, wellington House, London,1996 .
8. Forggatt, W. A, brief Introduction to rational Emotive behavior therapy, Third Ed, February,2005.
9. Subbotsky, Eugene &Quinteros, Graciela, IDo cultural factors affect causal beliefs? Rational and magical thinking in Britain and Mexico, British Journal of Psychology, uk,2002.

الملاحق

ملحق رقم (1)

القسم الأول: المعلومات الشخصية:

١- الجنس	ذكر	١	
	أنثى	٢	

٢- مكان الإقامة	ريف	١	
	مدينة	٢	

٣- الكلية		

٤- القسم		

القسم الثاني: المعوقات الاجتماعية:

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
١- الكثير من الإنجازات العلمية تعود للكتاب (القرآن ، الإنجيل).						
٢- إن رجلاً عابداً في صومعته خيرٌ من عالم في مخبره.						
٣- يحتاج مجتمعنا إلى علماء الدين أكثر من حاجته إلى علماء الطبيعة.						
٤- تحصل البركة بزيارة قبور الأولياء.						
٥- أؤمن بعالم الملائكة والجن.						
٦- أرى في الكتاب(القرآن، الإنجيل)علاج للكثير من الأمراض الجسدية.						
٧- معتقداتي الدينية في الواقع معياري في الحكم على الأمور.						
٨- أؤمن بالقضاء والقدر.						
٩- أؤيد رجال الدين في الكثير من آرائهم.						
١٠-أرى بأن الدين منظومة متكاملة عن الإنسان والحياة والمجتمع.						
١١-الدين هو الحل لكل مشكلاتنا.						
١٢-يمكن للعرافين التنبؤ الصحيح ببعض الأحداث.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
١٣- يستطيع العراف أن يؤذي أي شخص يريد.						
١٤-بعض الحجب تحمي من الإصابة بالعين الحاسدة.						
١٥-يمكن أن ألجأ للعرافين عند تعرضي لبعض المصائب.						
١٦-يستطيع بعض رجال الدين استحضار الأرواح والتواصل معهم.						
١٧-يمكن إيقاع رجل وامرأة في الحب بتأثير السحر.						
١٨-يمكن لقراءة الطالع أن تكشف بعض الأمور المستقبلية.						
١٩-نجح رجال الدين في علاج بعض الأمراض المستعصية على الطب الحديث.						
٢٠-شخص يثأر لأخيه بقتل أخو الجاني.						
٢١-نسب العائلة يهمني في اختيار الشريك.						
٢٢-من حق الذي ينتمي إلى عائلة ذات نسب أن يكون له مكانة مرموقة في المجتمع.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٢٣-يجب الخضوع لرأي الكبار في العائلة.						
٢٤- يجب الحفاظ على عادات وتقاليد مجتمعنا.						
٢٥- بالإمكان أن نساوي بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات.						
٢٦-) يجب قتل كل فتاة تمارس الجنس بطريقة غير شرعية.						
٢٧- من حق الفتاة أن تختار الشخص الذي تريده حتى وأن عارض الأهل.						
٢٨-يجب أن تكون فرص التعليم والعمل للمرأة متساوية مع الرجل.						
٢٩-تستطيع المرأة قيادة أعلى المناصب في الدولة.						
٣٠-من المعيب أن يستشير الرجل المرأة.						
٣١-أرى أن تلتزم المرأة المتزوجة بأعمال المنزل ورعايتها لأطفالها.						
٣٢- لا أرسل أبنتي بعثة خارج القطر.						
٣٣-يجب على المرأة أخذ موافقة أهلها في كل الأمور الهامة في حياتها						
٣٤-يكفيتعليم الفتاة لمرحلةالإعدادي.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٣٥-على المرأة أن تسمع كلام زوجها.						
٣٦-توجد الحقيقة الكاملة في تراث الآباء والأجداد.						
٣٧-نحن بغنى عن علوم الغرب لأن تراثنا وتاريخنا يفيض بعطاءات العلم.						
٣٨-يمكن الاستغناء عن أفكار العلوم الحديثة والاعتماد على كتب التراث العربي						
٣٩-كل انجازات الغرب يعود للحضارة العربية الإسلامية.						
٤٠-الحياة أجمل بدون التكنولوجيا الحديثة.						
٤١-ارفض الأفكار التي تأتي منالغرب						
٤٢-الأفكار التي تأتي من الغرب تتعارض مع معتقداتنا						
٤٣-يمكن الاستغناء عن العلوم الحديثة والاعتماد على إحياء التراث العربي الإسلامي.						
٤٤-ولاء الموظف لعائلته أكثر من الوطن.						
٤٥-ليس لدي ولاء لمؤسسات الدولة.						
٤٦-أثق بمؤسسات الدولة.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٤٧- ينتشر الفساد الإداري والمحسوبيات في مؤسساتالدولة.						
٤٨- توفر العدالة الاجتماعية والمساواة للجميع في بلدي.						
٤٩- تكافؤ الفرص متاحة للجميع في بلدي.						
٥٠- يتمتع الفرد بحقوقه في بلدي .						
٥١- تقليد المناصب في الدولة متاح لجميع دون استثناء.						
٥٢- أحرص على التقيد بالأنظمة والقوانين بدافع الرقابة الذاتية.						
٥٣- أتقيد بالأنظمة والقوانين لأنها تطبق على الجميع على قدم المساواة.						
٥٤- أموري تمضي بسرعة في الدوائر الحكومية عندما يكون أحد أفراد عائلتي مسئولاً في الدولة.						
٥٥- انتشار الوساطة والعلاقات الشخصية في مؤسسات الدولة.						
٥٦- إذا تشاجرت مع أبن مسئول ستكون المحكمة حيادية في الإقرار بالحكم.						
٥٧- القانون في بلدي يحمي المواطن.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٥٨-التقدم لوظيفة من أجل العمل يقوم على الكفاءة والخبرة.						
٥٩-فرص الأحزاب متساوية في تولي المسؤوليات في إدارة الدولة.						
٦٠-منظمات المجتمع المدني تلعب دوراً كبيراً بالضغط على الحكومة من أجل المواطن						

القسم الثالث: العقلانية العلمية:

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٦١- حكومة التكنوقراط (النخب العلمية) أفضل من الحكومة الدينية.						
٦٢- أواجه المشكلات التي تعترضني بطريقة علمية.						
٦٣-اعتقد بأن قوانين العلم هي التيتتحكم بمصير البشر.						
٦٤-النظريات العلمية تصلح لإدارة المجتمع.						
٦٥ - الظواهر الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات تخضع لقوانين علمية.						
٦٦-العلم قادر على حل مشكلات الإنسان.						
٦٧ -يمكن الاعتماد على العلوم الحديثة في مجمل الحياة الاجتماعية.						
٦٨-يمكن للقيم العلمية أن تحل محل القيم الموروثة.						
٦٩- ليس هناك أية علاقة بين الإنجازات العلمية والنصوص الدينية.						
٧٠-لا يمكن لأية نظرية أن تكون صالحة لكل زمان ومكان.						
٧١- لا يمكن قيام حضارة مدنية بدون العلم .						
٧٢- القيم العلمية أفضل من القيم الموروثة.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٧٣-أرى بأن العلمانية أفضل النظم السياسية.						
٧٤-اختياري للفرع الجامعي بناءً على رغبتي الشخصية.						
٧٥- اختياري لشريك استناداً لنظرتي العلمية دون الأخذ بأي اعتبار آخر.						
٧٦- معتقداتي العلمية في الواقع هي معياري بالحكم على الأمور.						
٧٧-نتائج العلم تعود بالنفع على الإنسانية بأكملها.						
٧٨- أنظر للثقافات الأخرى بنظرة موضوعية.						
٧٩- القاتل بدافع الشرف يجب أن يحاسبه القانون.						
٨٠- يجب أن تصبح الدين مسألة شخصية.						
٨١- يجب فصل الدين عن السياسة.						

ملحق رقم (2)

القسم الأول: المعلومات الشخصية:

١- الجنس	ذكر	١	
	أنثى	٢	

٢- مكان الإقامة	ريف	١	
	مدينة	٢	

٣- الكلية		

٤- القسم		

القسم الثاني: المعوقات الاجتماعية:

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
١- الكثير من الإنجازات العلمية تعود للكتاب (القرآن، الإنجيل)						
٢- إن رجلاً عابداً في صومعته خيرٌ من عالم في مخبره.						
٣- يحتاج مجتمعنا إلى علماء الدين أكثر من حاجته إلى علماء الطبيعة.						
٤- تحصل البركة بزيارة قبور الأولياء.						
٥- أؤمن بعالم الملائكة والجن.						
٦- أرى في الكتاب (القرآن، الإنجيل)علاج للكثير من الأمراض الجسدية.						
٧- معتقداتي الدينية في الواقع معياري في الحكم على الأمور.						
٨- أؤمن بالقضاء والقدر.						
٩- أرى بأن الدين منظومة متكاملة عن الإنسان والحياة والمجتمع.						
١٠-الدين هو الحل لكل مشكلاتنا.						
١١-يمكن للعرافين التنبؤ الصحيح ببعض الأحداث.						
١٢-يستطيع العراف أن يؤذي أي شخص يريد.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
١٣-بعض الحجب تحمي من الإصابة بالعين الحاسدة.						
١٤-يمكن أن ألجأ للعرافين عند تعرضي لبعض المصائب.						
١٥-يستطيع بعض رجال الدين استحضار الأرواح والتواصل معهم.						
١٦- يمكن إيقاع رجل وامرأة في الحب بتأثير السحر.						
١٧-يمكن لقراءة الطالع أن تكشف بعض الأمور المستقبلية.						
١٨-نجح رجال الدين في علاج بعض الأمراض المستعصية على الطب الحديث.						
١٩-شخص يثأر لأخيه بقتل أخو الجاني.						
٢٠-نسب العائلة يهمني في اختيار الشريك.						
٢١-من حق الذي ينتمي إلى عائلة ذات نسب أن يكون له مكانة مرموقة في المجتمع.						
٢٢-يجب الخضوع لرأي الكبار فيالعائلة.						
٢٣- يجب الحفاظ على عادات وتقاليد مجتمعنا.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٢٤- بالإمكان أن نساوي بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات.						
٢٥- من حق الفتاة أن تختار الشخص الذي تريده حتى وأن عارض الأهل.						
٢٦-يجب أن تكون فرص التعليم والعمل للمرأة متساوية مع الرجل.						
٢٧-تستطيع المرأة قيادة أعلى المناصب في الدولة.						
٢٨-من المعيب أن يستشير الرجل المرأة.						
٢٩-أرى أن تلتزم المرأة المتزوجة بأعمال المنزل ورعايتها لأطفالها.						
٣٠- لا أرسل أبنتي بعثة خارج القطر.						
٣١-يجب على المرأة أخذ موافقة أهلها في كل الأمور الهامة في حياتها						
٣٢-يكفيتعليم الفتاة لمرحلةالإعدادي.						
٣٣-على المرأة أن تسمع كلام زوجها.						
٣٤-توجد الحقيقة الكاملة في تراث الآباء والأجداد.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٣٥-نحن بغنى عن علوم الغرب لأن تراثنا وتاريخنا يفيض بعطاءات العلم.						
٣٦-كل انجازات الغرب يعود للحضارة العربية الإسلامية.						
٣٧-الحياة أجمل بدون التكنولوجيا الحديثة.						
٣٨-ارفض الأفكار التي تأتي منالغرب						
٣٩-الأفكار التي تأتي من الغرب تتعارض مع معتقداتنا						
٤٠- يمكن الاستغناء عن العلوم الحديثة والاعتماد على إحياء التراث العربي الإسلامي.						
٤١-ولاء الموظف لعائلته أكثر من الوطن.						
٤٢-ليس لدي ولاء لمؤسسات الدولة.						
٤٣-أثق بمؤسسات الدولة.						
٤٤-ينتشر الفساد الإداري والمحسوبيات في مؤسسات الدولة.						
٤٥-توفر العدالة الاجتماعية والمساواة للجميع في بلدي.						
٤٦-تكافؤ الفرص متاحة للجميع في بلدي.						
٤٧- يتمتع الفرد بحقوقه في بلدي .						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٤٨-تقليد المناصب في الدولة متاح لجميع دون استثناء.						
٤٩-أحرص على التقيد بالأنظمة والقوانين بدافع الرقابة الذاتية.						
٥٠-أتقيد بالأنظمة والقوانين لأنها تطبق على الجميع على قدم المساواة.						
٥١-أموري تمضي بسرعة في الدوائر الحكومية عندما يكون أحد أفراد عائلتي مسئولاً في الدولة.						
٥٢-انتشار الوساطة والعلاقات الشخصية في مؤسسات الدولة.						
٥٣- إذا تشاجرت مع أبن مسئول ستكون المحكمة حيادية في الإقرار بالحكم.						
٥٤-القانون في بلدي يحمي المواطن.						
٥٥-التقدم لوظيفة من أجل العمل يقوم على الكفاءة والخبرة.						
٥٦-فرص الأحزاب متساوية في تولي المسؤوليات في إدارة الدولة.						
٥٧-منظمات المجتمع المدني تلعب دوراً كبيراً بالضغط على الحكومة من أجل المواطن						

القسم الثالث: التفكير العقلاني العلمي:

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٥٨- حكومة التكنوقراط (النخب العلمية) أفضل من الحكومة الدينية.						
٦٠-اعتقد بأن قوانين العلم هي التيتتحكم بمصير البشر.						
٦١ -النظريات العلمية تصلح لإدارة المجتمع.						
٦٢- الظواهر الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات تخضع لقوانين علمية.						
٦٣ -العلم قادر على حل مشكلات الإنسان.						
٦٤ يمكن الاعتماد على العلوم الحديثة في مجمل الحياة الاجتماعية.						
٦٥-يمكن للقيم العلمية أن تحل محل القيم الموروثة.						
٦٦- ليس هناك أية علاقة بين الإنجازات العلمية والنصوص الدينية.						
٦٧-لا يمكن لأية نظرية أن تكون صالحة لكل زمان ومكان.						
٦٨- لا يمكن قيام حضارة مدنية بدون العلم .						
٦٨- القيم العلمية أفضل من القيم الموروثة.						
٦٩-أرى بأن العلمانية أفضل النظم السياسية.						

ما مدى موافقتك على العبارات الآتية:	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	
٧٠-اختياري للفرع الجامعي بناءً على رغبتي الشخصية.						
٧١ – اختياري لشريك استناداً لنظرتي العلمية دون الأخذ بأي اعتبار آخر.						
٧٢- معتقداتي العلمية في الواقع هي معياري بالحكم على الأمور.						
٧٣-نتائج العلم تعود بالنفع على الإنسانية بأكملها.						
٧٤- أنظر للثقافات الأخرى بنظرة موضوعية.						
٧٥- القاتل بدافع الشرف يجب أن يحاسبه القانون.						
٧٦- يجب أن تصبح الدين مسألة شخصية.						
٧٧- يجب فصل الدين عن السياسة.						

Social Constraints of Rational Thinking among Damascus University Students: Field Study

Abstract

Rationalism is the conscious thinking and behavior that coincide with the principles of logic and empirical knowledge. Rationalism is characterized by its solid and prudent goals that could be achieved through scientific objective instrument. The research aims at identifying the role of social constraints (religion, traditions and customs, heritage, inherited view of female position in society, citizenship) in limiting the scientific rational thinking. It also aims at identifying the most effective constraint on limiting the scientific rational thinking among Damascus University students according to the variables of sex, residence, and faculty. In addition, the research aims at measuring the extent to which rational scientific thinking is prevalent among Damascus University students according to the variables of sex, residence, and faculty.

The research depends on analytical descriptive approach. Data were collected from Damascus University students, as the original population of the research, through a survey that used the instrument of questionnaire. The research covers a sample of 455 subjects which presents 1% of the original population. Each subject is a registered Damascus University student (male – female) via either public or parallel admission for the academic year of 2014-2015. The sample included both practical and theoretical (humanities) faculties and was selected through the multi-phased random sampling. The research sets a scale to measure the social constraints and another scale to measure the scientific rational thinking. The reliability of the scale is tested and approved against the basic criteria of scientific scales. The statistical processing of data is done through SPSS. The main findings of the research are:

- The correlation between scientific rational thinking and religious thinking is an inverse relationship. The more prevalent scientific rational thinking is, the less the religious thinking is, and vice versa.
- The correlation between scientific rational thinking and the inherited view of female position in society is an inverse relationship. The more prevalent

scientific rational thinking is, the lessthe inherited view of female position in society is, and vice versa.

- The correlation between scientific rational thinking and adherence to heritage is an inverse relationship. The more prevalent scientific rational thinking is, the less adherence to heritage becomes, and vice versa.
- The correlation between scientific rational thinking and awareness of the principle citizenship is a direct relationship. The more prevalent scientific rational thinking is, the more awareness of the principle of citizenship becomes.
- The most effective social constraints that limit scientific rational thinking are religious thinking and the absence of the awareness of the principle of citizenship.

The general theory of rationalism is applied on the results of the field study.